بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الدرس الصوتي عند ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

إعداد الطالب
سعيد محمد إسماعيل علي

إشراف
الأستاذ الدكتور "محمد جواد" النوري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وأدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية

نابلس – فلسطين
١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م

الدرس الصوتي عند ابن عصفور
(ت ٦٦٩هـ)

إعداد الطالب

سعيد محمد إسماعيل علي

إشراف

الأستاذ الدكتور "محمد جواد" النوري

جميع الحقوق محفوظة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية – نابلس.

نوقشت بتاريخ: ٢٠٠٢/٥/٢٧م وأجيزت بنجاح.

أعضاء لجنة المناقشة:

		التوقيع
- أ. د. محمد جواد النوري	رئيساً ومشرفاً	----------
- أ. د. زهير إبراهيم	ممتحناً خارجيا	----------
- أ. د. وائل أبو صالح	ممتحناً داخليا	----------

الإهـــداء

إلى والديّ رحمهما الله.

إلى زوجتي ، التي سهرت وصبرت ، وكانت لي خير عون.

إلى فلذات كبدي "محمد، ورفيق، ومريم، ومحمود، ومهند، ومعاذ" حفظهم الله.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كلمة شكر

لا يسعني في هذا البحث إلا أن أتوجه بالشكر والعرفان لأساتذتي في قسم اللغة العربية بجامعة النجاح الوطنية، الذين شرفت باللقاء بهم والتلقي عنهم.

وأشكر أستاذي الدكتور "محمد جواد" النوري، الذي تفضل بالإشراف على هذه الدراسة، وكان لتوجيهاته وتشجيعه أكبر الأثر في نفسي، فله كل شكري وتقديري.

وأتقدم بوافر شكري إلى موظفي مكتبة جامعة النجاح الوطنية، لما بذلوه من تعاون في توفير المصادر والمراجع، وتسهيل الإعارة، دون تكليفي وعناء السفر.

جميع الحقوق محفوظة

كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى الأخ والصديق المهندس أحمد شواهنة، لما كان له أثر كبير في تشجيعي، وتوفير الدعم المعنوي، والمادي عند اللزوم.

مركز صيانة الرسائل الجامعية

و أتقدم بالشكر و العرفان إلى كل من : عدنان أبو صفية، وبشير عماوي، لأنهما كانا عونا لي.

ولا أنسى كل من أعانني على إتمام هذا البحث سواء بتزويدي بالمراجع أم غير ذلك، وأثمن عاليا جهود الأستاذ ثابت سليمان الذي بذل وسعه في إخراج هذه الرسالة وطباعتها.

فهرس المحتويات

الإهداء أ

شكر وتقدير ب

فهرس المحتويات ج

المقدمة ١

الفصل الأول

ابن عصفور، حياته وآثاره

١. حياه ابن عصفور ٥

٢. شيوخه ٧

٣. تلاميذه ٨

٤. مصنفاته ١١

٥. منزلته العلمية ١٥

٦. وفاته ١٩

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثاني

القضايا الصوتية عند ابن عصفور

١. عدد الحروف ٢٤

أ. الحروف الأصول ٢٤

ب. الحروف المستحسنة ٢٨

ج. الحروف غير المستحسنة ٣٥

٢. مخارج الحروف ٤١

٣. صفات الحروف ٥١

الجهر ٥١

الهمس ٥٥

الشدة ٥٧

الرخاوة ٦٠

بين الشديدة والرخوة ٦١

الإطباق ٦٨

الانفتاح ٧١

الاستعلاء ٧١

الانخفاض ٧٢

المكرر ٧٢

غير المكرر ٧٣
المنقلقلة ٧٣
الإشراب ٧٤
ما ليس فيه قلقلة ولا إشراب ٧٥
المهتوت ٧٥
غير المهتوت ٧٦
الذلاقة ٧٦
الإصمات ٧٧
الاستطالة ٧٨
عدم الاستطالة ٧٨
الانحراف ٧٨
عدم الانحراف ٧٩
الغنة ٧٩
عدم الغنة ٨٠

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثالث

القضايا الصوتية الصرفية عند ابن عصفور

أولا : الإدغام ٨٧
أ. تعريف الإدغام ٨٧
ب. سبب الإدغام ٨٩
ج. أقسام الإدغام ٩١
١. إدغام المثلين ٩٢
أ. اجتماع المثلين في كلمة واحدة في الفعل ٩٣
ب. اجتماع المثلين في كلمة واحدة في الاسم الثلاثي المجرد ١٠٢
ج. اجتماع المثلين في كلمة واحدة في الاسم المزيد ١٠٣
د. اجتماع المثلين في كلمتين ١٠٦
٢. إدغام المتقاربين ١١٢
١. إدغام المتقاربين في كلمتين ١١٢
أ. أحكام حروف الحلق في الإدغام ١١٤
ب. ذكر حروف الفم الإدغام ١٢٣
ج. مواضع النون ١٤٩
د. حكم الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا ١٦٠

ملخص

تناول هذا البحث دراسة الفكر الصوتي عند ابن عصفور، وقد استهل البحث، لتحقيق هذه الغاية،بمقدمـــة تناولـــت أهمية البحث، ومنهجيته، والصعاب التي واجهت الباحث في أثناء فترة تناوله. ثم جاء الفصل الأول ليكشف لنا بعض جوانب حياة ابن عصفور، بدءا من مولده، مرورا بشيوخه، وتلاميذه، ذاكرا مصنفاته، ومبينا لمنزلته العلمية، حتى وفاته.

أمـــا الفصل الثاني فقد تناول بالدراسة القضايا الصوتية عند ابن عصفور، من حيث عدد الأصوات العربية، وأقسامها، ومخارجها، وصفاتها، مقارنا ذلك مع القدماء والمحدثين من علماء اللغة، مبينا سبب الاختلاف فيما بينهم.

ثـــم جاء الفصل الثالث، وهو الفصل الرئيس في البحث، ليتناول بالدرس القضايا الصوتية الصـــرفية عـــند ابـــن عصفور، ويضم هذا الفصل أبرز القضايا الصوتية الصرفية من إدغام، وإبـــدال، وإعـــلال، وتحليل أمثلتها تحليلا صوتيا حديثا معتمدا في ذلك على القوانين الصوتية، والتحلـــيل المقطعي لأمثلة القضايا السابقة، مع بيان أسباب حدوث مثل هذه القضايا من الناحية الصوتية، التي تتمثل في السهولة في النطق والاقتصاد في المجهود العضلي.

أمـــا الفصـــل الرابع، فقد تناول بالدرس المصادر الصوتية التي استقى ابن عصفور منها مادته، ومدى تأثره بمن سبقه من العلماء في هذا المجال.

ثم ختم البحث بالنتائج التي توصل إليها الباحث، وقد تبين من خلال البحث أن علماء اللغة القدامـــى، ومنهم ابن عصفور، قد وصلوا إلى نتائج قيمة في الميدان الصوتي، معتمدين في ذلك على الملاحظة الذاتية، والفكر النير، غير أنه يوجد بعض مواطن الخلاف بين القدماء والمحدثين في نسبة بعض الأصوات إلى مخارجها، وفي توصيف بعض الأصوات.

ومهما يكن من أمر، فإن النتاج الصوتي القديم يعد اللبنة الأساسية التي قام عليها الدرس الصوتي الحديث، غير أن المحدثين من علماء الأصوات توصلوا إلى نتائج أكثر دقة وذلك لاعتمادهم على الآلات الحديثة، والمختبرات الصوتية التي تسهم في إعطاء الصوت هُويته الصحيحة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من على العالمين بإنزال القرآن الكريم، بلسان عربي مبين، وتكفل بحفظه في الصدور والسطور إلى يوم الدين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، النبي الأمي، الذي أوتي جوامع الكلم. والرضى عن الصحابة الذين ساروا على النهج المستقيم، والرحمة والمغفرة للسلف الصالح الذي أبدى عناية واهتماما بالغين باللغة العربية، لغة القرآن الكريم حفظا، ودراسة، وبحثا، وتنقيبا، وبعد:

فاللغة العربية وعاء الفكر، وهوية القومية والوطنية، ولغة الدين الحنيف، وهي وسيلة اتصال بين أفراد المسلمين في مشرق البلاد ومغربها، لهذا، لقد كان لا بد أن يكون لها حضور بارز في الدراسات اللغوية القديمة منها والحديثة، ومن بين تلك الدراسات، تلك الدراسة اللغوية بالمستوى للعربية. وقد تناول علماؤنا الأجلاء أصوات لغتهم بالتصنيف والتوصيف، ولكنهم لم يصلوا فيها إلى مرحلة متقدمة نظرا لاعتمادهم على الملاحظة الذاتية، وافتقارهم للآلات المخبرية التي لم تكن معروفة في ذلك الوقت والتي أضحت وسيلة مهمة للوصول إلى نتائج قيمة في مجال علم الأصوات. ومع ذلك فإن كتب التراث اللغوي تحفل بالمادة الصوتية ولكنها لم تتناول الأصوات لذاتها، وإنما لخدمة اللغة بمستوياتها اللغوية المختلفة بعامة.

ومن المعلوم أن الداسات الصوتية، بدأت بالظهور بشكل مستقل، في عالمنا العربي، في العصر الحديث، وكان ذلك نتيجة للتأثر بالدراسات اللغوية الغربية، التي قطعت شوطا كبيرا في هذا المضمار.

إن علماءنا القدامى اهتموا بمستويات اللغة الثلاث وهي: المستوى النحوي، والمستوى الصرفي، والمستوى الدلالي، دون أن يولوا المستوى الصوتي عناية كبيرة وغن كنا قد وجدنا مبثوثا على نحو متفرق في تصانيف كتبهم اللغوية، وبقي الأمر كذلك، إلى أن ظهر إمام اللغويين المحدثين، الذي أحدث ثورة في الدراسات اللغوية وهو إبراهيم أنيس الذي يعد رائد الدراسات اللغوية الحديثة العامة، والدراسات الصوتية بخاصة. فسار بالدراسات اللغوية نحو مسارها الصحيح، حيث اهتم بادئ بدء، بالصوت اللغوي، الذي يعد البنية الأساسية في العلوم اللغوية، والذي يمكن أن يكون رافدا أساسيا لعلمي الصرف والنحو. ومع ذلك فإننا نعد التراث الصوتي المادة الأساسية التي نشأ بها علم الأصوات، وتطور إلى أن وصل إلى ما وصل إليه في عصرنا الحاضر.

أسباب اختيار البحث:

بعد أن أنهيت دراسة المتطلبات الجامعية لشهادة الماجستير، وكان من بين هذه المتطلبات موضوع "علم الأصوات"، الذي لم يكن ضمن المواد التي درستها في أثناء دراستي الجامعية الأولى، فقد وجدت فيه في بداية الأمر بعض الصعوبات، غير أن الفضل في تبديد هذه الصعوبات وفهم المادة يعود إلى أ. د. محمد جواد النوري الذي لم يأل جهدا في تبسيط المادة، مما بعث في نفسي الرغبة في أن أكتب في هذا المجال من مجالات الدرس اللغوي للعربية، فبدأت أبحث وأنقب عن موضوع يستحق الدراسة، فاهتديت إلى البحث والتنقيب إلى موضوع التفكير الصوتي عند ابن عصفور، ذلك العالم الذي نعت بأنه حامل لواء العربية في الأندلس.

ومما شجعني على هذه الدراسة أن هذا الموضوع، فيما أعلم، لم يبحث، ولم يتناوله قبلي أحد، علاوة على أن ابن عصفور يمثل عصرا مميزا من العصور الأدبية واللغوية، ذلك العصر الذي نسب إلى البيئة الجغرافية، وهي البيئة الأندلسية، تلك البيئة التي كانت تمثل عصرا ذهبيا للأمة الإسلامية، إضافة إلى أنه عصر أنتج كثيرا من الشعراء والأدباء واللغويين، وفي هذا البحث محاولة لإظهار دور أحد اللغويين في خدمة اللغة العربية، وإبراز فكره الصوتي، علاوة على أن الذين كتبوا في هذا العلم لم يظهروا دور ابن عصفور في مجال الأصوات العربية، ولم يعطوه حقه من الدراسة والبحث، علما بأن فخر الدين قباوة كتب عن التصريف عند ابن عصفور في كتاب بعنوان: ابن عصفور والتصريف. دون أن يتعرض إلى المجال الصوتي عنده.

مشكلات البحث:

لا شك في أن كل عمل يقوم به إي إنسان يواجه في تنفيذه بعض المصاعب والمشكلات، غير أن الإنسان الذي يسعى إلى هدف، يعمل ما يستطيع من أجل تحقيقه، وبما أن هذا البحث واجب ومتطلب لاستكمال الحصول على درجة الماجستير فإن الأمر لا يستدعي ذكر ما واجهني من صعاب، بيد أن ذكرها قد يمثل أهمية تاريخية في حياة الباحث، وتتمثل أهم هذه الصعاب في حرية التنقل بين مدن فلسطين وقراها وذلك نتيجة الإغلاق الذي فرضته قوات الاحتلال الإسرائيلي على مدن فلسطين وقراها، مما جعل الباحث يتحمل أعباء مادية أكثر، علاوة على طول المدة التي استغرقتها كتابة البحث، إضافة إلى قلة المراجع التي تبحث في هذا الموضوع، غير أن هذه المشكلة تم التغلب عليها بمساعدة الدكتور المشرف الذي لم يبخل علي بتزويدي فيما أريد من مكتبته الخاصة.

منهجية البحث:

يقوم البحث على الجمع بين مختلف الأساليب المتبعة في مناهج البحث العلمي ومنها:

المنهج الوصفي: الذي يعتمد على وصف المادة الصوتية عند ابن عصفور، وعرضها عرضا جديدا يتلاءم، في لغتها، مع لغة العصر وفكره ليسهل تناولها.

المنهج المقارن: يتمثل في عقد مقارنات بين ابن عصفور وغيره من علماء اللغة القدامى أمثال: سيبويه، وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) والمبرد (ت٢٨٥ هـ) ، وغيرهم. إضافة إلى مقارنة المادة الصوتية عند ابن عصفور مع علماء الدرس الصوتي الحديث أمثال: إبراهيم أنيس، وعبد الصبور شاهين، وغيرهما. معتمدا في ذلك على المصادر والمراجع القديمة منها والحديثة.

محتويات البحث:

يحتوي هذا البحث على هذه المقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة. وقد تناول الفصل الأول بالدراسة حياة ابن عصفور، وشيوخه وتلاميذه، ومصنفاته، ومنزلته العلمية.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما الفصل الثاني: فقد تناول دراسة الأصوات العربية عند ابن عصفور، وصفاتها، ومخارجها، ومقارنة هذه القضايا بين القدامى من علماء العربية من جهة، و المحدثين من علماء الدرس الصوتي من جهة أخرى. أما الفصل الثالث فقد تناول دراسة القضايا الصوتية الصرفية عند ابن عصفور، متمثلة في الإدغام، والإبدال، والإعلال. ومحاولة تفسير الأمثلة الواردة عند عالمنا موضع الدراسة وتحليلها تحليلا صوتيا ومقطعيا، مطبقا عليها قوانين المماثلة الصوتية، والمخالفة الصوتية، وبيان أثر التفاعل الصوتي الناجم عن مجاورة الأصوات من جهة، وصفات القوة المتمثلة بالقوة الذاتية، والقوة الموقعية من جهة أخرى.

أما الفصل الأخير، فقد تناول بالدرس المصادر التي استقى منها ابن عصفور مادته الصوتية، والتي تتمثل في أمهات الكتب اللغوية حتى القرن الرابع الهجري.

ومهما يكن من أمر، فهذا البحث لا يعدو كونه محاولة لدراسة جانب من جوانب اللغة العربية، وذلك من خلال ما يقدمه علم الأصوات من معطيات تخدم المستويات اللغوية المختلفة للغة العربية. وإني لأرجو – بهذه الدراسة المتواضعة – أن أكون قد قدمت شيئا نافعا يمكث في الأرض، لخدمة لغتنا العظيمة لغة القرآن الكريم. فإن كنت قد أصبت فمن الله، فهو خير عون، وإن كنت قد أخفقت فمن نفسي.

والله الموفق.

الفصل الأول

ترجمة ابن عصفور وآثاره

١. حياته

٢. شيوخه

٣. تلاميذه

٤. مصنفاته

٥. منزلته العلمية

٦. وفاته

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١. حياته:

ابن عصفور هو: "علي بن أبي الحسين بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور بن عصفور الحضرمي إشبيلي استوطن بأخرة تونس أبو الحسن بن عصفور"(١).

أو هو: "أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي عرف بابن عصفور"(٢).

أو هو: "علي بن مؤمن بن محمد بن علي أبو الحسن بن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي"(٣).

أو هو: "أبو الحسن علي بن أبي الحسين مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور الحضرمي الإشبيلي"(٤).

وجاء في مقدمة المقرب نسبه هكذا: "علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد ابن عمر بن عبد الله بن منظور، ابن عصفور، الحضرمي الإشبيلي الأندلسي النحوي، أبو الحسن"(٥).

أما في مقدمة الممتع فنسبه هو: "أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد أحمد بن عمر بن عبد الله ابن منظور الحضرمي الإشبيلي"(٦). فقد زاد اسم "أحمد" بين أحمد وعمر. هذا نسبه كما نصت عليه المظان التي ترجمته له، ولم تصرح بأكثر منه.

أما عن نشأته الأولى، وحقيقة نسبته إلى حضرموت، فلا تذكر هذه المظان عنها شيئا.

وأكثر المظان، التي ترجمت له، ترى أن ولادته كانت سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وفي هذا يقول صاحب فوات الوفيات: "ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة"(٧).

وقد شذ عن المظان التي ترجمت لابن عصفور كتاب شذرات الذهب حيث ذهب صاحبه إلى أن ولادته كانت في سنة سبع وسبعين وخمسمائة. يقول: "ومولده سنة سبع وسبعين

---

١) المراكشي: الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة. ٥/٤١٣-٤١٤

٢) الغبريني:عنوان الدراية، تحقيق عادل نويهض، بيروت: لجنة التأليف والترجمة والنشر. ص٣١٧

٣) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، بيروت: دار المعرفة، ص٣٥٧. وينظر: عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٩م.٥/٣٣٠

٤) فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ط٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة، سنة ١٩٨١. ص٥٧

٥) ابن عصفور: المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، بغداد: مطبعة العاني.ص٧

٦) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ط٣، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩، ١/٤

٧) الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ٣/١١٠. وينظر: المراكشي: الذيل والتكملة،٥/٤١٤. والسيوطي: بغية الوعاة،ص٣٥٧. وابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الصادر. مج ٢/١٧٩

وخمسمائة"(١).

ويبدو أن هذا التاريخ فيه خلط؛ لأن أكثر المظان ذكرت أن سنة ولادته كانت ٥٩٧هـ. علاوة على أن ابن مكتوم يذكر، في مقدمة المقرب، أن ولادته كانت في السنة نفسها يقول: "ولد ابن عصفور في سنة سبع وتسعين وخمسمائة للهجرة النبوية المباركة، بإشبيلية"(٢).

ومن الراجح أن رواية ابن مكتوم أصح الروايات، وذلك لقربه من زمن ابن عصفور، علاوة على أنه تتلمذ على أبي حيان الأندلسي(ت ٦٧٢هـ)، وهو من تلاميذ ابن عصفور كما سيأتي.

نشأ ابن عصفور، في ربوع الأندلس، يأخذ العربية والأدب عن أشهر العلماء والأعلام، ولما استوى عوده، وتمكن من علوم العربية والأدب، علا قدره لدى رجال العلم والسلطان. فقربه إليه الأمير الهنتاني، وفي هذا يقول صاحب فوات الوفيات: "وكان يخدم الأمير أبا عبد الله محمد بن أبي بكر الهنتاني"(٣). ثم ضاقت مدينة إشبيلية بطموح أبي الحسن، فطفق يضرب في ديار الأندلس ناشرا ما لديه من العلم، فتصدر للإقراء في شريش ومالقة ولورقة ومرسية. يقول الكتبي: "وأقرأ بإشبيلية وشريش ومالقة ولورقة ومرسية"(٤). ثم جاز إلى المغرب، فدخل مراكش وسكن في ثغر أنفا وأزموره. يقول المراكشي: "وقد تجول وسكن ثغري أنفا وأزمور أخرى، وأوطن بأخرة تونس، فعرف بها قدره، ودخل مراكش"(٥)، وانتقل إلى حاضرة إفريقية يقول صاحب عنوان الدراية: "وارتحل إلى العدوة واستوطن بجاية، وكان بها أستاذا للأمير يحيى برد الله ضريحه. وارتحل إلى حاضرة إفريقية فحظي بها عند المستنصر بالله وكان أحد خواص مجلسه"(٦). وعندما انتقل الأمير أبو عبد الله إلى بجاية كان ابن عصفور معه، فأقام فيها مدة ثم عاد إلى إفريقية، ثم غادرها إلى لورقة، ورجع إلى غربي الأندلس، ثم عبر إلى مدينة سلا، وأقام فيها يسيرا، ثم عاد إلى إفريقية، ولبث في قصبة تونس حتى لقي حتفه"(٧).

ويتضح لنا مما سبق، ومن أمور أخرى وردت في الكتب التي ترجمت له،أن ابن عصفور كان كثير الترحال لنشر علمه الذي برع به.

---

١) العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٥/٣٣٠-٣٣١

٢) ابن عصفور: المقرب، ص٧

٣) الكتبي: فوات الوفيات، ٣/١١٠

٤) المرجع نفسه: ص١٠٩

٥) المراكشي: الذيل والتكملة، ٥/٤١٤

٦) الغبريني: عنوان الدراية، ص٣١٨

٧) ينظر: فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٥٨. بتصرف قليل

٢. شيوخه:

تلقى ابن عصفور علوم العربية والأدب عن أشهر علماء الأندلس في عصره، ومن أظهر الأساتذة الذين تتلمذ عليهم:

١- أبو علي الشلوبين(١):

كان أبو علي الشلوبين، عمر بن محمد بن عمر الأزدي الإشبيلي، سمع الشلوبين من أبي بكر بن الجد، رئيس النحاة في الأندلس، وأبي عبد الله بن زرقون، وأبي محمد بن بونه، وأخذ العربية عن أبي إسحاق بن ملكون، وأبي الحسن نجبة بن يحيى، ولازم ابن صاف. كان عالما بالعربية، تصدر لإقرائها نحوا من ستين سنة. ومن تآليفه: القوانين والتوطئة في النحو (ثلاث نسخ)، والتعليق على كتاب سيبويه وغيرها. ولد سنة ٥٦٢ وتوفي سنة ٦٤٥ بإشبيلية. لازمه أبو الحسن عشر سنين. يقول صاحب فوات الوفيات: "أخذ عن الأستاذ أبي علي الشلوبين، ولازمه عشر سنين إلى أن ختم عليه كتاب سيبويه"(٢). ويقول المراكشي: "أخذ العربية والأدب عن أبي علي الشلوبين واختص به كثيرا"(٣). ثم كانت بينهما منافرة ومقاطعة، يقول السيوطي (ت ٩١١هـ): "أخذ عن الشلوبين ولازمه مدة ثم كانت بينهما منافرة ومقاطعة"(٤).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

٢- أبو الحسن الدباج(٥):

هو شيخ الأندلس علي بن جابر بن علي بن أحمد اللخمي الإشبيلي. أخذ عنه ابن عصفور، وقد ذكرت المظان، التي ترجمت لابن عصفور، أنه أخذ عن الدباج والشلوبين. فها هو ذا العماد الحنبلي يذكر أن: "أبا الحسن بن عصفور أخذ عن الدباج والشلوبين"(٦)، وكان الدباج لطيف المعشر، متين الدين، تصدر للإقراء والعربية نحو خمسين سنة، وكان إماما لجامع العديس في إشبيلية. ولد سنة ٥٦٦ وتوفي سنة ٦٤٦ في إشبيلية.

---

١) ابن السعيد أبو الحسن علي بن موسى: اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق إبراهيم الأبياري، الناشرون: دار الكتب الإسلامية، القاهرة: دار الكتاب المصري، وبيروت:دار الكتاب اللبناني، ص١٥٢-١٥٤. وينظر: فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٦١

٢) الكتبي: فوات الوفيات، ١٠٩/٣

٣) المراكشي: الذيل والتكملة، ص٣١٣

٤) السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧

٥) ينظر لترجمته: ابن السعيد على بن موسى: اختصار القدح المعلى، ص١٥٥-١٥٦. والعماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٢٢٥/٥. والسيوطي: بغية الوعاة، ص٣٣١. وفخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص ٦١

٦) العماد الحنبلي: شذرات الذهب،٣٣٠/٥. وينظر: الكتبي: فوات الوفيات،١٠٩/٣

٣. تلاميذه:

ترتب على طواف ابن عصفور في الأندلس والمغرب إقبال كثير من الطلبة عليه، وقد ذكر السيوطي هذا في بغيته، يقول: "وتصدر للاشتغال مدة بعدة بلاد، وجال الأندلس وأقبل عليه الطلبة"(١). وقد قرأ عليه خلق كثير يقول الغبريني: "وقرأ عليه خلق كثير وانتفعوا به، وكل من قرأ عليه، وكل من ظهر من أصحابه فمن المبرزين"(٢). وقد ورد في مقدمة المقرب أنه "لما اشتد عوده، ورسخت قدمه في النحو، أخذ يقرئ الناس، وصار له مجلس علم يختلف إليه الطلاب والعلماء، يأخذون عنه ويفيدون منه"(٣).

وتتلمذ عليه كثير من رجال ذلك العصر. وقد ذكر المؤرخون من تلاميذه:

١- أبو حيان الأندلسي(٤):

هو محمد بن يوسف بن علي الغرناطي النفزي. كان نحويا لغويا مفسرا مقرأ محدثا، جاء في مقدمة المقرب: "ومن أظهر طلابه الذي بان أثره قويا في ثقافتهم اللغوية والنحوية، أثير الدين أبو حيان الأندلسي"(٥). لقد أعجب أبو حيان بمؤلفات ابن عصفور، وكان له فضل كبير في انتشارها في الأقطار والأمصار، في المشرق والمغرب، ولذا نراه قد أكب على بعضها فلخصه وعلق على بعضها الآخر، ولقد جاءت أعماله بالنسبة لمؤلفات ابن عصفور على الوجه الآتي(٦):

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أ. **تقريب المقرب:** ألف ابن عصفور كتابا في النحو سماه "المقرب"، وقد أعجب به أبو حيان فاختصره في كتاب سماه "تقريب المقرب" وعرضه في صورة جميلة مختصرة.

ب. **التدريب في تمثيل التقريب:** وهذا شرح لكتاب التقريب الذي اختصر فيه المقرب، فيبدو أن اختصاره للمقرب قد أوجد بعض الغموض والإبهام فأراد أن يكشف هذا الغموض فقام بوضع كتابه هذا حاشية أو شرحا ميسر للتقريب.

ج. **المبدع في التصريف:** وقد ألف ابن عصفور كتابه المشهور والمعروف بـ "الممتع في التصريف" وكان أبو حيان معجبا به فقام بتلخيصه، وسمى هذا المختصر "المبدع". ويذكر أبو حيان سبب إعجابه بالممتع بقوله: "ولما كان كتاب الممتع أحسن ما وضع في هذا الفن ترتيبا،

---

١) السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧

٢) الغبريني: عنوان الدراية، ص٣١٨

٣) ابن عصفور: المقرب، ص٨

٤) السيوطي: بغية الوعاة، ص١٢١. وفخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٦٢

٥) ابن عصفور: المقرب، ص٩

٦) ينظر: أبو حيان الأندلسي: المبدع في التصريف، تحقيق عبد الحميد السيد طلب، الكويت: دار العروبة للنشر والتوزيع، سنة١٩٨٢. ص٢٧-٢٨

وألخصه تهذيبا وأجمعه تقسيما، وأقربه تفهيما، قصدنا في هذه الأوراق ذكر ما تضمنه من الأحكام بألخص عبارة، وأبدع إشارة، ليشرف الناظر فيه على معظمه في أقرب زمانه، ويسرح بصيرته في عقائل حسانه"(١).

د. **الموفور من شرح ابن عصفور:** وهو اختصار لكتاب ابن عصفور المعروف بالشرح الكبير. فاختصره أبو حيان بكتاب سماه الموفور.

ويبدو أن أبا حيان أفاد كثيرا من تآليف ابن عصفور، وذلك لأنه من تلاميذه، فتأثر به فسار على نهجه في التأليف. وتوفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

٢- أبو الفضل الصفار(٢):

قاسم بن علي بن محمد بن سليمان الأنصاري البطليوسي، صحب الشلوبين وابن عصفور، وهو صاحب شرح الكتاب، مات بعد الثلاثين وستمائة.

٣- أبو عثمان الطبيري(٣):

سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم القرشي، كان مشهورا في الشعر، والنثر، والفقه، والحديث، والطب، والسياسة. أخذ عن الدباج والشلوبين وابن عصفور، ولد سنة ٦٠١ هـ وتوفي سنة ٦٨٠هـ.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٤- ابن سعيد المدلجي(٤):

أبو الحسن، علي بن موسى بن عبد الملك من ذرية عمار بن ياسر الصحابي الجليل. ولد سنة ٦١٠ هـ وتوفي سنة ٦٨٥هـ، قرأ النحو والأدب على الشلوبين، والدباج، وابن عصفور. جال في المغرب وجاب المشرق، وألف المشرق في أخبار المشرق. والمغرب في أخبار المغرب، والمرقص والمطرب. والعزة الطالعة في شعراء المائة السابعة، وريحانة الأدب.

٥- ابن عذرة الأنصاري(٥):

أبو الحكم، الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عمر الأوسي الخضراوي. كان إماما في النحو، نبيلا. أخذ عن أبي العلاء إدريس القرطبي، وابن عصفور،ومن مؤلفاته: المفيد

---

١) أبو حيان الأندلسي: المبدع في التصريف، ص٤٦-٤٧

٢) ينظر: السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٧٨. وحاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد: المثنى، ١٤٢٨/٢

٣) السيوطي: بغية الوعاة، ص٢٥٥. وفخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٦٢. وابن عصفور: الممتع في التصريف،٥/١

٤) السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧. والمقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، سنة ١٩٦٨. ٢٧٠/٢-٢٧٤. وفخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٦٣

٥) السيوطي: بغية الوعاة، ص٢٢٣. وابن عصفور: الممتع في التصريف،٥/١

في أوزان الرجز والقصيد، والإغراب في أسرار الحركات في الإعراب. ولد سنة ٦٢٢هـ.

٦- الرماني التونسي[١]:

علي بن عبد الله بن محمد بن علي بن رمان. أخذ عن ابن عصفور، وكان نحويا مقرئا في تونس.

٧- الشلوبين الصغير[٢]:

أبو عبد الله، محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، الأنصاري المالقي. أخذ العربية والقراءة عن عبد الله بن أبي صالح، ولازم ابن عصفور مدة إقامته في مالقة، وشرح أبيات الكتاب، وأتم شرح ابن عصفور على الجزولية. توفي سنة ٦٧٠هـ.

٨- الغماري التونسي[٣]:

يحيى بن أبي بكر بن عبد الله النحوي، قرأ العربية بتونس على ابن عصفور، ومات سنة ٧٢٤هـ.

ومن تلامذة ابن عصفور أيضا: أبو محمد مولى سعيد بن الحكم وأبو عبد الله بن أبي. وقد ورد ذكرهما في الذيل والتكملة. يقول المراكشي: "وحدثنا عنه أبو عبد الله بن أبي وأبو محمد مولى سعيد بن الحكم"[٤].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويبدو جليا أن طوافَ ابن عصفور بين الأندلس وإفريقية كان له أثره في كثرة تلاميذه، علاوة على أنه كان معلما بارعا، والدليل على ذلك كثرة تلاميذه، وشهرة شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم.

---

١) السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٤٠. وفخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٦٣

٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ١٨٠١/٢. السيوطي: بغية الوعاة، ص٧٩-٨٠. وابن عصفور: الممتع في التصريف، ٥/١

٣) السيوطي: بغية الوعاة، ص٤١٠

٤) المراكشي: الذيل والتكملة، ٤١٤/٥

٤. مصنفاته:

ألف علي بن مؤمن مصنفات كثيرة في النحو والصرف الأدب، ومن تصانيفه:

١- الأزهار: ذكره صاحب فوات الوفيات(١).

٢- إنارة الدياجي: ذكره صاحب فوات الوفيات(٢).

٣- إيضاح المشكل: ذكره بروكلمان(٣).

٤- البديع شرح المقدمة الجزولية: ذكره صاحب فوات الوفيات، وصاحب كشف الظنون(٤).

والجزولية هي المسماة بالقانون، صنفها أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي البربري النحوي، وكانت في الأصل حواشي على جمل الزجاج، ثم أفردوها في كتاب، وهي غاية في الإيجاز، مع الاشتمال على شيء كثير من النحو، وبقيت بعد أن شرحها العلماء عسيرة المنال، لا يفهم حقيقتها إلا أفاضل العلماء. وقال بعض العلماء ليس في الجزولية نحو، إنما هي منطق لدقة معانيها وغرابة تعاريفها، شرحها الإمام ابن عصفور ولم يكملها وأكملها الشلوبين الصغير(٥).

جميع الحقوق محفوظة

٥- سرقات الشعراء: ذكره صاحب فوات الوفيات(٦).

٦- السلك والعقيان وكرام اللؤلؤ والمرجان: نسبه إليه بروكلمان(٧).

٧- شرح الأشعار الستة. ولم يكمله ابن عصفور، وهو شرح لدواوين الشعراء الستة: امرئ القيس، والنابغة، وزهير، وعلقمة، وطرفة، وعنترة. وذكره السيوطي والكتبي وحاجي خليفة(٨).

٨- شرح الإيضاح: والإيضاح كتاب في النحو لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) شرحه ابن عصفور(٩).

---

١) الكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣

٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٣) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية رمضان عبد التواب، راجع الترجمة / السيد يعقوب بكر، القاهرة: دار المعارف، ٣٦٦/٥، ٢٤٨

٤) الكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣. وحاجي خليفة: كشف الظنون، ١٨٠١/٢

٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، ١٨٠٠/٢-١٨٠١

٦) الكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣

٧) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٣٦٦/٥

٨) ينظر: السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧. والكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣. وحاجي خليفة: كشف الظنون، ٢ /١٠٤١

٩ فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٦٥-٦٦

٩- شرح الجمل([1]): وكتاب الجمل للزجاج. وهو كتاب في النحو، غير أن حاجي خليفة يزعم أن كتاب الجمل الذي شرحه ابن عصفور للجرجاني. فهو يذكر أنه "مختصر يقال له الجرجانية، على خمسة فصول الأول في المقدمات، والثاني في عوامل الأفعال، والثالث في عوامل الحروف، والرابع في عوامل الأسماء، والخامس في أشياء منفردة وله شروح... ومنها شروح ثلاثة لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور"([2]).

١٠-شرح الحماسة: وهو شرح لديوان الحماسة الذي اختاره أبو تمام، ولكن ابن عصفور لم يتمه. ([3]).

١١-شرح ديوان المتنبي([4]).

١٢-شرح كتاب سيبويه: ذكره المراكشي([5])، وكان ابن عصفور قد لازم الشلوبين عشر سنين إلى أن ختم عليه كتاب سيبويه([6]).

١٣-مختصر الغرة: ذكره الكتبي([7]).

١٤-مختصر المحتسب: وهو كتاب في النحو لابن بابشاذ، ظاهر بن أحمد النحوي المتوفى سنة ٤٦٩. وقد بناه على عشرة أشياء: الاسم والفعل، والحرف، والرفع، والنصب، والجر، والجزم، والعمل، والتابع، والخط، شرحه المؤلف نفسه، واختصره ابن عصفور([8]).

١٥- المقرب في النحو: وهو من أشهر كتب ابن عصفور، انتشر ذكره في المشرق والمغرب. وقد أتى ابن سعيد المدلجي بنسخة منه من إفريقية. يقول: "وقد أتيت له من إفريقية بكتاب المقرب في النحو فتلقي باليمين من كل جهة، وطار بجناح الاغتباط"([9]).

وذكر الكتبي أن حدود هذا الكتاب مأخوذة من المقدمة الجزولية([10]).

١٦-الممتع في التصريف: صنف أبو الحسن كتاب الممتع، وقدمه إلى الأمير أبي بكر عبد الله بن أبي الأصبغ عبد العزيز بن صاحب الرد. وقد صرح بذلك في خطبة كتابه وأشاد

---

١) المراكشي: الذيل والتكملة، ٤١٤/٥. والسيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧

٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ٦٠٢/١-٦٠٣

٣) الكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣. وفخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٦٧

٤) الكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣

٥) المراكشي: الذيل والتكملة، ٤١٤/٥

٦) الكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣

٧) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٨) الكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣. وحاجي خليفة: كشف الظنون، ١٦١٢/٢. وفخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٦٨

٩) المقري: نفح الطيب، ١٨٤/٣. والكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣. والسيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧

١٠) الكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣

بالأمير([1]).

وقد بسط ابن عصفور، في هذا الكتاب، مسائل التصريف، بسطا مطنبا، مدعوما بالتعليل والتفسير والأدلة والشواهد. حتى قل أن يخلو من مسائله كتاب، من كتب المتأخرين، وكان أبو حيان النحوي شديد الإعجاب به، يقدمه على ما سواه، ولا يفارقه في الحل والترحال([2]).

١٧- المقنع: نسبه إليه بروكلمان. ومنه نسخة خطية في جامع القرويين بفاس تحت رقم ١١٩٥([3]).

١٨- منظومة في النحو: نسبه إليه بروكلمان([4]).

١٩- الهلال: ذكره الكتبي([5]).

٢٠- السالف والعذار: ذكره الكتبي([6]).

٢١- الضرائر الشعرية: طبع باسم: ضرائر الشعر في بيروت، دار الأندلس، سنة ١٩٨٠ م. بتحقيق السيد إبراهيم محمد([7]).

٢٢- شرح المقرب: لابن عصفور نفسه ولكنه لم يتم. وذكره الكتبي وحاجي خليفة([8]).

٢٣- كتاب المفتاح: ذكره الكتبي([9]).

٢٤- مثل المقرب: لابن عصفور نفسه([10]).

هذه هي الكتب التي ألفها ابن عصفور، وذكرتها المظانّ التي ترجمت له. ومن الواضح، من خلال استعراضنا لما ألف ابن عصفور، أن بعضا منها لم يصلنا ولم تعرف موضوعاتها على وجه التحديد، ومن هذه: المفتاح، والهلال، والأزهار، وإنارة الدياجي، ومفاخرة السالف والعذار، والبديع، وبعضا آخر منها لم يصلنا ولكن عنوانه يشير إلى موضوعه، وذلك مثل: شرح الجزولية في النحو، ومختصر المحتسب في النحو، وشرح الأشعار الستة، وشرح الحماسة، وسرقات الشعراء، وشرح سيبويه. وهناك قسم ثالث يتمثل في الكتب التي وصلتنا وهي: المقرب في النحو، وشرح المقرب، ومثل المقرب، والممتع في التصريف، وشرح الجمل

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ١/٢٢-٢٣

٢) السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧. والعماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٥/٣٣١

٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٥/٣٦٦

٤) المرجع نفسه: ص٣٦٧

٥) الكتبي: فوات الوفيات، ٣/١١٠

٦) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٧) ابن عصفور: المقرب، ص١٦

٨) الكتبي: فوات الوفيات، ٣/١١٠. وحاجي خليفة: كشف الظنون، ٢/١٨٠٥

٩) الكتبي: فوات الوفيات، ٣/١١٠

١٠) ابن عصفور: المقرب، ص١٨

الكبير، والمقنع، وشرح الجمل الصغير، وضرائر الشعر؛ وهي كتب تهتم بالنحو والصرف، والكتاب الأخير على الرغم الظاهر من عنوانه، فإن منهج ابن عصفور النحوي الصرفي شاع فيه. ولعل السبب في وصول هذه الكتب إلينا دون غيرها من مؤلفاته أنها تمثل المادة الأساسية التي توفر عليها ابن عصفور، وقام بتدريسها لتلاميذه، فانتقلت بين المتعلمين والمعلمين من عصر إلى عصر حتى وصلت إلينا سليمة كاملة. ولو كان لابن عصفور طلاب في الفروع الأخرى التي ألف فيها لوصلت إلينا أو لوصل إلينا بعض منها على الأقل(١).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١) أبو حيان الأندلسي: المبدع في التصريف، المقدمة، ص ١١-١٣. بتصرف قليل

٥. منزلته العلمية:

لازم علي بن مؤمن شيوخه العلماء، فأخذ عنهم علوم العربية وآدابها. ثم قعد للتدريس والبحث والتأليف، فقيل عنه إنه أصبر الناس على المطالعة(١). ونعت بأنه حامل لواء العربية في عصره. يقول الكتبي عنه إنه: "حامل لواء العربية بالأندلس"(٢). وقال فيه العماد الحنبلي أيضا إنه: "حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس"(٣). وقد كون علما في العربية، تشهد على هذا مصنفاته وتآليفه ففي النحو نرى كتبا كثيرة كالمقرب، وشروح الجمل، وشرح الإيضاح، وشرح كتاب سيبويه، وغيرها. قال المراكشي: "ومقربه في النحو شاهد بذكره للعربية، وإشرافه على مشهورها وشاذها"(٤). ويذكر المقري في نفح الطيب: "إليه انتهت علوم النحو، وعليه الإحالة الآن من المشرق والمغرب"(٥). وقيل فيه: "أبو الحسن الآن إمام بهذا الشأن في المغارب والمشارق، وهو حيث حل فعلمه نازل بالمحل الرفيع ومقابل بالبر الفائق"(٦). وصنف في علم الصرف. وكتاب الممتع شاهد على علمه الجم، وفي الأدب ألف الضرائر، وسرقات الشعراء، وشرح الحماسة، وغيرها. وهذا التنوع في التأليف في فروع العربية شاهد على قدرته على البحث وصبره على المطالعة.

جميع الحقوق محفوظة

ولما كان أبرع التلاميذ الذين تخرجوا على أبي علي الشلوبين، وأحسنهم تصنيفا في علوم العربية اتسعت رقعة شهرته، يقول المراكشي: "وكان ماهرا في علم العربية، ريان في الأدب، حسن التصرف، من أبرع من تخرج على أبي علي الشلوبين، وأحسنهم تصنيفا في علوم اللسان"(٧). فعندما انتشرت شهرته قعد للتدريس في إشبيلية وشريش ومالقة ولورقة ومرسية(٨). ومما رفع من شأنه وساعد في اتساع رقعة شهرته كثرة تجواله، يقول العماد الحنبلي: "تصدر للاشتغال بعدة بلاد وجال بالأندلس وأقبل عليه الطلبة"(٩). علاوة على أن تلاميذه كان لهم فضل في انتشار شهرة ابن عصفور، فمنهم من تونس، ومنهم من بلاد مختلفة في الأندلس. وقد جعل

---

١) ينظر: العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٣٣٠/٥. والكتبي: فوات الوفيات، ١٠٩/٣. والسيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧

٢) الكتبي: فوات الوفيات، ١٠٩/٣

٣) العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٣٣٠/٥

٤) المراكشي: الذيل والتكملة، ٤١٤/٥

٥) المقري: نفح الطيب، ١٨٤/٣

٦) ابن السعيد علي بن موسى: اختصار القدح المعلى، ص٩٦

٧) المراكشي: الذيل والتكملة، ٤١٤/٥

٨) الكتبي: فوات الوفيات، ١٠٩/٣

٩) العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٣٣٠/٥

من أعلام الطبقة الأولى في إشبيلية(١). وقرن اسمه بأمثال أبي علي الشلوبين وأبي الحسن الدباج، غير أنه ترك الشلوبين بعد منافرة بينهما، أدت إلى المقاطعة، واستقل عن شيوخه، وتصدر للتدريس(٢).

وقيل إن أستاذه الشلوبين، بسبب كثرة شهرته وسرعة تفوقه، نفس عليه، وأصبح يغض من شأنه، ومن ذلك، "روي أن أبا جعفر اللبلي قرىء عليه قول امرئ القيس:(من الكامل)

حيّ الحمولَ، بجانبِ العزلِ إذ لا يلائِمُ شكلُها شكلي

فقال الطلبة: ما العامل في هذا الظرف؟ يعني "إذ"، فتنازعوا القول. فقال حسبكم، قرئ هذا البيت على أستاذنا أبي علي الشلوبين، فسألنا هذا السؤال، وكان أبو الحسن ابن عصفور قد برع واستقل وجلس للتدريس، وكان الشلوبين يغض منه، فقال لنا: إذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل! يعني: ابن عصفور. فلما خرجنا سرنا إليه بجمعنا، ودخلنا المسجد، فرأيناه وقد دارت به حلقة كبيرة، وهو يتكلم بغرائب النحو، فلم نجسر على سؤاله لهيبته، وانصرفنا ثم جئنا بعد على عادتنا، إلى أبي علي، فنسي، حتى قرئ عليه قول النابغة: (من البسيط)

فَعُدّ عمّا ترى إذ لا ارتجاعَ لهُ وانمِ القتودَ على عيرانةٍ أجُدِ

فتذكر، وقال: ما فعلتم في سؤال ابن عصفور؟ فصدقنا له الحديث: فأقسم ألا يخبرنا ما العامل فيه"(٣).

يبدو واضحا، من خلال هذه الحادثة، أن الأستاذ الشلوبين قد قلل من شأن ابن عصفور. ولكن هذا التقليل ليس في محله، ونعته إليه بالجاهل لا يليق بابن عصفور؛ وذلك لأنه لازم الشلوبين عشر سنين، وكان الشلوبين يختص به، فإن كان ابن عصفور جاهلا، فجهله مردود على الشلوبين؛ لأن طول المدة التي مكثها ابن عصفور مع أستاذه الشلوبين قادرة على أن تجعله يسير على نهجه، ويتثقف بثقافته. ولكن هذا النعت لم يكن مقصودا بمعناه الحقيقي، وإنما خرجت من الشلوبين لأنه له أفضال عليه، ولكنهما تنافرا، فعز على الأستاذ أن يقابله طالبه بهذا الجفاء فحنق عليه. ولم يقصد أن يمتحنه لأنه نهل العلم على يديه. وهو يعلم إن كان طالبه ذكيا أو غبيا. والشلوبين من أفاضل علماء الأندلس، بل عندما ارتفع شأن ابن عصفور قرن بأعلام الأندلس أمثال الشلوبين والدباج. ومهما يكن من أمر، فعلى التلميذ أن يقدر أستاذه، ولا يتعالى على من

---

١) المقري: نفح الطيب، ٢/٢٧١

٢) السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧

٣) المقري: نفح الطيب، ٢/٢٠٩-٢١٠

كان سببا في اتساع علمه، واتساع رقعة شهرته. فيبدو أن ابن عصفور أصابه بعض الغرور، فحصلت بينه وبين أستاذه منافرة أدت إلى المقاطعة، فعز هذا على الشلوبين فأراد أن يحط من قدر ابن عصفور.

مما لا شك فيه أن شهرة ابن عصفور عمت العالم الإسلامي شرقا وغربا، فأصبح لعلمه ذكر لدى الجميع بفضل تآليفه وتلاميذه. وكان لمصنفاته اهتمام مذكور قديما وحديثا. فقديما لاحظنا في أثناء الحديث عن مصنفاته كيف قام أبو حيان الأندلسي باختصارها والتعليق عليها. وحديثا ما من باحث يبحث في علمي النحو والصرف إلا ويرجع إلى مؤلفات ابن عصفور، وها هو ذا القاضي ناصر الدين بن المنير جعله خاتم علماء النحو حين رثاه قائلا([1]): (من الرمل)

أسندَ النحوَ إلينا الدؤلي عن أميرِ المؤمنينَ البطل
بدأ النحوَ عليٌّ، وكذا قلْ بحقٍ: خَتَمَ النحوَ عليُّ

غير أن منزلة ابن عصفور العلمية هذه انتقصها بعض الأندلسيين الذين عاصروه أو جاؤوا بعده. فابن الزبير ينفي عنه أن يكون ذا معرفة بغير علوم العربية، فهو يقول: "لم يكن عنده ما يؤخذ عنه سوى العربية ولا تأهل لغير ذلك"([2])، بل قيل فيه: "لم يكن عنده ما يؤخذ عنه غير النحو ولا تأهل لغير ذلك"([3]).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

بل إن هذا الميدان نفسه لم يسلم له به علماء آخرون، فابن مالك (ت٦٧٢ هـ) صاحب الألفية يطعن في علمه وينسب إليه الجهل حينا، وقصور الضبط والإتقان حينا آخر. ففي تعليقه له على بناء "فعلان" من "رد" في كتاب الممتع يذكر أن ابن عصفور في هذه المسألة من أولها إلى أخرها، لا يفهم منها شيئا. وفي خاتمة نقده لذلك الكتاب يشير إلى كثرة الخطأ فيه، ويذكر أن بعض ذلك الخطأ هو من ابن عصفور نفسه، لأنه "ليس بالمتقن ولا الضابط المحصل"([4]).

ويذكر صاحب اختصار القدح المعلى أن ابن الحاج، أبا العباس أحمد بن محمد الإشبيلي، وهو معاصر لابن عصفور، يتهمه بأنه يسيء فهم كتاب سيبويه، على الرغم من أنه لازم الشلوبين عشر سنين حتى ختم عليه كتاب سيبويه، ثم تصدر لإقرائه. ويدعي أبو العباس هذا أنه هو الحارس لكتاب سيبويه من سقطات أبي الحسن، يقول: "إذا مت فعل أبو الحسن ابن عصفور

---

١) المقري: نفح الطيب، ٢/٧٠١

٢) الكتبي: فوات الوفيات، ٣/١٠٩-١١٠

٣) السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧

٤) فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٧٤

في كتاب سيبويه ما أراد، فإنه لا يجد من يرد عليه"(١).

ولم يفلت ابن عصفور من تتبع تلميذه أبي حيان الأندلسي، الذي عني بالمقرب والممتع وغيرهما من تصانيف ابن عصفور، فقد عنف أبو حيان في نقده لأستاذه ابن عصفور وينعى عليه تقليده للمتقدمين جهلا، وجسارته في إصدار الأحكام مع عدم حفظه لكتاب الله وأشعار العرب(٢).

ويذكر المقري في نفح الطيب أن أبا عبد الله محمد بن الأزرق الوادي قد حط من قدر أبي الحسن، وزعم أن ابن الضائع قد كسف شمسه وأخمد ذكره، يقول(٣): (من الطويل)

بضائعك، ابنِ الضائعِ الندبَ، قد أتت ... بحظٍ، من التحقيقِ والعلمِ، موفورِ
فطِرْتَ عقاباً، كاسراً، أوَ ما ترى ... مطارك قد أعيا جناحَ ابن عصفور

وقد حاول الكثيرون من العلماء تعقب ابن عصفور، ونسبوا إليه الأوهام والسقطات، غير أن جميع ما قيل فيه لا يستطيع – على ما فيه من حق أو باطل – أن ينال من منزلته، أو ينقص من قدره في تاريخ النحو العربي، وفي علوم العربية الأخرى من صرف وأدب، وتصانيفه دليل على ذلك.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

١) ابن السعيد، أبو الحسن علي بن موسى: اختصار القدح المعلى، ص٩٦. وينظر: فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٧٤

٢) ينظر: فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٧٤-٧٧. بتصرف

٣) المقري:نفح الطيب، ٧٠١/٢

٦. وفاته:

اختلف المؤرخون في ميتة ابن عصفور، وتاريخها، فالسيوطي، في بغيته، يذكر أنه توفي في سنة ثلاث وستين وستمائة، وقيل تسع وستين وستمائة(١). أما المراكشي فيذكر أنه توفي عام تسع وخمسين وستمائة(٢). أما حاجي خليفة، فقد ذكر أنه توفي سنة تسع وستين وستمائة(٣). وقال في موضع آخر إنه توفي عام ثلاثة وستين وستمائة(٤). ويبدو أن هذا التاريخ سقط سهوا في كشف الظنون. ويذكر الكتبي أنه توفي سنة تسع وستين وستمائة(٥).

ومن الراجح أنه توفي سنة تسع وستين وستمائة، وذلك لأن هذا التاريخ ورد عند أكثر من مترجم لحياة ابن عصفور. أما عن سبب وفاته ففيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنه مات في مجلس شراب، يقول السيوطي: "قال الصفدي ولم يكن عنده ورع وجلس في مجلس شراب، فلم يزل يرجم بالنارنج إلى أن مات"(٦).

وقد ورد مثل هذا القول عند الكتبي، فهو يقول: "كان الشيخ تقي الدين بن تيمية يدعي أنه لم يزل يرجم بالنارنج في مجلس الشراب إلى أن مات"(٧).

الثاني: رواه فخر الدين قباوة، نقلا عن الزركشي: يقول: "وكان سبب موته، فيما نقل عن الشيخ أحمد القلجاني، وغيره، أنه دخل على السلطان يوما، وهو جالس برياض أبي فهر، في القبة التي على الجابية الكبيرة. فقال السلطان، على جهة الفخر بدولته: قد أصبح ملكنا الغداة عظيما، فأجابه ابن عصفور بأن قال: بنا وبأمثالنا. فوجدها السلطان في نفسه. فلما قام الأستاذ ليخرج، أمر السلطان بعض رجاله أن يلقيه بثيابه في الجابية المذكورة، وكان ذلك اليوم شديد البرد. ثم قال لمن حضر: لا تتركوه يصعد، مظهرا للعب معه. وبعد صعوده أصابه برد وحمة، فبقي ثلاثة أيام، وقضى نحبه"(٨).

القول الأخير: ذكره أبو عبد الله المراكشي في الذيل والتكملة، يقول: "توفي بدار سكناه،

---

١) السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧. وابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ١٧٩/٢

٢) المراكشي: الذيل والتكملة، ٤١٤/٥

٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ٦٠٣/١، ١٨٠١/٢

٤) المرجع نفسه: ١٨٠٥/٢

٥) الكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣

٦) السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧. النارنج: ثمر، معرب نارنك. ينظر: الفيروز أبادي: القاموس المحيط، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى. ٢٠٩/١

٧) الكتبي: فوات الوفيات، ١١٠/٣

٨) فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٥٩

من قصبة تونس، بعد ظهر يوم السبت... ودفن عقب العصر من يوم وفاته"(١).

ويبدو من الصعب الجمع بين الروايات الثلاث، وذلك لأن الأولى ترى أن ابن عصفور كان سكيرا، مواظبا على مجالس الشراب، وهذا القول يتنافى مع جرأة ابن عصفور تجاه السلطان الذي وقف في وجهه وعراه من قوته وسلطانه، ونسبها لنفسه ولأمثاله من العلماء.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يقال إن ابن عصفور قد فسر جزءا من القرآن الكريم، يقول الغبريني في عنوان الدراية: "وأخبرني بعض أصحابنا، أنه شرح جزءا من كتاب الله العزيز، وسلك فيه مسلكا لم يسبق إليه من الأبرار والإصدار والأعذار، بما يتعلق بالألفاظ، ثم بالمعاني، ثم بإيراد الأسئلة الأدبية على أنحاء مستحسنة، وقال: لو أعانني الوقت وأمدني الله بالمعونة منه وأكمل هذا الشرح لكان ذخيرة العالم، وهو ممن له القدرة على ذلك، وهو أولى الناس بشرح كتاب الله تعالى"(٢).

ولكن يمكن الجمع بين الروايتين الثانية والثالثة بأنه عندما وقع تحت مداعبة السلطان الثقيلة التي نتم عن حقد شديد أصابته الحمى إلى أن مات. ومما يؤكد هذا الرأي، ما ذهب إليه ابن قنفذ في وفياته إذ يقول: "وفي سلخ تسع وستين وستمائة توفي الأستاذ أبو الحسن علي بن عصفور النحوي غريقا بتونس"(٣).

مركز ايداع الرسائل الجامعية - مكتبة الجامعة الاردنية

أما فخر الدين قباوة، فقد حاول الجمع بين الروايات الثلاث بقوله: "وقد كان من اليسير أن نجمع بين هاتين الروايتين – الأولى والثانية – ليزول الخلاف، فيكون أبو الحسن قد أصابته الحمى، بمداعبة السلطان له، فضعفت قواه ونحل جسمه، ثم كان مجلس الشراب بعد ثلاثة أيام، فلم يحتمل النارنج الذي رجم به، فقضى نحبه بين الشراب والنارنج. إذ قد عرف ابن عصفور بأنه لم يكن عنده ورع، يحول بينه وبين هذه المجالس... لقد كان الجمع بين هاتين الروايتين يسيرا، لولا ما يعترض سبيله من صعاب، فقد ذكر المراكشي أن ابن عصفور توفي بداره. ومجالس الشراب أكثر ما تكون في الليل، ولا سيما في أيام الشتاء الباردة، فهذه الرواية تتمم ما رواه الزركشي فيكون ابن عصفور قد لزم بيته بعد الحمى ثلاثة أيام حتى توفي فيه"(٤).

ولكن هذا الجمع الذي ذهب إليه قباوة يؤكد ولع الأستاذ بالخمر، وريادة مجالس الشراب حتى وهو في أصعب الظروف الصحية. فهو مصاب بالحمى إثر مداعبة السلطان له، ومع ما فيه من غيظ ومرض يذهب إلى مجالس الشراب. ويبدو أن قباوة اعتمد في هذا التحليل على قول ابن عصفور في شبابه: (من البسيط)

---

١) المراكشي: الذيل والتكملة، ٤١٤/٥

٢) الغبريني: عنوان الدراية، ص٣١٩

٣) ابن قنفذ: وفيات ابن قنفذ، تحقيق: عادل نويهض، ط٤، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣. ص٣٣١

٤) فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٥٩-٦٠

لما تدنسـت بالتفريط في كبري ... وصرت مغرى بشرب الراح واللعس
أيقنت أن خضاب الشيب أستر لي ... إن البياض قليل الحمل للدنس

وقد يكون ابن عصفور مولعا بالخمر وريادة مجالسها، ولكن ربما كان هذا في أيام شبابه، أما في أواخر عمره فيبدو أنه فيه إجحاف بحق ابن عصفور. وإن كان من المولعين بشرب الراح، فكيف كان يقرئ؟ كيف كان يؤلف ويبحث ويصنف؟ وهو الذي قيل فيه: "وكان أصبر الناس على المطالعة لا يمل من ذلك"(١).

غير أن قباوة نفسه ذهب إلى تحليل أقرب إلى العقل إذ يقول: "من المحتمل أن يكون السلطان قد أذاع بين الناس قصة مجلس الشراب والنارنج، ليخفي وراءها مصرع ابن عصفور بمداعبته الوحشية فلعل السلطان وأعوانه اختلقوا هذه القصة، وهم يعرفون ولوع ابن عصفور بالشراب، وأشاعوها بين الناس حتى وصلت إلى ابن تيمية وغيره"(٢).

ومهما يكن من أمر، فإن ابن عصفور توفي بسبب الحمى التي أصابته، وربما كانت بسبب مداعبة السلطان له فلزم بيته إلى أن مات. ويبدو أن هذه الروايات لا تنقص من شأن ابن عصفور المعلم، والمؤلف، وكامل لواء العربية. فقد توفي ابن عصفور مخلفا وراءه التآليف الكثيرة التي تشفع له إن كان سكيرا، وقد أسهم في نشر الثقافة العربية بين أبنائها، فكثرة تلاميذه تدل على علمه وسعة اطلاعه.

١) العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٥/٣٣٠.والكتبي: فوات الوفيات،٣/١٠٩.والسيوطي: بغية الوعاة، ص٣٥٧
٢) فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص٦٠

الفصل الثاني

القضايا الصوتية عند ابن عصفور

١. عدد الحروف

أ. الحروف الأصول

ب. الحروف المستحسنة

ج. الحروف غير المستحسنة

٢. مخارج الحروف

٣. صفات الحروف

الجهر

الهمس

الشدة

الرخاوة

بين الشدة والرخاوة

الإطباق

الانفتاح

الاستعلاء

الانخفاض

المكرر

غير المكرر

المنقلقلة

الإشراب

ما ليس فيه قلقلة ولا إشراب

المهتوت

غير المهتوت

الذلاقة

الإصمات

الاستطالة

عدم الاستطالة

الانحراف

عدم الانحراف

الغنة

عدم الغنة

٤. الدرس الصوتي الحديث وابن عصفور

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

القضايا الصوتية عند ابن عصفور

تناول ابن عصفور مجموعة من القضايا الصوتية في كتابيه، الممتع في التصريف والمقرب، وتتمثل هذه القضايا بما يأتي:

أولا: عدد الحروف.

ثانيا: مخارج الحروف.

ثالثا: صفات الحروف.

ومن المعلوم أن القضايا الصوتية، عند القدماء، قد عولجت من خلال موضوع الإدغام، وهذا الموضوع، أي الإدغام، ومعه موضوعا الإعلال والإبدال من الموضوعات التي تتضافر في إنشائها مباحث الصرف والصوت.

وسأحاول- قدر الإمكان – معالجة هذه القضايا بالترتيب كما وردت عند المؤلف.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أولا: عدد الحروف عند ابن عصفور:

عالج ابن عصفور هذه القضية من خلال إدغام المتقاربين في كتابيه الممتع في التصريف والمقرب. فشرع يحصي حروف العربية، ويقسمها إلى أصول وفروع، ومن الفروع ما هو مستحسن ومنها ما هو غير مستحسن([1]).

أ. الحروف الأصول:

أما بالنسبة للحروف الأصول، عند ابن عصفور، فهي تسعة وعشرون حرفا، يقول: " فحروف المعجم الأصول تسعة وعشرون حرفا، أولها الألف وأخرها الياء على المشهور من ترتيب حروف المعجم "([2]).

وقد سبق للخليل بن أحمد، أن تحدث عن هذه الحروف، في مقدمة كتابه العين. فقرر أنها تسعة وعشرون حرفا. يقول: " في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة"([3]).

فالخليل (١٧٠ هـ) يقرر أن عدد الحروف تسعة وعشرون، ولكنه يختلف عن ابن عصفور في التمييز بين هذه الحروف، فهي عنده قسمان: حروف صحاح، وأحرف جوف، أو هوائية، فالأولى لها مدارج وأحياز، والأخرى لا مدارج لها ولا أحياز.

ويتفق ابن عصفور في ذلك أيضا مع ابن جني، حيث ذكر الأخير في باب "أسماء الحروف" أن عدد الحروف تسعة وعشرون حرفا. فهو يقول:" اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا. فأولها الألف وآخرها الياء"([4]).

ولكن ابن عصفور يختلف مع المبرد في عدد الحروف الأصول فهي، عند المبرد، ثمانية وعشرون حرفا. وقد أورد ذلك في باب "مخارج الحروف" حيث قال:" اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفا، منها ثمانية وعشرون لها صور"([5])، والسبب في نقص عدد الحروف عند أبي العباس إلى عددها عند ابن عصفور وسابقيه من علماء اللغة أنه أسقط الهمزة من الحروف الأصول،وحجته في ذلك أن الهمزة لا تثبت على صورة، فهي عنده من قبيل الضبط غير أن ابن عصفور فند قول المبرد، وتعته بالفساد، وأورد العلل على فساد قوله بما يأتي:

---

١) ينظر:ابن عصفور: الممتع في التصريف،٦٦٣/٢

٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٣) العين: سلسلة المعاجم والفهارس، تحقيق مهدي المخزومي وزميله. (د.م) ٥٧/١

٤) ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق محسن هنداوي، دمشق: دار العلم، ١٩٨٥. ٤١/١

٥) أبو العباس المبرد: المقتضب، (د.ط) تحقيق عبد الخالق عضيمة، بيروت،عالم الكتب(د.ت) ١٩٢/١

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

١. توجد جذور ثلاثية في العربية تبدأ بالهمزة مثل(أكل) و(أخذ) و(أمر) وغيرها ولو لم تكن الهمزة حرفا، لكانت هذه الكلمات على أصلين، وهذا باطل، لان أقل أصول الكلمة ثلاثة أحرف: فاء وعين ولام.

٢. يرى ابن عصفور أن تسهيل الهمزة سبب في عدم استقرار صورتها على حال واحدة، لأنها كتبت حسب تسهيلها، ولولا ذلك لكانت على صورة واحدة وهي الألف. والدليل على ذلك أن الموضع الذي لا تسهل فيه تكتب ألفا، بأي حركة تحركت وذلك إذا كانت أولا مثل:(أحمد) (أبلم) (إثمد).

٣. إن أسماء حروف المعجم موضوعة على أن يكون في أول الاسم لفظ الحرف المسمى بذلك الاسم، نحو(جيم) و(دال) و(ياء) فالألف اسم للهمزة لوجود الهمزة في أوله. أما ألف المد فهي ساكنة فلم يتمكن ذلك في اسمها ولا يبتدأ بساكن، فسميت ألفا باسم أقرب الحروف إليها في المخرج، وهو الهمزة.

جميع الحقوق محفوظة

٤. الهمزة حرف، وليست من قبيل الضبط، كما ادعى المبرد، لان الضبط لا يتصور النطق به إلا في حرف. والهمزة يتصور النطق بها وحدها كسائر الحروف([1]).

ومما يثبت صحة ما قاله ابن عصفور، قول الزمخشري (ت٥٣٨ هـ) وشارح مفصلة ابن يعيش (ت٦٤٣ هـ): " اعلم أن حروف المعجم عند الجماعة تسعة وعشرون حرفا، على ما هو المشهور من عددها، أولها الهمزة، ويقال لها الألف فلفظها مختلف وصورتها وصورة الألف اللينة واحدة. وكان أبو العباس المبرد يعدها ثمانية وعشرين حرفا، أولها الباء وآخرها الياء، ويدع الهمزة من أولها لأنها لا صورة لها، والصواب ما ذكره سيبويه وأصحابه، من أن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفا أولها الهمزة وهي الألف"([2]).

ويتضح، من الآراء السابقة، أن سيبويه وأصحابه، ومن بينهم ابن عصفور، كانوا على صواب في عد الهمزة حرفا. وحجج ابن عصفور كانت أكثر إقناعا وتوضيحا من حجة المبرد.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن عصفور لم يفرق بين الحرف والصوت، كما فعل علماء الدرس الصوتي الحديث، فالحرف، في مسار الدرس الصوتي العربي، يقابله، عند الأوروبيين،

---

١) ينظر:ابن عصفور:الممتع في التصريف،٢/٦٦٣-٦٦٤.وابن جني: سر صناعة الإعراب ١/٤٠-٤٢.

٢) ابن يعيش:شرح المفصل،(د.ط)بيروت:عالم الكتب،(د ت) ١٠/١٢٦

مصطلح (فونيم)، فالصوت هو الطاقة المنقولة عبر الوسط الهوائي إلى أسماعنا وإحساسنا،حاملة صوت الحرف إلى أسماعنا، وأذهاننا عبر ذبذباته الصوتية(١)، وقد فرق تمام حسان بين الصوت والحرف، ويمكن حصر هذه الفروق بما يأتي:

١. الحروف وحدات من نظام، وهي أقسام ذهنية لأعمال نطقية كما هو الصوت.والفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت، وبين الإدراك الذهني الذي للحرف.

٢. الصوت ينطق فيكون نتيجة تحريك أعضاء الجهاز النطقي، وما يصاحب هذا التحريك من آثار سمعية،ولكن الحرف لا ينطق وإنما يفهم في إطار نظام من الحروف يسمى النظام الصوتي للغة.

٣. العلاقة بين الأصوات والحروف مثل الطلاب والصفوف فالحرف عنوان لمجموعة من الأصوات، كما أن الصف عنوان لمجموعة من الطلاب.فالصف يضم خالدا وعمرا وبكرا والحرف يضم عددا من العمليات النطقية،والصف يسمى باسم معين كالصف الأول أو الثاني ويسمى الحرف باسم معين كالألف أو الباء.

٤. الصوت جزء من تحليل الكلام والحرف جزء من تحليل اللغة.(٢)

رسالة جامعية
الجامعة الاردنية

ويظهر، مما سبق، أن ابن عصفور لم يهتد إلى الفرق بين الحرف و الصوت، بل أطلق الحرف على كل ما يتعلق بالصوت.و يبدو أن مصطلح الفونيم، الذي ظهر عند الغربيين، كان سببا في اهتداء علماء الأصوات المحدثين إلى الفروق الدقيقة بين الحرف والصوت.ويذهب عبد الصبور شاهين إلى أن مصطلح الفونيم، من أعقد ما واجه العلماء من مصطلحات،عندما أرادوا تحديد مفهومه،على الرغم من أن ترجمته إلى العربية واضحة،وتأتي الصعوبة عند تفسير الأساس الذي تقوم عليه هذه الوحدة الصوتية.

ثم تناول تحديد الفونيم وتعريفه عدد من العلماء، ويمكن إجمال هذه التعريفات حسب علمائها، فعند دوسوسير الفونيم هو:" مجموع التأثيرات السمعية،والحركات النطقية للوحدات المسموعة والوحدات المنطوقة،كل منها بشرط الآخر"(٣).

---

١) ينظر: محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، عمان: منشورات جامعة القدس المفتوحة،١٩٩٧. ص:١٢

٢) ينظر :تمام حسان:اللغة العربية معناها ومبناها،الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٣م. ص:٧٣-٧٤

٣) عبد الصبور شاهين:في علم اللغة العام، ط٣، بيروت،مؤسسة الرسالة،سنة ١٩٨٠،ص:١١٩

فدوسوسير حدد الفونيم على أساسين:الأساس السمعي والأساس النطقي.أما تروبتسكوي فيعرف الفونيم بأنه " أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس"([1]).

ويعرفه دانيال جونز بأنه:"عائلة، أو أسرة من الأصوات، في لغة معينة،متشابهة الخصائص، ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة من الكلمات في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها"([2]).

ويبدو من الصعب حصر التعريفات التي أطلقت على الفونيم، نظرا لاختلاف وجهات النظر حوله،وهذا الاختلاف بالطبع سيجلب اختلافا حول مفهومه، ويمكن تعريف الفونيم بأنه أصغر وحدة صوتية قادرة على تغيير الدلالة.

فالحروف الأصول عند ابن عصفور، هي الفونيمات عند علماء الدرس الصوتي الحديث، فهي القادرة على تغيير المعاني، ولكن ابن عصفور اختلف عن المحدثين في عدد الفونيمات وتقسيمها، ويبرز الخلاف عند ابن عصفور لأنه لم يعد الحركات من ضمن الفونيمات، على الرغم إنها قادرة على تغيير المعنى (فكتب) تختلف في المعنى(كتّب) فالفتحة والضمة والكسرة تعد كل واحدة منها فونيما. وابن عصفور لم يميز بين أقسام الفونيمات، كما فعل المحدثون، فقد قسمت عند المحدثين إلى فونيمات تركيبية وفونيمات فوق تركيبية([3]). ويبدو أن ابن عصفور لم يتعرض إلى القسم الثاني من الفونيمات وأقصد به الفونيمات فوق التركيبية. وهذا لا يعني عدم معرفة العلماء القدامى لهذا النوع من الفونيمات،ويبدو أنهم تناولوه في غير هذا الموضع من الدراسة مثل العروض، أو النحو العربي.

وتتألف اللغة العربية عند المحدثين من أربعة وثلاثين فونيما تركيبيا موزعة على النحو التالي:

١. ستة وعشرون فونيما للصوامت.
٢. ستة فونيمات للحركات القصيرة والطويلة.
٣. فونيمان لأنصاف الحركات.([4])

---

١) عبد الصبور شاهين:في علم اللغة العام ، ص:١٢١

٢) محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص١٣٢

٣) الفونيم التركيبي:هو كل صوت يشترك في تركيب الكلمة وقادر على تغيير المعنى إذا حل محل صوت آخر.أما الفونيم غير التركيبي: فهو ملامح صوتية يتأثر به أكثر من فونيم تركيبي ولا يدخل ضمن التركيب.

٤) ينظر :إبراهيم أنيس:الأصوات اللغوية ط ٥،مكتبة الأنجلو المصرية،سنة ١٩٧٥ ص:٢٧-٤٢

وينظر أيضا:عبد القادر عبد الجليل:الأصوات اللغوية،عمان،دار الصفاء،سنة ١٩٩٨.ص ١٠٦.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب. الحروف المستحسنة:

يضيف ابن عصفور إلى الأصول التسعة و العشرين ستة أفرع أصلها منها،ويذكر أنها ترد كثيرا في الكلام،ويؤخذ بها،وتستحسن في قراءة القرآن الكريم والشعر العربي يقول:"وقد تبلغ الحروف خمسة وثلاثين حرفا بفروع حسنة،تلحقها، ويؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام"(١).

وهذا ما جاء به سيبويه في كتابه حيث ذكر ستة أفرع مستحسنة في قوله:" وتكون خمسة وثلاثين حرفا. بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار"(٢).

ويؤكد ما جاء به ابن عصفور صاحب كتاب المفصل وشارحه ابن يعيش، حيث يقول: "فحروف العربية الأصول تلك التسعة والعشرون ويتفرع منها ستة مأخوذ بها في القرآن وكل كلام فصيح"(٣).

ويختلف ابن عصفور مع المبرد في عدد الحروف المستحسنة فهي، عند المبرد، عددها سبعة حيث يذكر: " إن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفا،منها ثمانية وعشرون لها أصول والحروف السبعة جارية على الألسن امثلتها عليها في الخط بالعلامات"(٤).

وقد أحصى ابن عصفور هذه الحروف في كتابه الممتع في التصريف، والمقرب، وهي عنده كالأتي:

أ- **النون الخفيفة:** وهي النون الساكنة إذا كان بعدها حرف من الحروف التي تخفى معه. وقد وردت هذه النون عند سيبويه باسم الخفيفة. في حين وردت في شرح المفصل بوصفين هما الخفيفة أو الخفية حيث قال: "وهي النون الساكنة التي هي غنة في الخيشوم نحو(عنك) وتسمى الخفية و الخفيفة "(٥).

وقد تحدث تمام حسان عن هذه النون، وفرق في المعنى بين الخفيفة والخفية حيث قال: " فالخفية هي نون الإخفاء قبل حروف الفم وهي التاء، والثاء، والجيم، والدال، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والفاء، والقاف، والكاف. وأما الخفيفة فهي

---

١) ابن عصفور:المقرب،ص٣٤٣

٢) سيبويه:كتاب سيبويه،٤/٤٣٢

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/١٢٦

٤) أبو العباس المبرد: المقتضب، ١/١٩٢

٥) ابن يعيش:شرح المفصل، ١٠/١٢٦

إحدى نوني التوكيد "(١).

ب- **الهمزة المخففة:** ذكرها ابن عصفور في الممتع والمقرب، ولم يوضحها في الأول أما في الأخير فقام بتعريفها حيث قال "وهي المجعولة بينها وبين الحرف الذي منه حركتها، وذلك جائز في كل همزة متحركة تكون بعد ألف أو بعد حركة، ما لم تكن مفتوحة مكسورا ما قبلها فتبدل ياء أو مضموما فتبدل واوا "(٢).

أما سيبويه فقد وصفها بالهمزة التي بين بين، ولم يعرفها، ولم يضرب لها مثالا في هذا الموضع.ولكنه ذكرها في باب الهمزة حيث قال:" اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة وألف الساكنة ... وذلك قولك(سأل) في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم، وقد قرأ قبـــل،[بين بين] "(٣).

ويبدو من كلام سيبويه أن معنى(بين بين) أن تخرج الهمزة من مخرجين، مخرجها ومخرج الحرف الذي منه حركتها.فمثلا إذا كانت مفتوحة جعلت متوسطة في إخراجها بين الهمزة والألف، مثل سال في مثال، وإذا كانت مضمومة جعلت متوسطة بين الضمة والواو مثل لوم تخفيف لؤم.يقول في ذلك:" إذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة. ألا ترى أنك لا تتم الصوت ههنا وتضعفه لأنك تقربها من الساكنة، ولولا ذلك لم يدخل الحرف وهن، وذلك قولك:يئس وسئم "(٤).

ج- **ألف التفخيم:** وهي الألف التي ينحى بها نحو الواو. هكذا وردت عند ابن عصفور في الممتع، أما في المقرب فلم يعرفها، وإنما ورد ذكرها فقط(٥).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذه الألف، ولكن سيبويه ذكر أمثله لتوضيحها حيث قال:" ألف التفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة و الزكاة و الحياة "(٦).

---

١) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص٥٣

٢) ابن عصفور: المقرب، ص٣٤٨.

٣) سيبويه: كتاب سيبويه، ٣/٥٤١-٥٤٢

٤) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٥) ينظر: ابن عصفور الممتع في التصريف، ٢/٦٦٥، وينظر أيضا: المقرب، ص٣٤٨

٦) سيبويه: كتاب سيبويه، ٤/٤٣٢

وقد وردت هذه الألف عند ابن جني فقال: "هي التي تجدها بين الألف وبين الواو "(١).

أما في الشافية فلم يذكرها ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) وإنما ذكر بدلا منها لام التفخيم، ولكن الإستراباذي (ت٦٨٦ هـ) ذكرها حيث قال:" ولم يذكر المصنف ألف التفخيم، وذكرها سيبويه في الحروف المستحسنة، وهي الألف التي ينحى بها نحو الواو، كالصلوة والزكوة والحيوة، وهي لغة أهل الحجاز، وزعموا أن كتبهم لهذه الكلمات بالواو على هذه اللغة "(٢).

ويبدو أن تمام حسان كان أكثر وضوحا في تناول هذه الألف حيث قال: " ألف التفخيم بلغة أهل الحجاز: هي ألف تستدير في نطقها الشفتان قليلا مع اتساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل، ويرتفع مؤخر اللسان قليلا فيصير الفم في مجموعة حجرة رنين، صالحة لإنتاج القيمة الصوتية التي نسميها التفخيم على لغة أهل الحجاز، حتى إن بعض الألفات المفخمة على لغة الحجازيين، في مثل كلمتي الصلاة والزكاة، لما جاورت أصواتا غير مفخمة، فخشي مدونو القرآن على تفخيم الألف فكتبوها في صورة الواو ليعلم القارئ أن هذه الألف مفخمة "(٣).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

د- **ألف الإمالة:** لم يوضحها ابن عصفور في الممتع واكتفى بذكرها، أما في المقرب فقد أسهب في توضيحها، وتوضيح الباب الذي تنتمي إليه وهو باب الإمالة. وعرفها بقوله: "وهي كل ألف ينحى بها نحو الياء، وبالفتحة التي قبلها نحو الكسرة "(٤).

وأطلق عليها سيبويه الألف التي تمال إمالة شديدة. وقد تحدث عنها في باب ما تمال فيه الألفات فقال: "الألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور. وذلك قولك:عابد، وعالم"(٥).

وقد وردت هذه الألف عند ابن جني حيث قال: "أما ألف الإمالة التي تجدها بين الألف والياء، نحو قولك في عالم وخاتم:عالم وخاتم "(٦).

ويبدو أن سبب الإمالة التماس الخفة في النطق،لأنهم يقربون الفتحة الطويلة إلى الكسرة

---

١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٥١/١

٢) رضي الدين الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين،(د.ط) سنة ١٩٧٥،٣/ ٢٥٥

٣) تمام حسان: اللغة العربية،ص٥٣

٤) ابن عصفور: المقرب، ص٣٤٨

٥) سيبويه: الكتاب،١١٧/٤

٦) ابن جني: سر صناعة الإعراب٥٠/١

جدول رموز الكتابة الصوتية

نوع الصوت	اسم الصوت	الرمز العربي	الرمز الدولي	وصف الصوت
السواكن أو الصوامت	الهمزة	ء	ɔ	حنجري انفجاري لا مجهور ولا مهموس(على بعض الآراء)
	الباء	ب	b	شفوي ثنائي انفجاري مهموس
	التاء	ت	t	أسناني لثوي انفجاري مهموس
	الثاء	ث	θ	أسناني احتكاكي مهموس
	الجيم	ج	g	غاري احتكاكي مجهور(الجيم الشامية)
	الحاء	ح	h	حلقي احتكاكي مهموس
	الخاء	خ	x	طبقي احتكاكي مهموس
	الدال	د	d	أسناني لثوي انفجاري مجهور
	الذال	ذ	ð	أسناني احتكاكي مجهور
	الراء	ر	r	لثوي مكرر مجهور
	الزاي	ز	z	لثوي احتكاكي مجهور
	السين	س	s	أسناني لثوي احتكاكي مهموس
	الشين	ش	š	غاري احتكاكي مهموس
	الصاد	ص	ṣ	أسناني لثوي احتكاكي مهموس مطبق
	الضاد	ض	ḍ	أسناني لثوي انفجاري مجهور مطبق
	الطاء	ط	ṭ	أسناني لثوي انفجاري مهموس مطبق
	الظاء	ظ	ẓ	أسناني احتكاكي مجهور مطبق
	العين	ع	c	حلقي احتكاكي مجهور
	الغين	غ	ɣ	طبقي احتكاكي مجهور
	الفاء	ف	f	أسناني احتكاكي مهموس
	القاف	ق	q	لهوي انفجاري مهموس
	الكاف	ك	k	طبقي انفجاري مهموس
	اللام	ل	l	لثوي جانبي مكرر
	الميم	م	m	شفوي ثنائي أنفي مجهور
	النون	ن	n	لثوي أنفي مجهور
	الهاء	هـ	h	حنجري احتكاكي مهموس

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

نوع الصوت	اسم الصوت	الرمز العربي	الرمز الدولي	وصف الصوت
أنصاف الحركات	الواو	و	w	طبقي أو شفوي ثنائي مجهور
	الياء	ي	y	غاري مجهور
الحركات	الكسرة الخالصة	ـِ	i	أمامية ضيقة
	الكسرة الطويلة	ي	i:/ii	أمامية ضيقة
	الفتحة القصيرة	ـَ	a	أمامية واسعة(المرققة)
	الفتحة الطويلة	ا	aa/:a	أمامية واسعة
	الضمة القصيرة	ـُ	u	خلفية ضيقة(الخالصة)
	الضمة الطويلة	و	u:/uu	خلفية ضيقة

(١)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

ويمكن تفسير هذه الظاهرة النطقية على النحو التالي:

وقعت الشين، وهي صوت مهموس، ساكنة قبل صوت مجهور متحرك نحو: أشغال aal | šˇ aš د. علاوة على أنها وقعت ساكنة في نهاية مقطع. ووقع صوت الغين المجهور في بداية مقطع مما أضعف صوت الشين، وزاد في قوة صوت الغين. فأثر صوت الغين المجهور في صوت الشين المهموس تأثيرا رجعيا. وقد ترتب على ذلك طروء صفة "التجهير" على صوت الشين، مما أدى إلى انقلابه، تقريبا، إلى مقابله المجهور والمقابل لصوت الشين وهو صوت الجيم(٢).

و- الصاد التي كالزاي:ذكرها ابن عصفور في كتابيه الممتع والمقرب وأورد لها المثال التالي وهو:(مزْدر) في(مصدر) ولكنه لم يفسرها(٣).

أما سيبويه فقد ذكرها في باب عدد الحروف العربية حيث أطلق عليها الصاد التي تكون كالزاي ولم يوضحها ولم يمثل لها(٤). ولكنه وضحها في باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه حيث قال: " الصاد الساكنة إذا كان بعدها الدال. وذلك نحو مصدر، وأصدر،

---

١) ينظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٣٧.وينظر أيضا: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي،ص٢٦٧،ص٢٦٨. وينظر أيضا: محمد جواد النوري: فصول في علم اللغة،ص٢٧٢-٢٧٦.

٢) ينظر: محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص١٣٥. بتصرف قليل

٣) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٦٥/٢. وينظر أيضا: المقرب،ص٣٤٨

٤) سيبويه: الكتاب،٤٣٢/٤

والتصدير... فجعلوا الأول تابعا للآخر، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهو الزاي، لأنها مجهورة غير مطبقة. ولم يبدلوها زايا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق "(١).

وقد كان ابن جني في تناول هذا الصوت أكثر وضوحا من ابن عصفور حيث قال:" وأما الصاد التي كالزاي فهي التي يقل همسها قليلا، ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي وذلك قولك في يصدر، يصدر ومن العرب من يخلصها زايا، فيقول: يزدر"(٢).

ويمكن تفسير هذه الظاهرة النطقية كما يأتي:

الصاد: صوت مفخم مهموس، والدال: صوت مجهور. فأشربت الصاد صوت أقرب الحروف من مخرجها وهي الزاي المجهورة لتوافق الدال في صفة الجهر فيحدث بينهما انسجام.

ويبدو أن ابن عصفور لم يفرق بين الحرف الذي يقابله في الدرس الصوتي الحديث (الفونيم) وبين الصوت الذي يقابله مصطلح(ألفون) وهذه التي أطلق عليها ابن عصفور الحروف المستحسنة فهي ليست حروفا ولو كانت كما نعتها لوجد ما يرمز لها في الكتابة ولكن ابن عصفور مال إلى السير على نهج السابقين من علماء اللغة دون أن يغير حتى في التسمية، أو في الأمثلة الواردة لبيان كل حرف مما ذكره بل إنها امثلة وردت عند سيبويه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهنا يبرز خلاف بين ابن عصفور والمحدثين حول هذه التسمية فابن عصفور يطلق عليها مصطلح حروف، والدرس الصوتي الحديث يطلق عليها مصطلح ألوفونات أو مصطلح ديافونات.

ويمكن تصنيف هذه الأصوات موضع الدراسة حسب التسميات السابقة. فالتنوع الصوتي السياقي، الذي يطرأ على نطق الفونيم هو من قبيل الألفونات مثل النون الخفيفة أو الخفية التي تظهر وتخفى حسب ما يجاورها من فونيمات، والصاد التي كالزاي في مزدر هي من قبيل هذا أيضا(٣).

أما الديافون فهو: "التنوع اللهجي الذي يتخذه فونيم ما، على لسان الناطقين باللهجات المختلفة للغة ما"(٤). ويمكن اعتبار الهمزة بين بين عند ابن عصفور من هذا القبيل، أي: الديافون.

---

١) سيبويه: الكتاب ،ص٤٧٧

٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/٥٠

٣) جواد النوري وعلي خليل حمد: فصول في علم الأصوات، نابلس: مطبعة النصر التجارية،١٩٩١م. ص١٢١

٤) المرجع نفسه: ص١٢٢

ج. الحروف غير المستحسنة:

بعد أن انتهى ابن عصفور من ذكر الحروف المستحسنة، شرع بذكر الحروف غير المستحسنة ووصفها بأنها ضعيفة، ولا يؤخذ بها في قراءة القرآن الكريم و الشعر العربي.

يقول:" وقد تبلغ ثلاثة وأربعين حرفا بفروع غير مستحسنة، ولا مأخوذ بها في القرآن ولا في الشعر. ولا تكاد توجد إلا في لغة مرذولة"(١).

وقد وردت هذه الحروف عند سيبويه ولكنه عدها اثنين وأربعين، لأنه اعتبر الجيم التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف صوتا واحدا حيث قال:" وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن الكريم ولا في الشعر"(٢).

والحروف غير المستحسنة عند ابن عصفور هي:

١- الكاف التي كالجيم: يرى ابن عصفور أن هذا الحرف لغة في اليمن، وفي عوام أهل بغداد يقولون في(جمل) :(كمل)(٣).

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد ذكر سيبويه هذا الحرف وأطلق عليه " الكاف التي بين الجيم والكاف"(٤). ولم يوضحه ولم يمثل له.

أما ابن يعيش في شرح المفصل، فلم يختلف عن ابن عصفور في شيء، فكلاهما نقل عن ابن دريد حيث قال:(الكاف التي بين الجيم والكاف) فقال ابن دريد: " هي لغة في اليمن يقولون في جمل كمل وفي رجل ركل، وهي في عوام أهل بغداد فاشية شبيهة باللثغة)(٥).

٢- الجيم التي كالكاف: يرى ابن عصفور أنها بمنزلة السابقة فيقول في رجل(ركل) ويبدو أن ابن عصفور لم يوضح الفرق بين الحرفين، وواضح من الأمثلة الواردة عنده أن لا فرق بين الحرفين.

ولكن من الواضح من التسمية إن الكاف التي كالجيم تقلب الجيم إلى كاف،نحو:قولهم في

---

١) ابن عصفور: المقرب، ص٣٥٤ وينظر: الممتع في التصريف، ٦٦٥/٢

٢) سيبويه: كتاب سيبويه، ٤٣٢/٤

٣) ينظر: ابن عصفور في الممتع في التصريف، ٦٦٥/٢

٤) سيبويه: الكتاب، ٤٣٢/٤

٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٢٧/١٠

أجمل: أكمل، وفي الجيم التي كالكاف يحصل العكس فتقلب الكاف إلى الجيم كقولك في(كافر):(جافر).

وقد ورد هذا الحرف عند سيبويه وجعله مع الكاف التي كالجيم حرفا واحدا، أما ابن يعيش فقد ذكره منفصلا عن الكاف التي كالجيم شأنه شأن ابن عصفور ولكنه لم يمثل له([1]).

٣- الجيم التي كالشين: ذكرها ابن عصفور في كتابيه، وبين كيفية نطقها كما في(اشتمعوا و أشدر)، يريد اجتمعوا وأجدر([2]).

وقد وردت هذه الجيم عند سيبويه ولكنه لم يمثل لها، ولم يوضحها([3]) .

ويبدو أن الإستراباذي كان أكثر وضوحا في تناوله لهذا الحرف من ابن عصفور، حيث قال:"وإنما استهجن الجيم التي كالشين؛ لأنها إنما يفعل ذلك بها إذا سكنت وبعدها دال أو تاء، نحو اجتمعوا و أجدر فليس بين الجيم والدال، ولا بينها وبين التاء تباين"([4]).

ويؤيد ما جاء به الإستراباذي، شارح المفصل، ابن يعيش، فقد تناول هذا الحرف بوضوح وجلاء، أما ابن عصفور فاكتفى بالذكر، والمثال دون تفسير لهذه الظاهرة النطقية. يقول ابن يعيش:" الجيم التي كالشين فهي تكثر في الشين الساكنة إذا كان بعدها تاء أو دال، نحو قولهم في اجتمعوا و الأجدر: اشتمعوا والأشدر، فتقرب الجيم من الشين، لأنهما من مخرج واحد، إلا أن الشين أبين و أفشى"([5]).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وواضح، مما سبق، أن هذا الصوت، جاء عكس المألوف، ولهذا وصف بغير المستحسن، لأنه لا يوجد تنافر بين الجيم والدال، فالجيم، عند القدماء، صوت مجهور شديد، وعند المحدثين صوت مركب(شديد-رخو)، والدال صوت شديد مجهور، فصفات الجيم أقرب إلى الدال من صفات الشين المهموسة الرخوة. ففي هذه الظاهرة جمع بين المتنافرين.

٤- الطاء التي كالتاء: يرى ابن عصفور أنها تسمع من عجم أهل المشرق؛ لأن الطاء في لغتهم معدومة، ومثل لها بقوله:(تال) في(طال)([6]).

وقد وردت هذه الطاء عند سيبويه، ولكنه لم يوضحها([7]).

---

١) ينظر: سيبويه الكتاب،٤/ ٤٣٢. وينظر أيضا: ابن يعيش: شرح المفصل، ١٢٧/١٠

٢) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٦٦/٢. والمقرب، ص٣٥٤

٣) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤٣٢/٤

٤) الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب،٢٥٧/٣

٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٢٨/١٠

٦) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٦٦٦/٢

٧) سيبويه: الكتاب، ٤٣٢/٤

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في هذه الطاء حيث قال ابن يعيش: " أما الطاء التي كالتاء فإنها تسمع من عجم أهل العراق كثيرا، نحو قولهم في(طالب)(تالب) لان الطاء ليست من لغتهم"(١)

فابن عصفور لم يفسر هذه الظاهرة النطقية، ولم يذكر سببا لها إلا مخالطة الأعاجم، ولكن هناك شبه كبير بين الطاء والتاء من حيث المخرج، والصفات ماعدا التفخيم و الترقيق، فالطاء مفخمة، والتاء مرققة، فعندما تشبه الطاء التاء فأنها تفقد صفة التفخيم وتكتسب ترقيق التاء، وهذا على غير المألوف.

أما الدرس الصوتي الحديث فيطلق على التنوعات النطقية التي من هذا القبيل مصطلح فاريفون الذي يعني: " التشكلات الصوتية الناجمة عن البيئة الاجتماعية، والنفسية، والإقليمية التي يتفاعل معها المتكلم في لحظة ممارسته للاتصال اللغوي"(٢).

٥- الضاد الضعيفة:مثل ابن عصفور لها ب(اثرد له)التي تصير إلى(اضرد له)ولم يبين سبب ضعفها(٣).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما سيبويه فقد اكتفى بذكرها دون تمثيل أو توضيح.ولكنه وصف مخرجها حيث قال:" الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف"(٤).

ويبدو أن ابن يعيش في تناوله لهذه الضاد كان أكثر وضوحا من ابن عصفور حيث قال فيها: "الضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم، فربما أخرجوها طاء، وذلك لأنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا،وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء"(٥).

ويمكن تفسير هذه الظاهرة النطقية كما يلي:

الضاد الفصيحة عند القدماء	رخوة
الثاء	رخوة

فيوجد تشابه بين الحرفين في صفة الرخاوة،وجاء بعد الثاء صوت مجهور مفخم وهو صوت الراء فأثر في صوت الثاء الذي يتصف بالهمس والترقيق، فاكتسب صوت الثاء شيئا من

---

١) ابن يعيش: شرح المفصل،١٠/١٢٨

٢) جواد النوري: فصول في علم الأصوات، ص١٢٢

٣) ينظر:ابن عصفور:الممتع في التصريف،٤/٦٦٦.والمقرب،ص ٣٥٤

٤) سيبويه:كتاب سيبويه،٤/٤٣٢

٥) ابن يعيش:شرح المفصل،١٠/١٢٨-١٢٩

التفخيم والجهر فأشربت الثاء صوت الضاد([1]).

٦- الصاد التي كالسين: مثل ابن عصفور لها بكلمة(سائر)في(صائر)في الممتع،وبكلمة (سابر) في (صابر) في المقرب،وسبب هذه الظاهرة عنده أن الصوتين من مخرج واحد([2]).

وقد وردت هذه الصاد عند سيبويه ولكنه لم يمثل لها([3]).

أما ابن يعيش فكان أكثر وضوحا من ابن عصفور في معالجة هذا الصوت حيث قال: " الصاد كالسين قولهم في (صبغ)(سبغ) وليس في حسن إبدال الصاد من السين لان الصاد أصغى في السمع واصفر في الفم"([4]).

ويمكن تفسير هذه الظاهرة النطقية بمقارنة الصفات التي تميز كل صوت منهما عن الآخر، فالصاد تتصف بالتفخيم والهمس والرخاوة، والسين تتصف بالترقيق والهمس والرخاوة. وكلاهما من المخرج نفسه، فعندما تبدل الصاد من السين فإنها تفقد تفخيمها وتكتسب ترقيق السين. ولهذا وصفت بأنها غير مستحسنة لأن الأقوى قلب إلى الأضعف وهذا على غير المألوف.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

وقد أيد تمام حسان هذا القول حيث قال: "الصاد والسين تشتركان في المخرج، وفي الصفات كلها إلا التفخيم والترقيق، فالصاد مفخمة والسين مرققة، وهذا هو الفارق الوحيد بينهما .... فإذا أشبهت الصاد السين، فإن الصاد تترك تفخيمها إلى ترقيق السين"([5]).

وفي الدرس الصوتي الحديث يطلق على التنوعات الصوتية من هذا القبيل مصطلح فاريفون لأنه ناجم عن التغيرات الاجتماعية، فلذلك تسمع هذه الظاهرة على ألسنة النساء وبين أفراد الطبقة المترفة فيرققون المفخم فيقولون في(طيب)(تيب). وهي شبيهه بالطاء التي كالتاء عند ابن عصفور.

٧- الباء التي كالفاء: وردت عند ابن عصفور في كتابيه، الممتع والمقرب، وهي عنده على ضربين: أحدهما لفظ الباء أغلب عليه من لفظ الفاء، والآخر بالعكس نحو :(بلح) و(برطيل)، وذكر أنها كثيرة في لغة أهل الفرس، وغيرهم من العجم([6]).

---

١) ينظر :تمام حسان:اللغة العربية.معناها ومبناها،ص ٥٥

٢) ينظر :ابن عصفور: الممتع في التصريف،٦٦٦/٢.وينظر أيضا:المقرب،ص ٣٥٤

٣) ينظر :سيبويه:الكتاب،٤٣٢/٤

٤) ابن يعيش:شرح المفصل،١٢٨/١٠

٥) تمام حسان:اللغة العربية،ص٥٥

٦) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٦٦/٢. وينظر أيضا: المقرب:ص٣٥٤

أما سيبويه فقد اكتفى بذكر هذا الحرف دون توضيح أو تمثيل.([1])

ويتفق ابن عصفور مع أبى حيان في المبدع حول هذا الحرف فقال أبو حيان:" وباء كفاء مغلبا لفظها أو لفظ الفاء"([2]). أي أن صوت الباء في الأولى أكثر وضوحا من صوت الفاء، أما في الثانية فالعكس.

وقد تناولها تمام حسان في أثناء حديثه عن سيبويه فقال فيها:" إن الباء التي يعنيها سيبويه هي ما يسمونه الباء الفارسية وهي باء مهموسة مثل صوت(p) في اللغات الأجنبية، والعرب كانوا يعربون هذه الباء بقلبها فاء"([3]).

ويبدو من الأقوال السابقة أن هذا الحرف ينطق كما ينطقه الأوروبيون(V) ولا فرق بينه وبين الفاء إلا في صفة الجهر والهمس، فالفاء مهموسة ونظيرها المجهور هو هذا الصوت الفارسي(V)، والضرب الثاني عند ابن عصفور لهذا الحرف هو الذي يرمز إليه الأوروبيون(P) ولا فرق بينه وبين الباء العربية إلا في أن الباء العربية مجهورة ونظيرها المهموس هو هذا الصوت. فحولها الناطق مرة من الهمس إلى الجهر، ومرة أخرى من الجهر إلى الهمس([4]).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

٨- الظاء التي كالثاء: مثل ابن عصفور لهذا الحرف، فقال: إن كلمة(ظالم) تصير إلى(ثالم)، ولكنه لم يفسر هذه الظاهرة، ولم يبرر سبب ضعفها([5]).

وقد ورد هذا الحرف عند سيبويه دون أن يمثل له أو يوضحه([6]).

ويمكن تفسير هذه الظاهرة النطقية بالمقارنة بين الصفات المميزة للحرفين، فالظاء تتصف بالجهر والتفخيم، أما الثاء فتتصف بالهمس، والترقيق، فعندما تضارع الظاء الثاء فإنها تفقد الجهر والتفخيم وهما صفتا قوة لصوت الظاء، ولهذا صنفت تحت الحروف غير المستحسنة.

الظاء صوت مجهور مفخم

الثاء صوت مهموس مرقق

فعندما تشبه الظاء الثاء، فإنها تفقد الجهر أو التفخيم أو كليهما، ومن مثال ابن عصفور، نفهم أن الظاء فقدت جهرها، أما التفخيم فمن الصعب أن نقرر أن الظاء فقدته أو احتفظت به،

---

١) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤/٤٣٢

٢) أبو حيان الأندلسي: المبدع في التصريف، ص٢٥٦

٣) تمام حسان: اللغة العربية، ص٥٦-٥٧

٤) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١٤٨-١٤٩

٥) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف،٢/٦٦٦

٦) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤/٤٣٢

لأن الكتابة العربية لا تصطنع رموزا للدلالة على التفخيم والترقيق(١).

ويبدو جليا من الأمثلة السابقة للحروف غير المستحسنة أن ابن عصفور اكتفى بذكر هذه الحروف والتمثيل لها دون أن يفسر سبب وصفها بغير المستحسنة. ويبدو أن سبب هذه التسمية يعود إلى قلب الحرف على غير المألوف. فالمألوف أن يقلب الحرف الأضعف إلى الأقوى، ولكن في هذه الحروف قلب الأقوى إلى الأضعف فوصفت بأنها غير مستحسنة.

ولقد لمح بعض القدماء العرب من اللغويين ذلك، ونصوا عليه. ولعلنا نجد، فيما ذهب إليه ابن جني بعض الإشارات السريعة إلى هذا الموضوع، فهو ينص على أن:" حروف الحلق: هي من الائتلاف أبعد، لتقارب مخارجها عن معظم الحروف، فإن جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف ...وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما"(٢).

وقد نص مكي بن أبي طالب في كتابه الكشف عن وجوه القراءات السبع على أنه "ليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى إلى الأضعف "(٣).

ويتضح أن إطلاق ابن عصفور اسم الحروف على هذه الظواهر النطقية لا يتفق مع المحدثين، فالمحدثون يطلقون على هذه التنوعات الصوتية ديافونات أو فاريفونات، ومن الظاهر أن تناول ابن عصفور لهذا الموضوع سار فيه على نهج القدماء، في الترتيب والتصنيف والتوصيف، وقد اختلف عن سيبويه بضرب الأمثلة على كل ظاهرة نطقية مما سبق. ولم يضف شيئا جديدا عما ورد عند سيبويه في هذا الموضوع، ويبدو أن قوانين سيبويه الصوتية ومصطلحاته لم يجرؤ أحد من العلماء اللاحقين على تغييرها، بل أحاطوها بهالة من التقديس. ولا يعني هذا طعنا أو تقليلا في قيمة ما جاء به شيخ علماء العربية، وإنما أعني به عدم الإتيان بشيء يزيد عما ورد عند سيبويه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

١) ينظر: تمام حسان: اللغة العربية، ص٥٧

٢) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط٢، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، ٥٤/١

٣) مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق:محيي الدين رمضان، دمشق: مجمع اللغة العربية،١٩٧٤م. ٣٤/١

٢. مخارج الحروف عند ابن عصفور:

بعد أن انتهى ابن عصفور من الحديث عن الحروف من أصول وفروع، شرع بالحديث عن مخارج حروف العربية الأصول، من حيث عددها، والحروف التي تصدر عنها. فعدد المخارج عنده، ستة عشر مخرجا، مرتبة ترتيبا تصاعديا من أقصى الحلق إلى الشفتين، وهذه المخارج هي:

١. أقصى الحلق مخرج: الهمزة، الألف، الهاء.
٢. وسط الحلق مخرج: العين، الحاء.
٣. أدنى الحلق إلى اللسان مخرج: الغين، الخاء.
٤. أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف.
٥. مؤخرة اللسان وما يليه من الحنك الأعلى مخرج: الكاف.
٦. وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج: الجيم، الشين، الياء.
٧. بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج: الضاد.
٨. من أول حافة اللسان، من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى،مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج: اللام.
٩. ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا، مخرج: النون.
١٠. ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام، مخرج: الراء.
١١. من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، مخرج: الطاء، الدال، التاء.
١٢. من بين طرف اللسان وفوق الثنايا، مخرج: الصاد، الزاي، السين.
١٣. من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، مخرج: الظاء، الثاء، الذال.
١٤. من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا، مخرج: الفاء.
١٥. من بين الشفتين، مخرج: الباء، الميم، الواو.
١٦. الخياشيم، مخرج: النون الخفيفة وتسمى الخفية.(١)

ويبدو جليا، من الترتيب المخرجي السابق، أن ابن عصفور رتبها ترتيبا تصاعديا على غرار ما فعل الخليل بن أحمد. ولكنه يختلف عنه في عدد المخارج وفي نسبة الحروف إليها وفي تسميتها.

---

١) ينظر ابن عصفور: الممتع في التصريف،٢/٦٦٩-٦٧٠. وينظر أيضا المقرب،ص٣٥٥-٣٥٦.

فعدد المخارج عند الخليل تسعة، وأول هذه المخارج هو الحلق، ولكنه يختلف عن ابن عصفور في الحروف التي تصدر عنه، فحروف الحلق عند ابن عصفور هي: الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء. أما عند الخليل فهي: العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين. فأسقط الخليل من الحلق الهمزة والألف. وأعتقد أن الخليل كان مصيبا في إسقاطه الألف من حروف الحلق ولكنه لم يوفق في إسقاط الهمزة. وقد ذهب إلى أبعد من ذلك عندما جعل مخرجها من الجوف مع الألف والواو والياء، فقد نص على ذلك بقوله: " وأربعة حروف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرج من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"([1]).

ويختلف ابن عصفور مع الخليل بن أحمد في تسمية الموضع الذي يصدر عنه الحرف، فابن عصفور أطلق عليه المخرج، وأما الخليل بن أحمد فقد أطلق عليه المدرج، وقسم كل مدرج إلى أحياز، ونسب كل حرف إلى الحيز الذي ينتمي إليه ضمن المدرج، وجعل العين أول هذه الحروف، فقال: " أقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين، لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هنة في الهاء لأشبهت الخاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد، بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيز واحد، كلهن حلقية"([2]).

وقد تصدرت الهمزة الحروف عند ابن عصفور، وتصدرت العين الحروف عند الخليل. ويبدو أن رأي ابن عصفور أكثر دقة وأسلم مخرجا من الخليل. أما من حيث المصطلحات التي أطلقها كل منهما على موضع النطق، فهناك اختلاف في التسمية، فالخليل عنده اللثة، واللهاة، والذلق، والجوف ... إلخ ولم توجد هذه التسميات عند ابن عصفور.

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في عدد المخارج، وتسميتها، والحروف التي تصدر عنها، مع اختلاف بسيط في ترتيب بعض الحروف من حيث التقديم والتأخير. فعدد المخارج عند سيبويه ستة عشر مخرجا، وهي متوافقة لما نص عليه ابن عصفور،ويبدو أن ابن عصفور كان متأثرا بسيبويه أكثر من تأثره بالخليل بن أحمد. لأن مخارج الحروف عند ابن عصفور هي كما وردت عند سيبويه، وبالمصطلحات نفسها، ولم يختلف عنه إلا بتقديم بعض الحروف التي من مخرج واحد على بعضها. يقول:"ولحروف العربية ستة عشر مخرجا: فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف... ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو"([3]).

---

١) الخليل بن أحمد: كتاب العين، ٥٧/١

٢) المرجع نفسه: ص ٥٧-٥٨.

٣) سيبويه: الكتاب، ٤٣٢/٤.

فقد قدم سيبويه الهاء على الألف، ولكنه في موضع آخر قدم الألف على الهاء فقد ذكر أن الهمزة أقصى الحروف وكذلك الهاء والألف بينهما(١)، ومن الحروف التي قدمها سيبويه وأخرها ابن عصفور الذال، فسيبويه قدم الذال على الثاء حيث قال:" ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء، الذال، الثاء"(٢).

وأعتقد أن تقديم هذا الحرف على ذاك ليست قضية خلافية، ويبدو أنها ناجمة عن عدم معرفتهم بالصفات المميزة للصوتين اللذين من مخرج واحد.

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في عدد المخارج، ولكنه يختلف عنه في أن الأخير قسم المخرج إلى أحياز، وأخرج الواو من حيز الشفة، ونسبها إلى الجوف حيث قال: " إن الواو من الجوف، لأنها تهوي من الفم لما فيها من اللين حتى تتصل بمخرج الألف"(٣).

وقدم ابن يعيش الذال على الثاء على العكس من ابن عصفور الذي قدم الثاء على الذال.

وقام ابن يعيش قبل الشروع في إحصاء مخارج الحروف، بتعريف المخرج، ولكن ابن عصفور بدأ بذكر المخارج دون توضيح أو تعريف للمخرج، وقد تأثر بذلك بسيبويه الذي لم يتعرض إلى تعريف المخرج. والمخرج عند ابن يعيش هو: "المقطع الذي ينتهى الصوت عنده"(٤).

مكتبة الجامعة الاردنية

ويبدو الاختلاف واضحا بين ابن عصفور وابن حماد حيث وضح الأخير أمورا لم يوضحها ابن عصفور، حيث تعرض لشرح مفصل لعدد الأسنان ودورها في إخراج الحروف، ولكن ابن عصفور، ذكرها من خلال المخارج، ولم يذكر سوى الأضراس، والثنايا، ويختلف ابن حماد عن ابن عصفور أيضا في عدد المخارج، فهي عند الأول سبعة عشر مخرجا، ووضح كيفية معرفة مخرج الحرف عن طريق تسكينه وإدخال همزة الوصل عليه، واستمع إليه حتى ينقطع، فحيث انقطع الصوت كان مخرجه(٥).

ومما يميز ابن حماد، هو التفريق بين الواو المدية وغير المدية، وبين الياء المدية وغير المدية، من حيث المخرج، وجعلهما والألف في مخرج واحد، وهذا أمر لم يسبق لابن عصفور أن ناقشه، وهو الجوف حيث قال: " المخرج الأول الجوف، وهو الخلاء بين الفم والحلق ويخرج منه الألف الساكنة أي المدية والواو الياء الساكنان أي، المديان، المجانس لهما ما قبلهما، بأن انضم ما قبل الواو وانكسر ما قبل الياء. بخلافهما إذا تحركتا أو سكنتا ولم يجانسهما ما قبلهما

---

١) المرجع نفسه: ص١٠٢

٢) المرجع نفسه: ص٤٣٣.

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٢٥/١٠

٤) المرجع نفسه: ١٢٤/١٠.

٥) ينظر: محمد نمر حماد: إتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد، نابلس، ص٤.

فيصير لها مخرج آخر"(١).

وأرى أن سبب الخلاف البين بين الاثنين، هو طول الفترة الزمنية بينهما، فالمنهجية التي سار عليها ابن حماد مغايرة من حيث التوضيح، والتفريق، لما نهجه ابن عصفور.

يتضح مما سبق أن هناك اختلافا بين علماء العربية القدامى في عدد المخارج وتسميتها ونسبة الحروف إليها وترتيب الحروف، فعدد المخارج عند ابن عصفور ستة عشر، وعند الخليل تسعة، وعند سيبويه ستة عشر، وعند ابن يعيش كذلك، وعند ابن حماد الأصول خمسة ثم تتفرع وتتداخل حتى تبلغ سبعة عشر. أما من حيث ترتيب الحروف فالجميع اتبع طريق الخليل بن أحمد، فرتبت ترتيبا تصاعديا من الحلق إلى الشفتين. مع اختلاف في تسمية بعض المخارج ونسبة بعض الحروف إلى مخارج جديدة، فالهمزة، مثلا، عند ابن عصفور حلقية ولكنها عند الخليل جوفية أو هوائية، وكذلك الألف. والواو عند ابن عصفور من بين الشفتين، وعند الخليل جوفية.

واعتقد أن سبب الخلاف ناتج عن الاعتماد على الملاحظة والذوق في تناول هذه القضية عند علماء العربية القدامى. ومما يؤيد هذا الاعتقاد ما توصل إليه المحدثون من نتائج قيمة في هذا المجال تتسم بالدقة لاعتمادهم على التجارب العلمية والأجهزة المخبرية.

ولا بد لنا أن نشير، في البداية، إلى بعض الجوانب المشتركة،أو شبه المشتركة، بين تصورات ذلك العالم وتصورات الدرس الحديث للأصوات العربية.

١) الجمع بين بعض الأصوات ونسبتها معا إلى مخرج معين:

جمع ابن عصفور بين بعض الأصوات في حزمة واحدة، ونسبها معا إلى مخرج واحد.ومن الأمثلة على ذلك، جمعه بين أصوات الجيم، والشين، والياء، ونسبتها معا إلى مخرج من وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى، وجمعه بين أصوات الظاء، والثاء، و الذال، ونسبتها معا إلى مخرج بين طرف السان، وأطراف الثنايا، وجمعه بين أصوات الباء، والميم، والواو، ونسبتها معا إلى مخرج ما بين الشفتين.

ويتفق هذا مع الدرس الصوتي الحديث الذي يصنف مجموعة الأصوات الأولى معا وينسبها إلى المخرج الغاري، ويصنف مجموعة الأصوات الثانية معا وينسبها إلى المخرج الأسناني، ويصنف مجموعة الأصوات الأخيرة معا وينسبها إلى المخرج الشفوي.

وقد وفق ابن عصفور في الجمع بين أصوات أخرى ونسبتها معا إلى مخرج واحد. غير أن الحظ لم يحالفه في نسبتها إلى مخارجها التي اصطلح عليها التصنيف الحديث لعلم الأصوات. ومن الأمثلة على ذلك جمعه بين صوتي الهمزة والهاء ونسبتها معا إلى أقصى الحلق، وجمعه

---

١) ينظر: محمد نمر حماد: إتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد، ص٥.

بين العين والحاء ونسبتها معا إلى وسط الحلق، وجمعه بين الغين والخاء ونسبتها معا إلى أدنى الحلق. وجمعه أيضا بين أصوات الطاء والدال والتاء، ونسبتها معا إلى مخرج خاص بها، ومختلف عن المخرج الذي نسب إليه مجموعة أصوات الزاي والسين والصاد. إضافة إلى ذلك، فقد جاء تصنيف ابن عصفور لبعض الأصوات ونسبتها إلى مخرجها مطابقا تماما لما قرره الدرس الصوتي الحديث، ومن الأمثلة على ذلك نسبته صوت الفاء إلى المخرج الشفوي.

٢) صنف ابن عصفور – وغيره من العلماء السابقين – صوت الهمزة في بداية سلسلة الأصوات العربية من حيث المخرج. وهو – في هذا – يتفق مع التصنيف الحديث، الذي عد هذا الصوت أول الأصوات العربية مخرجا أيضا. بيد أن الخلاف بين التصنيفين يكمن في تسمية المخرج الذي ينتمي له هذا الصوت، فقد عزا ابن عصفور الهمزة إلى أقصى الحلق، في حين عزا الدرس الصوتي الحديث هذا الصوت إلى الحنجرة. ويبدو أن أقصى الحلق عند القدماء يقابل الحنجرة عند المحدثين.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٣) يمكننا أن نلحظ دقة وصف هذا العالم وحدسه لمخارج الأصوات العربية، عندما تحدث عن مخارج اللام والنون والراء، وقد وردت في تصنيفه متتابعة مخرجيا، والتي ينسبها التصنيف الصوتي الحديث معا إلى مخرج واحد. وهو المخرج اللثوي. فلا فرق – فيما نرى – بين الوصفين أو التصنيفين إلا بالعموم الذي يتسم به الوصف الحديث ودقة الوصف الذي حاول ابن عصفور إضفاءه على كل صوت من هذه الأصوات الثلاثة.

أما فيما يتعلق بجوانب الخلاف بين تصنيف ابن عصفور وترتيبه للأصوات العربية والتصنيف الحديث لها، فيعود بعضها، أو معظمها، إلى خلافات شكلية مردها عدم توحد المصطلحات لدى الطرفين، واحتمال حدوث تطور في نطق بعض هذه الأصوات، علاوة على اختلاف الجانبين في وسائل البحث والدرس التي كانا يستعملانها في عملية توصيف وتصنيف الأصوات العربية، فابن عصفور – شانه شأن القدماء – اعتمد في ذلك على حدسه، وملاحظته الذاتية الناجمة عن فكر نير، في حين اعتمد المحدثون على الآلات الحديثة والمختبرات الصوتية.

إن أول ما يلفت الانتباه في التوزيع المخرجي، الذي قدمه ابن عصفور، للأصوات العربية، هو أن هذا العالم قد حذا حذو إمام اللغويين القدامى سيبويه. حيث قام بترتيب الأصوات ومخارجها ترتيبا تصاعديا، فبدأ بالحلق وانتهى بالشفتين. ويبدو أن أول من رتب هذا الترتيب الخليل بن أحمد ثم حاكاه تلميذه سيبويه،ثم أصبح هذا الترتيب تقليدا لدى جل اللغويين الذين جاءوا فيما بعد.

ولعل ابرز نقاط الخلاف، بين التصنيف المخرجي الذي قدمه ابن عصفور للأصوات العربية والتصنيف الحديث لها، هو مفهوم الحلق لدى الطرفين. فالحلق لدى ابن عصفور – ولدى معظم اللغويين الذين سبقوه – يعد موضع الإخراج الأول(من الداخل) وينسب إليه ابن عصفور – ومعه جل اللغويين أيضا([1]) – إلى هذا المخرج الأحرف التالية: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء. ويبدو أن ابن عصفور – شأنه شأن سيبويه – قد أحس بطول هذه المنطقة التي سماها الحلق، فعمد إلى تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هي: أقصى الحلق، وأوسطه، وأدناه. ثم عزا إلى أقصى الحلق ثلاثة أصوات وهي: الهمزة والألف والهاء. في حين عزا إلى كل قسم من القسمين الباقيين صوتين اثنين. فعزا إلى وسط الحلق العين والحاء، وأدنى الحلق إلى اللسان الغين والخاء.

وقبل الحديث عن مخارج الأصوات العربية عند المحدثين، لا بد من إيراد شكل الجهاز الصوتي، وأجزائه([2]):

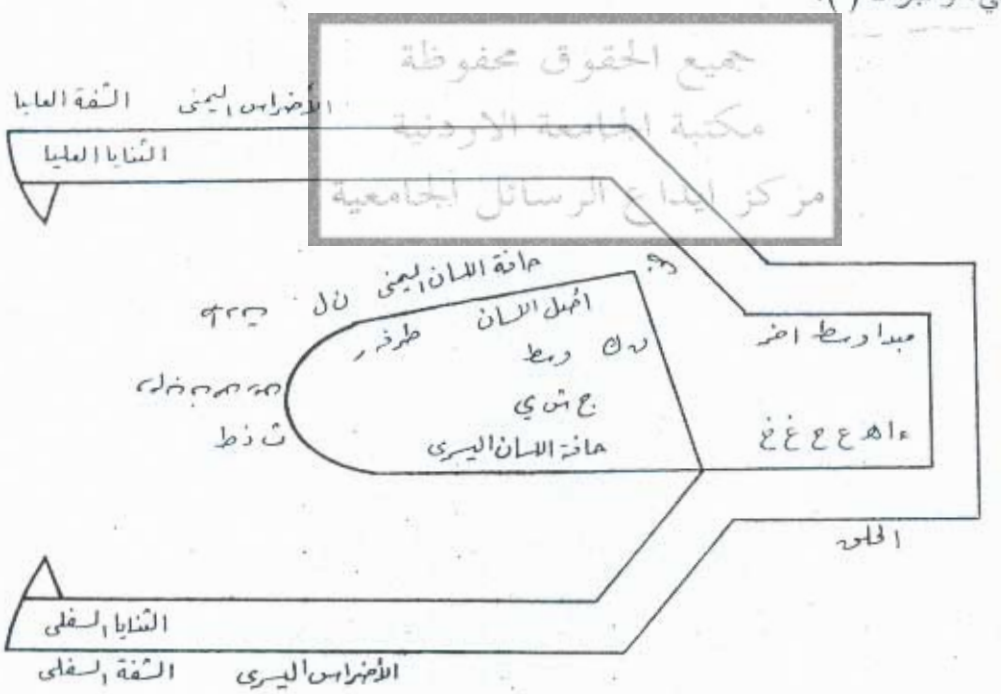

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

١) لم يصنف الخليل بن أحمد – على سبيل المثال – الهمزة ضمن الأصوات الحلقية، وإنما صنفها، مع الواو والألف والياء، واعتبرها جميعا أحرف هوائية تصدر من الجوف.

٢) السكاكي: مفتاح العلوم، القاهرة، ١٣١٧هـ، ص١٣

أما الدرس الحديث فإنه يوزع هذه الأصوات الستة – ما عدا الألف – على ثلاثة مخارج مختلفة هي:

أ- الحنجرة: Larynx. ويبدو لنا أن هذا الوضع، أو المخرج، يناظر ما أطلق عليه ابن عصفور مصطلح أقصى الحلق. ويتم في هذا المخرج إنتاج صوتي الهمزة والهاء.

ب- الحلق: Pharynx. ويبدو أن هذا الموضع، أو المخرج، يناظر ما أطلق عليه ابن عصفور مصطلح أوسط الحلق. ويتم في هذا المخرج إنتاج صوتي العين والحاء.

ج- الطبق: Velum. ويبدو أن هذا الموضع، يناظر ما أطلق عليه ابن عصفور مصطلح أدنى الحلق. ويتم في هذا المخرج إنتاج صوتي الغين والخاء، إضافة إلى صوتي الكاف والواو كما يصنفها الدرس الصوتي الحديث. وعلى هذا، فإن الحلق، أو المخرج الحلقي، لا يشكل من تلك المنطقة الكبيرة التي أطلق عليها ابن عصفور "الحلق" سوى موضع محدود يقع بين الحنجرة التي تحده من أسفل، وأقصى الحنك واللهاة التي تحده من أعلى. ولا ينسب إلى هذه المنطقة سوى صوتين اثنين هما: العين والحاء.

ويبدو أن السبب، أو الأسباب، التي دفعت ابن عصفور إلى نسبة الأصوات السبعة إلى هذه المنطقة تعود إلى:

أ- عدم معرفته الدقيقة لتلك المنطقة الداخلية من جهاز النطق، وخاصة منطقة الحنجرة، وما تشتمل عليه من مكونات عضلية وغضروفية وأوتار صوتية(١)، تتطلب معرفتها الاستعانة بمعلومات تشريحية، فضلا عن ضرورة الاستعانة، لهذا الغرض، ببعض الآلات والأجهزة الحديثة.

ب- اشتراك هذه الأصوات التي سموها حلقية، دون غيرها من أصوات العربية، ببعض الخصائص الصوتية، مثل اشتراك العين والغين في الجهر والاحتكاك، واشتراك الحاء والخاء في الهمس والاحتكاك، الأمر الذي دفع ابن عصفور وغيره من العلماء القدامى أمثال سيبويه، إلى الجمع بينها ونسبتها معا إلى مخرج واحد، ولما كان الحلق، أو منطقة الحلق، هي المنطقة الداخلية المعروفة آنذاك، فقد عمد ابن عصفور إلى تصنيف هذه الأصوات ونسبتها إلى تلك المنطقة.

---

١) ينظر: محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص٦٠

ج- صنف ابن عصفور صوت القاف – من حيث المخرج – بعد صوتي الغين والخاء، في حين يرد هذا الصوت – في التصنيف الصوتي الحديث – قبل هذين الصوتين. ويرى أن هذا الصوت يتم إنتاجه من منطقة أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى. أما الوصف الحديث لهذا الصوت فهو صوت يتم النطق به عندما يرتفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق واللهاة(١).

د- وضع ابن عصفور أصوات الطاء، والدال، والتاء، في مجموعة صوتية مستقلة مخرجيا عن مجموعة الصاد، والزاي، والسين. وقد نسب أصوات المجموعة الأولى إلى طرف اللسان وأصول الثنايا، ونسب أصوات المجموعة الثانية إلى طرف اللسان وفويق الثنايا. أما الدرس الصوتي الحديث – فيميل بوجه عام – إلى تصنيف هذه الأصوات إلى مخرج واحد وهو المخرج الأسناني اللثوي. وزاد عليها صوت الضاد أيضا. غير أن ابن عصفور قسم هذا المخرج فيما يبدو من كلامه إلى مخرجين:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أولهما: أسناني، وقد نسب إليه أصوات الطاء، والدال، والتاء.

وثانيهما: لثوي، وقد نسب إليه أصوات الزاي، والسين، والصاد.

ويبدو أن ابن عصفور لاحظ أن هناك فروقا صوتية بين هاتين المجموعتين الصوتيتين. فأصوات المجموعة الأولى – وهي الطاء والدال والتاء – يجمعها ملمح الشدة والانفجار، في حين يجمع أصوات المجموعة الثانية ملمح الرخاوة والاحتكاك. إضافة إلى ذلك فإن بين أصوات كل مجموعة من هاتين المجموعتين شبكة من التناظرات والتقابلات، في ملامح الجهر الهمس والتفخيم والترقيق. فالطاء المقابل المفخم لصوت التاء، والتاء المقابل المهموس لصوت الدال. أما العلاقات في المجموعة الثانية فتتمثل بأن الصاد صوت مفخم مقابله المرقق صوت السين في حين أن صوت السين المقابل المهموس لصوت الزاي.

هـ – أما فيما يتعلق بالمخرج الأخير، وهو الخياشيم، الذي نسب إليه ابن عصفور النون الخفيفة، فيمكن اعتباره تنوعا صوتيا للنون الذي أطلق عليه المحدثون مصطلح ألفون. ولا نعده مخرجا أساسيا. وإنما هي صورة من صور النون التي تحدث عنها في المخرج التاسع. أي هو من ألفونات النون.

ومن هنا يبرز الخلاف بين ابن عصفور والمحدثين من حيث عدد المخارج وترتيب الحروف ونسبة الحروف إلى مخارجها.

---

١) ينظر: المرجع نفسه: ص١٦٣

فعدد المخارج عند المحدثين عشرة مرتبة ترتيبا تنازليا من الشفتين نزولا بها إلى أقصى الحلق. ويبدو أن المحدثين مالوا إلى التسهيل في هذا الترتيب، أي أنهم بدءوا في الظاهر من المخارج، ثم تدرجوا إلى الداخل حتى وصلوا إلى ما يحتاج الأجهزة. وهذه المخارج هي:

١. الشفتان	الباء / الميم/الواو
٢. الشفة والأسنان	الفاء
٣. الأسنان	الذال / الثاء/ الظاء
٤. الأسنان واللثة	الدال / الضاد / التاء / الطاء / الزاي / السين/ الصاد
٥. اللثة	اللام / الراء / النون
٦. الطبق الصلب(الغار)	الشين / الجيم / الياء
٧. الطبق اللين	الكاف / الغين / الخاء / (الواو)
٨. اللهاة	القاف
٩. الحلق	العين / الحاء
١٠. الحنجرة	الهاء / الهمزة

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

هذه هي المخارج العشرة للأصوات، وتجدر الإشارة إلى أن اللسان يعد عاملا أساسيا في أكثرها([1]).

ومما يجدر الإشارة إليه أن المحدثين أطلقوا على المخارج أعضاء النطق،و قبل الحديث عنها قاموا بوصف مفصل لكل عضو من الناحية التشريحية، ولم تقتصر وظيفة العضو على النطق فقط. فاللسان يقوم بتقليب الطعام ويساعد على مضغه، والوتران الصوتيان يمنعان الأجسام الغريبة من الدخول إلى طريق الرئتين([2]).

نلاحظ أن عدد المخارج عند المحدثين أقل منها عند ابن عصفور، فابن عصفور حدد الأصوات ضمن ستة عشر مخرجا. ويبدو أن السبب يعود إلى عدم معرفة حدود المخرج والدليل على ذلك أنهم قسموا الحلق إلى ثلاثة أقسام. فلكي يحددوا الحرف لجأوا إلى التداخل بين أعضاء النطق والتجزئة فوصلت عندهم إلى هذا العدد.

ومن مواطن الخلاف بين ابن عصفور والمحدثين حرف الألف فقد عده ابن عصفور من الحروف الحلقية أما المحدثون فيعدون الألف من ضمن الحركات الطويلة ولا تنتمي إلى مخرج

---

١) ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ط١، عالم الكتب، ١٩٧٦م، ص٢٥٧

٢) ينظر: ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، ط٣، عالم الكتب، سنة ١٩٨٣م،ص٧٩
وينظر أيضا: محمد جواد النوري وعلي خليل حمد: فصول في علم الأصوات، ص٥٨

من مخارج الحروف لأنه لا يعترض مجرى الهواء عائق من انحباس أو تضيق فالنقطة التي ينحبس فيها تيار الهواء أو يضيق يكون مخرج الصوت. والألف يمر تيار الهواء المنتج لها دون أن يعترض مجراه عائق.(١)

وقد أدرك ابن عصفور شأنه شأن المحدثين أن الصوت ينتج نتيجة اتصال عضوي نطق اتصالا محكما أو غير محكم فعندما يقول مثلا مخرج الكاف" من مؤخر اللسان وما يليه من الحنك الأعلى" أي أن مؤخر اللسان يتصل بالحنك الأعلى ومهما يكن من أمر فإن ابن عصفور توصل إلى ما توصل إليه عن طريق الملاحظة دون الاعتماد على أجهزة مخبرية، ومختبرات صوتية، فإن قصر عن المحدثين في شيء فله عذره. فقد تحتاج مصطلحاته إلى بعض التوضيح مثل(فوق الثايا) و(أصول الثنايا) ومع ذلك كان يتحرى الدقة في إعطاء الصوت هويته المخرجية، والدليل على ذلك، ما قاله في مخرج اللام. فالنتائج التي توصل إليها القدماء، ومنهم ابن عصفور، تنم عن فكر نير وملاحظة دقيقة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٦

٣. صفات الحروف:

بعد أن انتهى ابن عصفور من تقسيم الحروف حسب مخارجها، شرع بتقسيمها حسب كيفية الممر الهوائي وما يرافقه من عوائق تحبس الكمية الهوائية من الاندفاع الكلي والجزئي. وكذلك الأحداث التي تصاحب سير التيار الهوائي المنتج للصوت من انحراف أو تعثر حيث يتغير المسرب، فيذهب من أحد جانبي الفم أو يتجه نحو الأنف.

ولقد رأى ابن عصفور أن التقسيم المخرجي لا يعطي الهوية الصحيحة للحرف، لأن المخرج قد يحتوي على أكثر من حرف، فقد ذهب إلى أن كل مجموعة من الحروف تنتمي إلى مخرج واحد بحاجة إلى أساس آخر يفرق بينها، فعمد إلى التمييز بين الحروف عن طريق الصفة أو الصفات المميزة لها. وهذا الأساس هو التوصيف التي تتصف بها الحروف.

وقد بنى ابن عصفور هذا التقسيم على التقابل، أي الصفة وعكسها ومجمل هذه الصفات عنده كالآتي:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعيين

- **الجهر:**

الجهر عند ابن عصفور هو: "حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه فمنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد"(١).

وتعريف الجهر عند ابن عصفور يتفق وتعريف سيبويه،وابن جني، إلا أن الأخيرين زادا (عليه قولهما: ويجري الصوت) حيث قال: " فالمجهور: حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"(٢).

أما الإستراباذي فقد كان تعريفه أكثر وضوحا من تعريف ابن عصفور حيث قال: " المجهور: ما ينحصر جري النفس مع تحركه"(٣)، أي لا يجري النفس مع تحرك الحرف. ويعرفه ابن الأنباري (ت٣٢٧هـ) بقوله: "ومعنى المجهورة أنها حروف أشبع الاعتماد عليها في موضعها فمنعت النفس أن يجري معها، فخرجت ظاهرة والجهر هو الإظهار"(٤).

وبين ابن عصفور وابن يعيش اتفاق واختلاف، فقد اتفق معه في التعريف، واختلف معه في كلمتي(الموضع) و(المخرج) فالأولى عند ابن عصفور والأخرى عند ابن يعيش حيث قال:

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧١/٢. والمقرب،ص٣٧٥

٢) سيبويه: كتاب سيبويه، ٤٣٤/٤. ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٦٠/١

٣) الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين،(د.ط)، سنة ١٩٧٥ م، ٢٥٧/٣

٤) أبو بركات الأنباري: أسرار العربية، تحقيق فخر صالح قرارة، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٥. ص٣٦٢

"الجهر إشباع الاعتماد في مخرج الحرف، ومنع النفس أن يجري معه"([1]).

ويبدو واضحا من تعريف ابن عصفور للجهر، أن الموضع غير المخرج، ولو كان الموضع يعني المخرج لقال في تعريف الجهر حرف أشبع الاعتماد عليه في مخرجه، لأنه استخدم كلمة مخرج قبل ذلك. ولم يقل في موضعه، فالموضع يعود على الاعتماد، والاعتماد، كما ورد في سياق التعريف، يقع على المخرج المنتج للحرف، والدليل على ذلك أن جري الصوت مرتبط بوجود الاعتماد، فعندما يزول الاعتماد يجري الصوت، فهو شيء عارض في مخرج الحرف. ومما يثبت صحة هذا القول، تعريف ابن حماد للجهر حيث قال: " الجهر في اللغة رفع الصوت، وفي الاصطلاح عدم جري النفس مع الحرف لقوة الاعتماد على مخرجه"([2]).

فالإشباع، عند ابن عصفور، يقابل القوة عند ابن حماد، وقد وضح تمام حسان هذه المصطلحات في سياق حديثه عن سيبويه، فجعل الإشباع يساوي القوة، والاعتماد يساوي الضغط([3]).

جميع الحقوق محفوظة

أما عدد هذه الحروف المتصفة بالجهر عند ابن عصفور فهي تسعة عشر حرفا، وقد ورد العدد نفسه عند سيبويه، وابن جني، والزمخشري، وشارح مفصله ابن يعيش. وهذه الحروف هي: الهمزة، الألف، العين، الغين، القاف، الجيم، الياء، الضاد، اللام، النون، الراء، الطاء، الدال، الزاي، الظاء، الذال، الباء، الميم، الواو.

وهنا يبرز الخلاف بين ابن عصفور والدرس الصوتي الحديث ويتمثل الخلاف بما يلي:-

١. من حيث التعريف: فالجهر عند المحدثين مرتبط بالأوتار الصوتية، فإذا اهتز الوتران الصوتيان، في أثناء مرور الهواء، فالصوت مجهور([4]).

وابن عصفور لم يذكر الوترين الصوتيين في سياق تعريفه، بل جاء بمصطلحات يكتنفها اللبس والغموض، وربط الجهر بقوة الاعتماد، وربما قصد بالاعتماد التقاء عضوين والمقصود بالعضوين هما الوتران الصوتيان.

---

١) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/١٢٨

٢) ابن حماد: إتحاف العباد،ص١٤

٣) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص٦١

٤) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية: ص ٢٠. وينظر أيضا: كمال بشر، دراسات في علم اللغة: دار المعارف بمصر ١٩٦٩. ١/٩٢

٢. عدد الحروف: عدد الحروف المجهورة عند ابن عصفور تسعة عشر حرفا، أما عند علماء الدرس الصوتي الحديث فهي خمسة عشر حرفا وهي كالآتي:
[ب، م، ذ، ظ، د، ز، ض، ن، ل، ر، ي، ج، غ، و، ع].

٣. توصيف بعض الأصوات: فقد عد ابن عصفور أصوات: الهمزة / الألف / القاف / الطاء، من الأصوات المجهورة، في حين أثبت الدرس الصوتي الحديث – عن طريق التجارب والمعامل المخبرية – ما يلي:

٥٦٣٧٩٦

أ- الهمزة: هناك اختلاف بين علماء الأصوات المحدثين العرب حول صفة الهمزة، ولكنهم متفقون على أنها ليست مجهورة. فالجهر صفة أطلقها اللغويون القدامى ومنهم ابن عصفور. ويكمن الخلاف بين المحدثين في هيئة الوترين الصوتيين، فمنهم من يرى أن الهمزة لا مجهورة ولا مهموسة، ومنهم من يصفها بالهمس، وفيما يلي آراء بعض المحدثين حول الهمزة:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

١- رأي إبراهيم أنيس:

لقد نعت إبراهيم أنيس الهمزة المحققة بأنها صوت شديد، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، واعتمد، في هذا الوصف، على طريقة إنتاج الهمزة المحققة، ففي أثناء إنتاجها "تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما، فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة، فالهمزة إذن صوت شديد، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس"(١).

٢- وقد أيد هذا الرأي كمال بشر حيث قال:"ويتم نطق هذا الصوت بأن تسد فتحة المزمار الموجودة بين الوترين الصوتيين. وذلك بانطباق هذين الوترين انطباقا تاما وحبس الهواء خلفهما، بحيث لا يمر من الحنجرة إلى الحلق وما بعده، ثم ينفرج الوتران فيخرج الهواء فجأة محدثا صوتا انفجاريا"(٢). وقال عن وضع الوترين الصوتيين في أثناء النطق بالهمزة، أنهما لا يوصفان بالذبذبة أو عدمها. فالوتران مغلقان إغلاقا تاما، فلا ذبذبة، ولا مجال لخروج الهواء من بينهما. فهي صوت لا بالمجهور ولا بالمهموس(٣).

٣ – و قد أخذ بهذا الرأي محمد جواد النوري حيث قال:"عند النطق بصوت الهمزة،

---

١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٩٠
٢) كمال بشر: دراسات في علم اللغة، ص٩١
٣) المرجع نفسه: ص٩٢

ونعني بها همزة القطع، تقفل الفتحة التي بين الوترين الصوتيين إقفالا تاما مما يؤدي إلى احتباس الهواء الصادر من الرئتين عبر القصبة الهوائية فيما دون الحنجرة،ثم ينفرج الوتران الصوتيان، فيخرج الهواء فجأة عبر المزمارGlottis،محدثا صوتا انفجاريا Plosive،لا هو بالمهموس ولا بالمجهور"([1]).

٤ – أما رمضان عبد التواب فهو يرى أن الهمزة مهموسة،ويأتي حكمه هذا من ناحية أن الأوتار الصوتية معه تغلق تماما،فلا اهتزاز فيها. يقول:"الهمزة صوت شديد مهموس مرقق،ينطق بإغلاق الأوتار الصوتية إغلاقا تاما،يمنع مرور الهواء فيحتبس خلفهما ثم تفتح فجأة،فينطلق الهواء متفجرا"([2]).

٥– وقد نادى بهذا الرأي تمام حسان حيث قال:" وتأتي جهة الهمس في هذا الصوت من أن إقفال الأوتار الصوتية معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق "([3]).

٦– وقد أيد هذا التعليل عبد الرحمن أيوب حيث قال:" ولا يمكن حال النطق بالهمزة أن تظل الأوتار الصوتية على ذبذبتها، ضرورة أن الانحباس في هذه الحالة يتم بانطباق الأوتار الصوتية انطباقا تاما، وهو أمر يناقض التذبذب، ومن أجل هذا نقول بأن الهمزة مهموسة لأن الهمس يعني عدم التذبذب"([4]).

ويبدو جليا من الآراء السابقة أن الخلاف حول الوترين الصوتيين، ودورهما في إنتاج الهمزة، ولكن الهمس مرتبط بأمرين:الأول:الأوتار الصوتية. والآخر مرور الهواء بعد انفراج الوترين الصوتيين من خلالهما.ومن وصفها بالهمس اعتمد على عدم التذبذب،وهذا ناتج عن الإقفال التام للوترين الصوتيين، فلا اهتزاز فيهما فهي ليست مجهورة، والهواء لا يخرج من بينهما لأنهما مغلقان فلا توصف بالهمس. فوصفها بأنها لا مجهورة ولا مهموسة أدق وأكثر انسجاما مع وضع الوترين الصوتيين.

أما وصف الهمزة بالجهر، عند ابن عصفور، فهو لا يتفق مع الدرس الصوتي الحديث وربما جاء وصفه هذا تقليدا لسابقيه من العلماء وعلى رأسهم سيبويه، هذا من ناحية، ومن

---

١) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد: فصول في علم الأصوات، ص٢٣١

٢) رمضان عبد التواب:المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،ط١، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي بالرياض سنة ١٩٨٢،ص٥٦

٣) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ط١، الدار البيضاء: دار الثقافة. سنة ١٩٧٤، ص٩٧

٤) عبد الرحمن أيوب:أصوات اللغة،القاهرة مطبعة الكيلاني،١٩٦٨ ص١٨٣

ناحية أخرى، عدم معرفة الوترين الصوتيين، ودورهما في عملية نطق الأصوات.

- **الهمس:**

عرف ابن عصفور الصوت المهموس بقوله: " حرف أضعف الاعتماد عليه في موضعه حتى جرى معه النفس"([1]).

وقد وضح كيفية معرفة الحرف المهموس بتكرار الحرف نحو(تَتَتَ) و(كَكَكَ) فنجد النفس يجري مع الحرف. وهذا التعريف يتفق وتعريف سيبويه للهمس، حيث قال:" المهموس حرف أضعف الاعتماد عليه في موضعه حتى جرى النفس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس"([2]).

ويتفق ابن عصفور في تعريفه مع ابن جني أيضا حيث قال: " المهموس حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس"([3]).

أما المبرد في المقتضب فقد بدأ بذكر الحروف المهموسة دون المجهورة، ثم قام بتعريف المهموس حيث قال: " وتعلم أنها مهموسة بأنك تجد الحرف في اللسان بنفسه، أو بحرف اللين الذي معه، فلا يمنع النفس"([4]).

فابن عصفور خالف المبرد في الترتيب فذكر المجهور وتعريفه ثم ذكر المهموس وعرفه لكن المبرد بدأ بالمهموس دون المجهور.

بعد أن عرف ابن عصفور الهمس، وكيفية معرفة الصوت المتصف به، شرع بذكر الحروف المهموسة وهي: [س، ت، ش، ح، ث، ك، خ، ص، ف، هـ]. فهي عنده عشرة حروف.

أما الهمس عند المحدثين فيعني:"عدم اهتزاز الوترين الصوتيين حين النطق به "([5]).

والأصوات المهموسة في العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة هي اثنا عشر: [ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ]

وهنا يبرز الخلاف بين ابن عصفور والمحدثين في أمور منها:

أ- التعريف: تعريف ابن عصفور غامض يصعب فهمه، وواضع التعريف في الأصل

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧١/٢-٦٧٢. وينظر أيضا: المقرب، ص٣٧٥

٢) سيبويه: كتاب سيبويه، ٤٣٤/٤

٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٦٠/١

٤) المبرد: المقتضب، ٩٥/١

٥) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٠. وكذلك كمال بشر: دراسات في علم اللغة العام، ص٩٢

مكتبة الجامعة الاردنية

سيبويه، وقد ذكره ابن عصفور دون أي تغيير. وربما تأتي صعوبة التعريف من استعماله مصطلحات غير مألوفة أو بعبارة أدق غير واضحة الدلالة. أما المحدثون فقد اعتمدوا في تحديدهم لصفة الهمس، على التجارب المخبرية، فكان تعريفهم واضح المعالم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لم يكن ابن عصفور يدرك دور الوترين الصوتيين في عملية النطق، بل ولا دور الحنجرة، لأنه لم يذكرها. والدليل على ذلك أنه قسم الحلق إلى ثلاث مناطق.

ب- عدد الحروف: إن عدد الحروف المهموسة عند ابن عصفور عشرة حروف وعند المحدثين اثنا عشر حرفا. فقد عد ابن عصفور صوتي القاف والطاء من الأصوات المجهورة. في حين أثبتت التجارب المخبرية أنهما صوتان مهموسان وقد قدم كمال بشر تفسيرا لهذا الخلاف فيما يختص بهذين الصوتين فقال:" يبدو أن القاف التي وصفها علماء العربية القدامى صوت أشبه بالجاف المصرية التي تنطق في الصعيد وبعض جهات الوجه البحري في نحو قال (G) وهذا صوت مجهور"([1]).

أما إبراهيم أنيس فقد قدم تفسيرا واضحا وشاملا لوصف القدماء بهذا الصوت بالجهر ويتلخص فيما يلي:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١- إن القاف القديمة تشبه القاف المجهورة الشائعة في القبائل العربية في السودان وبعض القبائل في جنوب العراق إذ نسمعها منهم نوعا من (الغين) وهذا الصوت مجهور.

٢- القاف القديمة كانت تشبه الجيم القاهرية ولكنها أعمق منها في أقصى الفم، ومما يؤيد ذلك نطق معظم البدو لهذا الصوت في الوقت الحاضر([2]).

أما صوت الطاء الذي نعته ابن عصفور بالهمس فيرى علماء الأصوات المحدثون أن هذا الصوت – أعني الطاء – كان يختلف عن الطاء الحالية([3])

إن ابن عصفور، شأنه شأن سابقيه من علماء العربية، اجتهد قدر طاقته، وأصاب بقدر إمكاناته، فقد اعتمد في توصيف الأصوات بالجهر والهمس على الملاحظة الذاتية، فكانت نتائجه أقل دقة من نتائج علماء الأصوات المحدثين الذين اعتمدوا في درسهم الصوتي على الآلات والمعامل.

---

١) كمال بشر: دراسات في علم اللغة،٩٩/١

٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٨٤-٨٥

٣) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٦٢. وينظر أيضا: كمال بشر: دراسات في علم اللغة،٩٩/١

ومع ذلك لم يكن الاختلاف كبيرا، فالأصوات المجهورة، عند ابن عصفور، هي نفسها عند المحدثين باستثناء صوتي { القاف والطاء }. والمهموسة كذلك.

وابن عصفور لم يشر إلى دور الوترين الصوتيين عند الحديث عن الجهر والهمس، ولا إلى الأوضاع المميزة لهذين الوترين، بل بسط القول في بيان مرور التيار الهوائي عبر جهاز النطق.

وشئ آخر قصر فيه ابن عصفور عن المحدثين، وهو عدم ذكر النظائر للمهموس وللمجهور. أما علماء الأصوات المحدثين فقد بسطوا القول حول هذه النظائر الصوتية، فقسم من الأصوات المجهورة له نظائر مهموسة، وقسم من الأصوات المجهورة ليس له نظائر مهموسة وكذلك المهموسة. أما الأصوات المجهورة التي لها نظائر مهموسة فهي:

د ذ ز ض ع غ

(ت ث س ط ح خ). فذوات البسط مجهورة وذوات المقام مهموسة.

- الأصوات المجهورة التي لا مهموس لها في العربية هي: [ب، ج، ر، ظ، ل، م، ن]
- الأصوات المهموسة التي لا مجهور لها هي: [ش، ص، ف، ق، ك، هـ]([1])

مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **الشدة:**

وقد شرع ابن عصفور بتعريف الشدة فقال:" حرف يمتنع الصوت أن يجري فيه لانحصار الصوت، ألا ترى أنك لو قلت: الحق و الشط ثم رمت مد الصوت في القاف والطاء لكان ممتنعا"([2]).

ويتفق تعريف ابن عصفور للشديد مع تعريف سيبويه له حيث قال: " ومن الحروف(الشديد)وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"([3]).

وقد ورد تعريف ابن عصفور نفسه عند ابن جني، فابن عصفور لم يغير فيه حرفا حتى الأمثلة نفسها يقول ابن جني: " ومعني الشديد أنه الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، ألا ترى أنك لو قلت: الحق والشط، ثم رمت مد صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعا"([4]).

أما الإستراباذي فقد كان تعريفه للشديد أكثر وضوحا من تعريف ابن عصفور حيث قال:

---

١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٢

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٢/٦٧٢

٣) سيبويه: كتاب سيبويه، ٤/٤٣٤

٤) ابن جني: سر صناعة الإعراب،١/٦١

"ونعني بالشديد ما إذا سكنته ونطقت به لم يجر الصوت"([1]).

والحروف الشديدة عند ابن عصفور هي: أ، ج، د، ك، ق، ط، ب، ت ومن الملاحظ من التعريفات السابقة أن العلماء الذين جاءوا بعد سيبويه قلدوه، فواضع التعريف سيبويه والذين لحقوا به نقلوه دون أي تغيير.

إن مصطلح الشدة، عند ابن عصفور، يقابله، عند المحدثين، مصطلح الانفجار. وهو يعني عندهم: انحباس تيار الهواء المنتج للصوت عند نقطة معينة، ثم ينطلق فينتج الأصوات الانفجارية. يقول إبراهيم أنيس " إن مجرى النفس في أثناء الكلام يضيق حينا وقد ينحبس في مكان ما لحظة سريعة جدا بعدها ينطلق بقوة وهنا نلحظ له انفجارا ودويا"([2]).

ويبين كيفية إنتاج الصوت الانفجاري. فهو ينتج عن التقاء عضوي نطق التقاء تاما بحيث يمنع النفس خلف نقطة الالتقاء، ثم ينفصل العضوان، فيندفع الهواء المحبوس فجأة فيحدث صوتا انفجاريا، وهو ما اصطلح القدماء على تسميته بالصوت الشديد([3]).

ويقول رمضان عبد التواب نقلا عن(فندريس): "إن الصوت الانفجاري في عملية إنتاجه يمر في ثلاث مراحل هي: الإغلاق أو الحبس، الإمساك الذي قد يكون طويل المدى أو قصيره، الفتح أو الانفجار"([4]).

مكتبة الجامعة الاردنية

والأصوات الشديدة (الانفجارية) عند المحدثين هي[ب، د، ت، ط، ض، ك، ق، الهمزة]([5]).

وبين ابن عصفور والمحدثين صور من الخلاف تبرز فيما يلي:

أ- التعريف: إن تعريف ابن عصفور للشدة فيه شبه كبير من تعريفه للجهر. وهذا فيه خلط حيث ربط الجهر بعدم جريان النفس، والشدة بعدم جريان الصوت.

ولكن إبراهيم أنيس وضح المقصود بالشدة عند القدماء في أثناء حديثة عن سيبويه، فيرى "أنه لا يوجد أي مبرر يدعو إلى التناقض والخلط. فالموضع هو المجرى الصوتي، والمخرج غير الموضع. ومنع النفس يعني اقتراب الوترين الصوتيين وتذبذبهما، ومع الشدة يمنع الصوت وليس النفس. فالمجهور يمنع النفس ويسمع الصوت والشديد يمنع الصوت لانحباسه"([6]).

---

١) الإستراباذي: شرح الشافية

٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٣

٣) المرجع نفسه: ص٢٤

٤) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة،ص٣٤

٥) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص١٥٠

٦) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١١٢،١١١

ثم يذكر الأصوات الشديدة ونظائرها الرخوة وهي عنده كما يلي:

فالدال صوت شديد نظيره الرخو الزاي أو الذال وهكذا([1]).

- **الرخاوة:**

صفة الرخاوة عكس الشدة ويظهر هذا من تعريف ابن عصفور للحرف الرخو حيث قال: الرخو هو الحرف الذي يجري فيه الصوت من غير ترديد، لتجافي اللسان عن موضع الحرف، ألا ترى أنك تقول: المس و الرش والشح فتجد الصوت جاريا من السين والشين والحاء"([2]).

ويتفق ابن عصفور مع كل من سيبويه وابن جني وابن السراج (ت ٣١٦هـ) في تعريف الرخاوة([3]).

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والحروف الرخوة عند ابن عصفور هي:[هـ، ح، خ، غ، س، ص، ض، ز، ش، ظ، ث، ذ، ف].

إن مصطلح الأصوات الرخوة يقابله عند المحدثين الأصوات الاحتكاكية(Fricatives).

وتعرف هذه الأصوات عند المحدثين وعلى رأسهم إبراهيم أنيس بأنها:" عند النطق بها لا ينحبس الهواء انحباسا محكما، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه عند المخرج ضيقا جدا ويترتب على ضيق المجرى أن النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى"([4]).

أما الأصوات الاحتكاكية عند المحدثين فهي: [ف، ذ، ث، ظ، ز، س، ص، ش، خ، غ، ع، ح، هـ]. ويلاحظ من الآراء السابقة أن ابن عصفور خالف المحدثين في تصنيف صوت(الضاد) فهو عنده وعند غيره من القدماء من الأصوات الرخوة، في حين أنه عند المحدثين من الأصوات الشديدة.

---

١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٥

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/ ٦٧٢

٣) ينظر: سيبويه: الكتاب،٤/٤٣٥،٤٣٤.وينظر أيضا:ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٦١/١، وابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥. ٤٠٢/٣

٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٤

ويبدو أن سبب الخلاف حول هذه الصفة يعود إلى الأسباب التالية:

الأول: أن الضاد القديمة يبدأ المرء النطق بها بالضاد الحديثة، ثم ينتهي نطقه بالظاء، فهي مرحلة وسطى فيها من شدة الضاد الحديثة ومن رخاوة الظاء العربية فكانت عند القدماء من الأصوات الرخوة(١).

الثاني: أن هذا الصوت أصابه شيء من التطور حتى صار إلى ما نعهده له من نطق في عصرنا(٢).

الثالث: أن القدماء – ومنهم ابن عصفور – أخفقوا في وضع الصفات الدقيقة لهذا الصوت، إذ ربما وضعوا صفات الضاد المولدة، لا الضاد العربية الأصيلة(٣).

ولكن القدماء أصابوا في وصف أغلب الأصوات العربية، ولم يختلفوا عن المحدثين إلا في وصف بعض الأصوات ومنها هذا الصوت موضع البحث، فالأرجح أن الضاد أصابها شيء من التطور.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **بين الشديدة والرخوة:**

بعد أن ذكر صفتي الشدة والرخاوة، وصف بعض الأصوات بالمتوسطة بين الشدة والرخاوة، وقال في تعريف هذا المصطلح:" هو الذي لا يجري الصوت في موضعه عند الوقف، ولكن يعرض له أعراض توجب خروج الصوت باتصاله بغير موضعه"(٤).

وابن عصفور يتفق في تعريفه مع تعريف ابن يعيش لهذا الوصف حيث يقول:" التي بين الرخوة والشديدة فهي شديدة في الأصل، وإنما يجري النفس معها لاستعانتها بصوت ما جاور من الرخوة"(٥).

أما سيبويه وابن جني فلم يذكرا تعريفا صريحا لهذا الوصف وإنما ذكرا الحروف التي تتصف بهذه الصفة.

---

١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٤٩

٢) ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص٦٤. وينظر أيضا: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٤٩

٣) كمال بشر: علم اللغة العام، القاهرة: دار المعارف،١٩٨٠م.ص١٠٨

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٦٧٣/٢.والمقرب،ص٣٥٨

٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٢٩/١٠

والحروف المتصفة بهذه الصفة عند ابن عصفور هي: اللام، العين، الميم، الراء، الواو، الياء، الألف، النون. وهذه الحروف يتم لصوتها الانحصار ولكنها لا تخرج من نقطة الانحصار وإنما تنسل إلى مخرج آخر.

وابن عصفور يختلف مع سيبويه في هذه الحروف فهي عند ابن عصفور ثمانية ولكنها عند سيبويه حرف واحد وهو العين حيث يقول:" وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء"(١).

ويختلف ابن عصفور مع ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) في عدد هذه الحروف، فهي عند ابن الجزري خمسة حروف هي: اللام، النون، العين، الميم، الراء(٢).

ولكنه اتفق مع ابن جني في عدد هذه الحروف، يقول ابن جني:" والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية، وهي: الألف، العين، الياء، اللام، النون، الراء، الميم، الواو، ويجمعها في اللفظ(لم يروعنا)"(٣).

ثم بدأ ابن عصفور يوضح كيفية خروج هذه الأصوات عن موضعها إلى موضع آخر على النحو التالي:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

العين: تشبه الحاء في ترديدها، فعند الوقف ينسل صوتها إلى الحاء. فليس لها انحصار الشديد، ولا جري الرخو.

ويختلف ابن عصفور مع المحدثين في وصف هذا الحرف. فالعين عند المحدثين صوت رخو. ويرى إبراهيم أنيس "أن سر هذا الوصف عند القدماء يعود إلى ضعف ما يسمع لها من حفيف. وضعف حفيفها يقربها من الميم والنون واللام"(٤).

وأما كمال بشر فيقول: " أما العين... – وإن كانت احتكاكية – لم تزل أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكا. وقلة الاحتكاك مسوغ ظاهر لضمها إلى هذه الأصوات المتوسطة(= أشباه الحركات)"(٥).

ويذكر أيضا:" والعين في اللغة العربية تمثل مشكلة حقيقية لغير العرب. ومن النادر أن يستطيع واحد منهم نطقها بصورة صحيحة. والحق أن تكوين العين فيه غموض لم يتضح لنا

---

١) سيبويه: كتاب سيبويه، ٤/٤٣٥

٢) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)، ١/٢٠٢

٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/٦١

٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٨٨

٥) كمال بشر: علم اللغة العام، الأصوات، ط٢، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م ص١٧٠

بعد. وهي أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكا؛ ولعل هذا هو ما دعا علماء العربية إلى عدم ذكرها من الأصوات الرخوة(الاحتكاكية)، وعدها واحدا من تلك الأصوات التي سموها الأصوات المتوسطة"(١).

ويصرح عبد القادر عبد الجليل بأن صفة التوسط لم تكن بسبب(الشدة – الرخاوة) إنما بسبب قوة وضوحها السمعي، وأنها متوسطة بسبب شبهها بالحركات لما تتميز به من العلو والشدة في الوضوح(٢).

اللام: " يمتد الصوت فيها، لأن ناحيتي مستدق اللسان يتجافيان، فيخرج الصوت منهما، ولا يخرج من موضع اللام"(٣).

وقد ورد هذا القول عند سيبويه ولكن الخلاف بينه وبين ابن عصفور، أن سيبويه لم يعد اللام من الأصوات المتوسطة، وإنما وصفها بالمنحرف"(٤).

ولم يختلف وصف ابن عصفور عن وصف المحدثين لهذا الصوت فاللام عند المحدثين صوت متوسط بين الشديد والرخو. يقول إبراهيم أنيس: " واللام صوت متوسط بين الشدة والرخاوة"(٥).

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

واللام عند المحدثين نوعان: مرققة وهي الأصل ومفخمة. يقول رمضان عبد التواب:" الأصل في صوت اللام الترقيق، إلا أنه – كما يذكر علماء القراءات – يفخم في لفظ(الله) إذا لم يسبقه صوت من أصوات الكسرة، كما أنهم يجيزون تفخيمه، إذا تلا صوت من أصوات الفتحة، وسبقه أحد الأصوات المطبقة، مثل الصلاة، الطلاق، الظلام"(٦).

والفرق بين اللام المرققة والمفخمة، هو في وضع اللسان مع كل منهما، فاللسان مع المفخمة يتخذ شكلا مقعرا كما هو الحال مع أصوات الإطباق(٧).

النون والميم: يقول ابن عصفور فيهما: "يجري معهما الصوت في الأنف لأن الغنة

---

١) كمال بشر: علم اللغة العام، الأصوات، ص١٥٦

٢) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص١٨١

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧٣/٢

٤) سيبويه: الكتاب، ٤٣٥/٤

٥) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٦٤

٦) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص٤٨

٧) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية،ص٦٤. وينظر أيضا: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص ١٧٤.

صوت ولا يجري في الفم، لأن اللسان لازم لموضع الحرف من الفم"(١).

وقد ورد هذا القول عند سيبويه، ولكن ليس تحت العنوان نفسه، وإنما ضمن الصفات الخاصة بالحروف حيث قال: " ومنها حرف شديد يجري معه الصوت، لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت. وهو النون وكذلك الميم"(٢).

وكلام ابن عصفور موافق لما جاء في شرح المفصل حيث ورد فيه "كالنون التي تستعين بصوت الخياشيم لما فيها من الغنة"(٣).

وقد وافق وصف ابن عصفور وصف المحدثين لهذين الصوتين وهما النون والميم، وها هو ذا إبراهيم أنيس في وصفه لهذين الصوتين يتفق وابن عصفور حيث قال:" النون صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محركا الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثا في مروره نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع فهي في هذا كالميم، غير أنه يفرق بينهما أن طرف اللسان مع النون يلتقي بأصول الثنايا العليا، وأن الشفتين مع الميم هما العضوان اللذان يلتقيان"(٤).

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الراء: يقول فيها ابن عصفور: "يتجافى اللسان عن موضعه للتكرار الذي فيها فيجري معه الصوت"(٥).

ولم يحدد ابن عصفور الموضع الذي يجري معه الصوت. أما سيبويه فقد ذكر أن الراء تنحرف إلى اللام بالتكرير، يقول: " ومنها المكرر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام"(٦).

إن سيبويه وصف الراء بأنها صوت شديد. ولكنه في بيان صفاتها يتفق مع ابن عصفور بأنها تنسل إلى اللام، وهذا الوصف يوافق الحروف التي أطلق عليها القدماء بين الشدة والرخاوة.

أما الإستراباذي فقد كان وصفه أكثر وضوحا من وصف ابن عصفور لهذا الحرف حيث

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧٣/٢

٢) سيبويه: الكتاب، ٤٣٥/٤

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٢٩/١٠

٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ٦٦-٦٧

٥) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٦٧٤/٢

٦) سيبويه: الكتاب، ٤٣٥/٤

قال فيه:" أما الراء فلم يجر الصوت في ابتداء النطق به، لكنه جرى شيئا لانحرافه وميله إلى اللام، كما قلنا في العين المائلة إلى الحاء، وأيضا الراء مكرر فإذا تكرر جرى الصوت معه في أثناء التكرر"(١).

ويتفق ابن عصفور مع المبرد، غير أن الأخير يضيف للراء صفة أخرى وهي(الترجيع) فيقول:" ومنها الراء وهي شديدة، ولكنها حرف ترجيع، فإنما يجري فيها الصوت لما فيها من التكرير"(٢).

ويتفق وصف ابن عصفور للراء مع وصف المحدثين، فهي عندهم من الأصوات المتوسطة يقول إبراهيم أنيس: " والراء كاللام في أن كلا منهما من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، وهي صوت مجهور، فلتكون الراء يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرجه وهو طرف اللسان ملتقيا بحافة الحنك الأعلى فيضيق هناك مجرى الهواء، والصفة المميزة للراء هي تكرار طرق اللسان للحنك عند النطق بها"(٣).

جميع الحقوق محفوظة

الواو والياء والألف: فرق ابن عصفور بين والواو والياء من جهة، والألف من جهة أخرى، من حيث تيار الهواء المنتج لهذه الأصوات، فالواو والياء اتسع مخرجهما لهواء الصوت، فجرى الصوت بعض جري، وأما الألف فاتساع مخرجها أشد من اتساع مخرج الواو والياء. وذلك لأنك تضم الشفتين في الواو وترفع لسانك قبل الحنك في الياء، أما الألف فليس لها شيء من ذلك. فهذه الأحرف الثلاثة لها أصوات في غير موضعها من الفم، فأشبهت الرخوة ولكن ليس للصوت جري في مواضعها، وأشبهت الشديدة للزومها مواضعها(٤).

لم يختلف ابن عصفور عن سيبويه في توصيف هذه الأصوات، ولكن سيبويه صنفها تحت صفتين: الأولى: اللينة وتجمع الواو والياء يقول:" ومنها اللينة وهي الواو والياء لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما "(٥).

والأخرى الهاوية وهي صفة للألف يقول:" ومنها الهاوي حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء

---

١) الإستراباذي: شرح الشافية،

٢) المبرد: المقتضب، ١٩٦/١

٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٦٦

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/ص٦٧٣-٦٧٤

٥) سيبويه: الكتاب، ٤٣٥/٤

لسانك قبل الحنك، وهي الألف"([1]).

وقد زاد سيبويه على ابن عصفور، ترتيب هذه الحروف حسب اتساع مخرجها، يقول: "وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجا الألف، ثم الياء، ثم الواو"([2]).

وقد خالف ابن عصفور الخليل بن أحمد في وصف هذه الحروف. فهي عند الخليل من الحروف الهوائية. الجوف، لا تقع عنده في حيز من الأحياز ولا في مدرج من المدارج([3]). ووصف ابن عصفور أقرب للحقيقة من الخليل بن أحمد.

ويبدو مما سبق، أن هناك خلافا حول طبيعة هذه الأصوات بين ابن عصفور والمحدثين، فابن عصفور عد(الألف والواو والياء) من الأصوات المتوسطة، لكن الدرس الصوتي الحديث أثبت، عن طريق التجارب، أنها تصنف ضمن الحركات الطويلة، فهي من أقسام الحركات (Vowels)، والحركات لا يمكن أن تكون أصواتا صامتة([4]).

ويبدو أن ابن عصفور في تصنيفه لهذه الأصوات ضمن الأصوات المتوسطة اعتمد – في الأعم الأغلب – على قوة السمع التي تتسم به هذه الأصوات من ناحية، وتمتعها بصفة الجهر من ناحية أخرى.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

ويتفق ابن عصفور مع المحدثين في وصف تيار الهواء المنتج لها، فلا يعترض طريقه حاجز ويتفق معهم في ترتيب اتساع مجرى الهواء المنتج لكل صوت منها، فالألف عنده أشد اتساعا من أختيها الواو والياء، ثم يليها الياء، وأقلها اتساعا الواو، وهذا الترتيب لا يختلف عما جاء عند المحدثين من علماء الأصوات. يقول إبراهيم أنيس: "الصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين(Vowels) هي أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه"([5]).

ويقول رمضان عبد التواب: " الأصوات المتحركة، أو أصوات العلة ويسميها الإنجليز(Vowels) تعرف بأنها الأصوات المجهورة، التي يحدث في تكوينها، أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانا، دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء "([6]).

---

١) المرجع نفسه: ٤/٤٣٥-٤٣٦

٢) سيبويه: الكتاب،٤/٤٣٦

٣) الخليل بن أحمد: العين، ١/٥٧

٤) ينظر: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية،ص١٥٢

٥) إبراهيم أنيس:الأصوات اللغوية، ص٢٦

٦) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص٤٢

ومن صور الخلاف بين ابن عصفور والمحدثين، أن ابن عصفور لم يميز بين الحركات(Vowels)، وأنصاف الحركات(Semi vowels)، فالواو والياء في الدرس الصوتي الحديث لهما تصنيفان: الأول: الحركات. والآخر: أنصاف الحركات([1]).

ويذكر كمال بشر: فإذا فسرت الياء والواو على أنهما الواو والياء في نحو ولد ويترك فيكون كلامهم مقبولا، ذلك لأن الواو والياء لها شبه كبير بالحركات، ولكنها تؤدي وظائف الأصوات الصامتة، ومن ثم سميت " أنصاف حركات " Semi-vowels. أما إذا قصد بهما الواو والياء في نحو أدعو، وأرمي، فيكون تقديرهم غير دقيق، إذ الواو والياء في هذين المثالين ونحوهما، حركات صرفة ... أما ذكر الألف هنا فهو خطأ على أي احتمال أردت. ذلك لأن الألف هنا ليست إلا حركة([2]).

فالواو في التراكيب اللغوية تحتل موقعين:

أ – موقع الأصوات الصامتة لتقوم بوظيفتها في تغيير المعنى وتبادل المواضع كما في

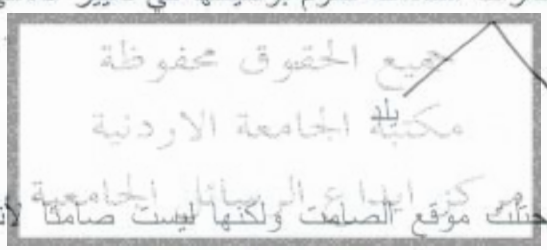

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالواو هنا احتلت موقع الصامت ولكنها ليست صامتا لأنها ينقصها بعض خصائص الصوامت من الناحية الفوناتيكية مثل: الاحتكاك والانغلاق([3]).

ب– موقع الصوائت الطويلة: فهي تقوم بوظيفتها في تشكيل معالم الدلالة وتبادل المواقع كما في: بوق برق

وكذلك الياء تقوم بما قامت به الواو نحو:([4])

يلد ← جلد و يريد ← يرفد

فالواو والياء من ضمن الصوامت كما في: ولد، واحد، واجب، حيث تتوافر إمكانية التبادل الموقعي بين الواو وبين الأصوات الصامتة. ففي الكلمات: جلد، جاحد، حاجب تستطيع الأصوات الجيم والحاء أن تحل محل الواو فتؤدي واجبها الوظيفي. وكذلك الياء في يلد وجلد

---

١) أنصاف الحركات: هي الأصوات التي يكون التضيق، الذي يواجه تيار الهواء عند إنتاجها، ضئيلا، كما في صوتي الواو والياء في نحو: ولد، يدع.

٢) كمال بشر: علم اللغة العام،الأصوات، ص١٦٩-١٧٠

٣) ينظر: محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص٣٢٣

٤) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص ١٠٨

فصوت الجيم يحل محل الياء ويؤدي واجبه الوظيفي. وهما أيضا ضمن الصوائت الطويلة.

ويبدو من كلام ابن عصفور عن الحروف المتصفة بالشدة والرخاوة أن فيه بعض الخلط والاضطراب، ويتمثل هذا الخلط والاضطراب في تصنيف الواو والياء والألف ضمن الصوامت كما مر سابقا، وكذلك في عدم تعليله لهذا التصنيف. وقد عد ابن عصفور(العين) من ضمن هذه الأصوات التي تحمل الصفة نفسها ولم يذكر سبب ذلك. على الرغم من أن علماء الأصوات المحدثين – بما توافر عندهم من آلات وتجارب مخبرية – لم يثبتوا نسبة هذه الصفة لصوت العين يقول إبراهيم أنيس: " لقد عد القدماء(العين) "صوتا متوسطا" أيضا، ولقلة التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق لا نستطيع أن نرجح صحة هذه الصفة"(١).

ويذكر كمال بشر " وقد أطلق علماء العربية القدامى على هذه الأصوات الأربعة – يعني – الراء واللام والميم والنون – مضموما إليها العين الأصوات المتوسطة وجمعوها في قولهم (لم نرع) وهي في رأيهم متوسطة بين الشدة والرخاوة(= الانفجار والاحتكاك) وهذا في نظرنا تقدير غير دقيق، إلا إذا قصد بها ليست انفجارية، ولا احتكاكية، وإنما هي من نوع مستقل. وكان الأولى بهؤلاء القوم أن يحكموا عليها بأنها متوسطة بين الأصوات الصامتة والحركات، فهي تتسم بخواص الأصوات الصامتة، ولكنها في الوقت نفسه تبدي شبها معينا بالحركات، ومن ثم أطلقنا عليها نحن "أشباه الحركات"(٢).

من الواضح أن صفة بين الشدة والرخاوة الواردة عند ابن عصفور، يقابلها عند المحدثين المتوسطة أو المائعة(Liquids) وهي عندهم صفة لأربعة أصوات(اللام، النون، الميم، الراء) " وهي الأصوات التي يمر معها الهواء دون احتكاك أو انحباس من أي نوع، إما لأن مجراه في الفم يتجنب المرور بنقطة السد أو التضييق، كما في صوت اللام، أو لأن هذا التضييق غير ذي استقرار كما في الراء، أو لأن الهواء يمر بالأنف كما في صوتي الميم والنون"(٣). وهذا الوصف لتيار الهواء يتفق تماما مع ما جاء عند ابن عصفور.

- **الإطباق:**

ويعني الإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له. والحروف المطبقة، عند ابن عصفور، هي: الطاء، الظاء، الصاد، الضاد(٤).

ويتفق تعريف ابن عصفور للإطباق مع ما جاء عند سيبويه وابن جني، حيث يقول

---

١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٥

٢) كمال بشر: علم اللغة العام، الأصوات، ص١٦٩

٣) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد: فصول في علم الأصوات، ص٢٢٨

٤) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧٤/٢

سيبويه: "أما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في موضعهن انطبق لسانك من مواضعهن، إلى ما حاذا الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك الصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف"(١). ويقول ابن جني: "والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له"(٢).

أما ابن حماد فقد كان تعريفه للإطباق أوضح من تعريف ابن عصفور حيث قال في الصفة الرابعة للضاد: "الإطباق، وهو ضد الانفتاح، أي الافتراق، والإطباق في اللغة الإلصاق. وفي الاصطلاح هو استعلاء أقصى اللسان، وسطه إلى جهة الحنك الأعلى وانطباق الحنك على وسط اللسان. بحيث ينحصر الصوت بينهما"(٣).

ثم بين ابن عصفور قيمة الإطباق لهذه الحروف، وأنها سمة مميزة لها من غيرها يقول ابن عصفور نقلا عن سيبويه: " ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا – لأن الفارق بينهما إنما هو الإطباق – ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس من موضعها حرف غيرها، فترجع الضاد إليه إذا زال الإطباق "(٤).

ولم يبين ابن عصفور مستويات الإطباق لهذه الحروف ولكن ابن حماد وضح ذلك وبين أن حروف الإطباق أقوى من بعض فالطاء أقواها، والظاء أضعفها، والصاد والضاد متوسطتان(٥).

مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما الإطباق، عند المحدثين، فقد أطلقوا عليه التفخيم، والأصوات المفخمة، عند المحدثين، ثلاثة أقسام هي:

١- أصوات مفخمة تفخيما تاما وهي الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، اللام المفخمة.

٢- أصوات مفخمة جزئيا وهي الخاء، الغين، القاف.

٣- صوت بين حالتي الترقيق والتفخيم(الراء).(٦)

والأصوات المفخمة هي: " الأصوات، التي يصاحب إنتاجها،ارتفاع مؤخر اللسان قليلا إلى أعلى في اتجاه الطبق، ثم يتحرك إلى الخلف قليلا في اتجاه الجدار الخلفي للحلق"(٧).

وهذا التعريف ينطبق على القسم الأول من الأصوات المفخمة. أما أصوات القسم الثاني

---

١) سيبويه: كتاب سيبويه،٤/٤٣٦

٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/٦١

٣) ابن حماد: إتحاف العباد، ص١٥

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٦٧٤

٥) ينظر: ابن حماد: إتحاف العباد، ص١٥-١٦

٦) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص١٥٢

٧) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد: فصول في علم الأصوات، ص٢٢٩

فنسبة تفخيمها أقل من الفئة الأولى. أما صوت الراء فإنه يفخم ويرقق حسب ما يجاوره من أصوات، وحسب حركته([1]).

وقد قام المحدثون بالتفريق بين حالة الإطباق والطبقية، وقد أشار إلى هذا تمام حسان، حيث قال: "الطبقية ارتفاع مؤخرة اللسان،حتى يتصل بالطبق فيسد المجرى،أو يضيقه تضييقا، يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما فهي حركة عضوية مقصودة لذاتها، يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد.أما الإطباق فهو ارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق دون أن يتصل به على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق. يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه"([2]).

يظهر، من خلال عرض المحدثين لهذه الأصوات ووصفها، أن هناك صورا من الخلاف بينهم وبين ابن عصفور وتتجلى هذه الصور بما يلي:

أولا: إن ابن عصفور لم يذكر سوى الأصوات المفخمة تفخيما كاملا ولم يتعرض للأقسام الأخرى من الأصوات التي تتسم بهذه السمة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانيا: لم يذكر ابن عصفور اللام المفخمة، وقد وردت عند المحدثين. ويبدو أن ابن سينا (ت٤٢٨ هـ) تعرض لها في رسالته أسباب حدوث الحروف حيث قال:"وهاهنا لام مطبقة نسبتها إلى اللام المعروفة نسبة الطاء إلى التاء وتكثر في لغة الترك،مأخوذة على أنها حرف آخر، ويستعملها المتفيهق في لغة العرب على أنها اللام المعروفة بعينها"([3]).

ثالثا: إن ابن عصفور عد الدال المقابل المرقق للطاء، وجعل الضاد دون نظير مرقق وهذا يتنافى مع الدرس الصوتي الحديث. ففي الدرس الصوتي الحديث الدال المقابل المرقق للضاد، والمقابل المرقق للطاء هو التاء.

فالنظائر المقابلة للأصوات المفخمة على النحو التالي:

ص، ض، ط، ظ. فالأصوات العلوية مفخمة والأصوات السفلية مرققة([4]).
↓ ↓ ↓ ↓
س د ت ذ

---

١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٦٥. وينظر أيضا: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة،ص٤٩

٢) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص٨٩

٣) ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص١٣١

٤) ينظر: ياسر الملاح: الأصوات اللغوية، القدس: مؤسسة دار الطفل، سنة ١٩٩٠، ص١٠٣

- **الانفتاح:**

ذكر ابن عصفور هذه الصفة في كتابه الممتع والمقرب، وهي، عنده، ضد الإطباق، ولم يضع لها تعريفا كاملا.

وقد وردت هذه الصفة عند سيبويه وقال فيها:"والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف(يعني المطبقة) لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى"(١).

أما شارح الشافية (الإستراباذي) فقد كان تعريفه أوضح من تعريف ابن عصفور حيث قال فيها: "والمنفتحة خلاف المطبقة، لأنه ينفتح ما بين اللسان والحنك عند النطق بها، وهي الحروف الباقية بعد حروف الإطباق الأربعة"(٢).

ويبدو أن ما جاء به ابن عصفور تناسب مع ما جاء عند المحدثين في هذه الصفة، وفي الأصوات المتصفة بها.

فعند المحدثين يقابلها مصطلح الترقيق. ويحدث الترقيق عندما يرتفع مقدم اللسان في اتجاه الغار في أثناء إنتاجه، ويطلق على هذه الظاهرة مصطلح التغوير، وذلك على نحو ما يحدث في كلمة(أودية) حيث يطرأ الترقيق على صوت الدال بسبب مجاورتها لصوت الياء الغارية.(٣)

مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **الاستعلاء:**

عرف ابن عصفور الاستعلاء بقوله: " أن يتصعد اللسان إلى الحنك الأعلى انطبق اللسان أو لم ينطبق"(٤).

لم ترد هذه الصفة عند سيبويه ولكنها وردت عند ابن جني حيث قال: " معنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى "(٥).

والحروف المستعلية عند ابن عصفور هي نفسها عند ابن جني وهي: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الخاء، الغين، القاف.

يقول ابن عصفور:" حروف الاستعلاء وهي الأربعة المطبقة وثلاثة من غيرها وهي: الخاء والغين والقاف والحروف الثلاثة ليست مطبقة، وإنما مستعلية، لأن في أثناء النطق بها

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤٣٦/٤

٢) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٦٢/٣

٣) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد: فصول في علم الأصوات، ص٢٢٩-٢٣٠

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧٥/٢ والمقرب، ص٣٥٩

٥) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٦٢/١

يستعلي أقصى اللسان إلى الحنك دون أن ينطبق"([1]).

ويلاحظ من كلام ابن عصفور أن الإطباق يلزمه استعلاء، أما الاستعلاء لا يلزمه إطباق.

- **الانخفاض:**

ذكر ابن عصفور صفة الانخفاض في حديثه عن الاستعلاء وقال: "الانخفاض ضد ذلك وحروفه كل ما عدا المستعلية"([2]).

ولم ترد هذه الصفة عند سيبويه ولكنها وردت عند ابن جني حيث قال: " وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض"([3]).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في هذه الصفة، وفي عدد الحروف أيضا فهي، عند ابن جني ما عدا المستعلية.

- **المكرر:**

لا يوجد في اللغة العربية أصوات مكررة سوى الراء وقد ذكرها ابن عصفور، وعلل سبب التسمية بقوله: "إذا وقفت عليها رأيت طرف اللسان يتعثر"([4]).

وقد وردت هذه الصفة عند سيبويه، وكان في بيانها أكثر وضوحا من ابن عصفور، حيث قال: " المكرر هو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه. وهو الراء"([5]).

ويتفق وصف ابن عصفور لهذا الصوت – في الأعم والأغلب – مع وصف المحدثين فهو عندهم: صوت لثوي – مكرر – متوسط بين الشدة والرخاوة – مجهور، مفخم ومرقق([6]).

فوصف المحدثين فيه دقة ووضوح، وهوية الصوت عندهم أوضح من هويته عند ابن عصفور، فابن عصفور يتفق مع المحدثين في بعض صفات الراء وهي: التكرار، بين الشدة والرخاوة، الجهر. ويختلف عنهم في وصف المخرج، فعند المحدثين من اللثة بسبب ضرب طرف اللسان لها. فهذا وصف دقيق وسهل، أما مخرجها عند ابن عصفور ففيه صعوبة حيث قال فيه: " من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧٥/٢

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧٥/٢

٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٦٢/١

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧٥/٢

٥) سيبويه: الكتاب، ٤٣٥/٤

٦) ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص ٤٨

لانحرافه إلى اللام"([1]).

ولم يذكر ابن عصفور صفة الترقيق والتفخيم لهذا الصوت بل هو عنده من الأصوات المرققة.

- **غير المكرر:**

"وهي كل الأصوات ما عدا صوت الراء، لأن هذه الأصوات لا يتعثر اللسان في أثناء النطق بها "([2]).

إن ابن عصفور تكلف هذا الوصف لأنه كان بوسعه أن يكتفي بوصف المكرر فهذه الصفة من الصفات الخاصة للأصوات، ولا تختص إلا بصوت واحد وهو الراء، وهذه الصفة لم ترد عند سابقيه من علماء اللغة بل اكتفوا بذكر المكرر.

- **المتقلقلة:**

وردت هذه الصفة عند ابن عصفور في كتاب الممتع ولم يذكرها في المقرب وشرع بتعريفها فهي: " الحروف التي تضغط عن مواضعها وتحفز في الوقف فلا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت"([3]).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهذه الحروف هي: القاف والجيم والدال والطاء والباء.

وقد وردت هذه الصفة عند سيبويه تحت صفة الحروف المشربة حيث قال فيها: " واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه وهي حروف القلقلة، وذلك القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء. والدليل على ذلك أنك تقول: الحذق، فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت لشدة ضغط الحرف"([4]).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في هذه الصفة، وفي حروفها، يقول ابن يعيش: " وأما حروف القلقلة فهي خمسة القاف والجيم والطاء والدال والباء ويجمعها(قد طبج) وهي حروف تخفى في الوقف وتضغط في مواضعها، فيسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه"([5]).

وقد وضح ابن عصفور أن هذا الصوت الذي يلحق حروف القلقلة في حالة الوقف فإنه

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٢/٦٧٠

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٦٧٥

٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٤) سيبويه: الكتاب، ٤/١٧٤

٥) ابن يعيش:شرح المفصل،١٠/١٣٠

يزول في حالة الوصل وذلك بسبب خروج اللسان عنها إلى صوت آخر نحو (خذه)([1]).

ويعلل كمال بشر قول العرب بوجوب تحريك الباء بصويت، إذا كانت ساكنة لضرورة تحقيق الصفة الانفجارية، والجهر لهذا الصوت([2]).

ويتفق ابن عصفور مع المحدثين في هذه الصفة، والحروف المتصفة بها. وقد تعلل ظاهرة القلقلة بأن بعض الحروف إذا وقفت عليها فقدت شيئا من صفاتها، فمثلا الباء في حالة الوقف تفقد الانفجار والجهر، وكذلك الدال. وبعض الحروف في حالة الوقف تخفى فلا بد من تحريك اللسان عن موضعه حتى يخرج صوتها فيسمع.

- **الإشراب:**

ذكر ابن عصفور الحروف المشربة وهي عنده الزاي، الظاء، الذال، الضاد، الراء. ثم عرف معنى الإشراب بقوله: " المشرب حرف يخرج معه عند الوقف عليه نحو النفخ، إلا أنه لم يضغط ضغط المقلقل"([3]).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا التعريف، ولكنه يختلف معه في عدد الحروف فسيبويه لم يذكر الراء ضمن هذه الحروف ولكنه ذكرها بقوله:"والراء نحو الضاد"([4]).

ولم يوضح ابن عصفور سبب التسمية، أما سيبويه فقد بين ذلك بقوله: " ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة ولم تضغط ضغط الأولى، وهي الزاي، الظاء، الذال، الضاد؛ لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره وقد فتر من بين الثنايا لأنه يجد منفذا .... والضاد تجد المنفذ من بين الأضراس"([5]).

وقد جاء مثل هذا القول عند ابن جني أيضا، فعدد الحروف المشربة عنده أربعة يقول: "ومن المشربة حروف يخرج معها عند الوقف عليها نحو النفخ، إلا أنها لم تضغط ضغط الأولى، وهي: الزاي، الظاء، الذال، الضاد، وبعض العرب أشد تصويتا"([6]).

ولم يتعرض المحدثون لهذه الصفة. ويبدو أن عدم ضبط مخارج الحروف عند القدماء جعلهم يكثرون من عدد صفات الحرف الواحد، أما المحدثون فقد اعتمدوا على التجارب

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف،٢/٦٧٦

٢) ينظر: كمال بشر: علم اللغة العام، الأصوات العربية،ص ١٠١

٣) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٦٧٥ – ٦٧٦

٤) سيبويه: الكتاب، ٤/١٧٥

٥) المرجع نفسه: ص١٧٤

٦) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/٦٣

والآلات، فكان وصفهم أكثر دقة.

- **ما ليس فيه قلقلة ولا إشراب:**

يقول ابن عصفور في هذه الصفة: " ومن المشرب ما لا يخرج بعده شيء من ذلك نحو الهمزة، والعين، والغين، واللام، والنون، والميم "(١).

المقصود من كلام ابن عصفور أنه لا يضغط ضغط المتقلقل، ولا يخرج معه عند الوقف النفخ. وقد اتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذه الصفة وفي عدد الحروف المتسمة بها ولكنه لم يوضح سبب التسمية كما فعل سيبويه. يقول سيبويه في ذلك: " ومنها حروف مشربة لا تسمع بعدها في الوقف شيئا مما ذكرناه؛ لأنها لم تضغط ضغط القاف ولا تجد منفذا كما وجد في الحروف الأربعة "(٢).

وشرع سيبويه يوضح ذلك بما يلي:

اللام والنون: ارتفعتا عن الثنايا فلم تجدا منفذا.

الميم: لا تجد منفذا لأن الشفتين تنضمان عند إنتاجها.

الهمزة والعين والغين: لا تستطيع النفخ من مواضعها.(٣)

مركز إيداع الرسائل الجامعية

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في هذه الحروف حيث يقول الأخير: "ومن الحروف ما لا تسمع بعده شيئا، لأنه لم يضغط ولم يجد منفذا وهي: الهمزة، والعين، والغين، واللام، والميم، والنون"(٤).

ولم يفرق ابن عصفور بين المهموس والمشرب أما سيبويه وابن جني فقد وضحا ذلك بقولهما: أن الصوت الذي يخرج مع الحروف المهموسة من التنفس وليس صوت الصدر(٥).

- **المهتوت:**

المهتوت عند ابن عصفور هو الحرف الضعيف الخفي، ولا يوجد في العربية حرف يتسم بهذه الصفة سوى حرف الهاء(٦).

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤/٦٧٥-٦٧٦

٢) سيبويه: الكتاب، ٤/ ١٧٥

٣) ينظر: المرجع نفسه والصفحة نفسها

٤) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/٦٤

٥) ينظر سيبويه: الكتاب، ٤/ ١٧٥.وينظر أيضا: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/ ٦٣

٦) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/ ٦٧٦

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في هذا الوصف حيث ورد في سر الصناعة:" ومن الحروف المهتوت، وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء"([1]).

أما ابن يعيش فالحرف المهتوت عنده هو التاء حيث قال: " ومنها المهتوت وهو التاء وذلك لما فيها من الضعف والخفاء "([2]).

ويختلف ابن عصفور مع الإستراباذي في الحرف المهتوت، فعند الرضي الإستراباذي التاء حيث قال:" وإنما سمي التاء مهتوتا لأن الهت سرد الكلام على سرعة، فهو حرف ضعيف لا يصعب التكلم به على سرعة "([3]). ويبدو أن هناك خلافا بين القدماء حول المهتوت، ولكن يجمع الصفات لكل من التاء والهاء تبين أن الهاء أضعف من التاء، وأخفى منها لأن الهاء احتكاكي مهموس والتاء انفجاري مهموس، فالتاء تتميز بالانفجار الذي يعني انحباس تيار الهواء عند التقاء عضوي نطق وبسبب الضغط الهوائي على نقطة الالتقاء ينفجر الهواء محدثا صوتا انفجاريا فهي أوضح في السمع من الهاء الذي قال فيها الخليل: " ولولا هنة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء "([4]).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **غير المهتوت:**

الحرف المهتوت، عند ابن عصفور، هو الهاء، وما تبقى من الحروف غير مهتوت، وهذه الصفة من الصفات الخاصة التي يتسم بها حرف واحد فلا حاجة إلى عكسها ولم ترد هذه الصفة عند سيبويه.

- **الذلاقة:**

وهي صفة لستة أحرف هي: اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم. وسميت ذلقية لأنها يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه([5]).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في هذه الصفة، وفي عدد حروفها، فهي عنده:"ومنها حروف الذلاقة، وهي ستة: اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم، لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه "([6]).

---

١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٦٤/١

٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٣١/١٠

٣) الإستراباذي: شرح الشافية،٢٦٤/٣

٤) الخليل بن أحمد: معجم العين،٥٧/١

٥) ابن عصفور:الممتع في التصريف،٦٧٦/٢

٦) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٦٤/١

أما الإستراباذي فقد كان أوضح في وصف هذه الصفة حيث قال فيها: "الذلاقة: الفصاحة والخفة في الكلام،وهذه الحروف أخف الحروف"(١).

والجدير بذكره أن هذه الصفة لم ترد عند سيبويه ولكنها وردت عند ابن جني تلميذ سيبويه. وقد أورد الخليل بن أحمد هذه الصفة في مخارج الحروف عنده في قوله:"الراء واللام والنون ذلقية"(٢).

ونقل ابن عصفور عن ابن جني السر الذي في هذه الحروف فقال في ذلك:" وفي الحروف الذلقية سر طريف ويُنتفع به في اللغة. وذلك أنك متى رأيت اسما رباعيا أو خماسيا غير ذي زوائد فلا بد فيه من حرف منها أو حرفين أو ثلاثة... فمتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة فاقض بأنه دخيل في كلام العرب وليس منه"(٣).

ولم يفسر ابن عصفور هذا السر، أما الإستراباذي فإنه يرى أن سبب هذا السر هو أن الرباعي والخماسي ثقيلان، فلم يخليا من حرف سهل على اللسان خفيف، ويرى أن أحرف الذلاقة أخف الحروف(٤).

أما إبراهيم أنيس فإنه يرى أن السبب في تسمية هذه الحروف بالذلاقة ليس مرتبطا بمخرجها أو صفاتها أو أي ناحية من النواحي الصوتية، وإنما لكثرة شيوعها في الكلام العربي(٥).

مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **الإصمات:**

الإصمات عند ابن عصفور ضد الذلاقة، وكل الحروف ما عدا حروف الذلاقة مصمتة أي: صُمِتَ عن أن تُبْنى منه كلمة رباعية أو خماسية(٦).

وقد وردت هذه الصفة عند ابن جني في سر الصناعة ونقلها ابن عصفور عنه(٧).

ويتفق ابن عصفور مع شارح الشافية في هذه الصفة حيث يقول الإستراباذي فيها: "والمصمتة: ضد حروف الذلاقة، والشيء المصمت هو الذي لا جوف له، فيكون ثقيلا وسميت بذلك لثقلها على اللسان. وقيل: إنما سميت بذلك لأنها أصمتت عن أن يبنى منها وحدها رباعي

---

١) الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، ٢٦١/٣

٢) الخليل بن أحمد:العين،٥٨/١

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/ ٦٧٦-٦٧٧

٤) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٦٢/٣

٥) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١١٠

٦) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧٧/٢

٧) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٦٤/١

أو خماسي"([1]).

- **الاستطالة:**

أفرد ابن عصفور هذه الصفة بحرف الضاد لأنها استطالت في مخرجها([2]). ولم يفسر معنى الاستطالة كما فعل سيبويه حيث قال سيبويه: "... لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام "([3]). فقد نص سيبويه على أن صفة الاستطالة بالضاد نصلها بمخرج الراء.

ويتفق ابن عصفور مع ابن حماد في هذه الصفة لصوت الضاد، فقد ذكرها ابن عصفور حماد في الصفة السابقة للضاد على نحو أكثر وضوحا حيث قال: " الاستطالة وهي في اللغة الامتداد مطلقا وفي الحرف امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها وهي صفة الضاد"([4]).

أما عبد الصبور شاهين فقد عرف الاستطالة بقوله:" إن الصوت يشغل من طول اللسان مساحة تصل مخرجه بمخرج صوت آخر يجاوره"([5]).

ملاحظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **عدم الاستطالة:**

وردت هذه الصفة عند ابن عصفور، وهي عنده تقابل المستطيل من الحروف، وهذه الصفة لم ترد عند القدماء؛ لأن الاستطالة من الصفات الخاصة التي تختص بحرف واحد، هو الضاد،أما غير المستطيل فكل الحروف ما عدا الضاد، ولكن في توصيف الحروف لم تذكر هذه الصفة.

- **الانحراف:**

هذه الصفة خاصة بصوت اللام عند ابن عصفور، ولكنه لم يوضح معنى الانحراف. أما سيبويه فقد قال فيها: "ومنها المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ... وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك"([6]).

---

١) الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/ ٢٦٣

٢) ينظر ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧٨/٢

٣) سيبويه: الكتاب، ٤/ ٤٥٧

٤) ابن حماد: إتحاف العباد، ص١٧

٥) عبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٥، ص٢٢٢

٦) سيبويه:الكتاب،٤٣٥/٤

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في هذه الصفة، فقد وردت عند ابن يعيش، حيث قال فيها:" ومنها المنحرف وهو اللام؛ لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما"(١).

ويؤيد قول ابن عصفور شارح شافية ابن الحاجب، حيث يقول:" وإنما سمي اللام منحرفا لأن اللسان ينحرف عند النطق به، ومخرجه من اللسان ــ أعني طرفه ــ لا يتجافى عن موضعه من الحنك، وليس يخرج الصوت من ذلك المخرج، بل يتجافى ناحيتها مستدق اللسان ولا تعترضان الصوت، بل تخليان طريقه، ويخرج الصوت من تينك الناحيتين "(٢).

والمصطلح المرادف للمنحرف في الدرس الصوتي الحديث هو الملمح الجانبي lateral feature يقول محمد جواد النوري في ذلك: " الملمح الجانبي يعين هذا الملمح كمية تيار الهواء المتدفق على جانب اللسان،وله قيمتان:(+ جانبي) و(– جانبي) ومثال الأول صوت اللام في العربية"(٣).

وقد بين رمضان عبد التواب معنى الجانبي بقوله:" ومعنى أنه صوت جانبي، أن أحد جانبي اللسان أو كليهما يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور بينه وبين الأضراس، في الوقت الذي لا يمكن فيه المرور من واسطة الفم لحيلولة طرف اللسان المتصل باللثة دون ذلك"(٤)

مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **عدم الانحراف:**

هذه الصفة، شأنها شأن صفة عدم الاستطالة ، هي من الصفات التي لم ترد عند العلماء القدامى، ولكن ابن عصفور جعلها تقابل صفة الانحراف، فالانحراف صفة خاصة بصوت واحد من أصوات اللغة العربية وهو اللام، أما الأصوات الباقية فلا داعي إلى أن توصف بأنها غير منحرفة. وغير المنحرف عند ابن عصفور جميع الحروف ماعدا اللام(٥).

- **الغنة:**

صوت في الخياشيم، والحرفان المتصفان بهذه الصفة هما الميم والنون(٦).

---

١) ابن يعيش:شرح المفصل،١٠/١٣٠

٢) الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/ ٢٦٣ –٢٦٤

٣) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد: فصول في علم الأصوات، ص١٤٤

٤) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص٤٩

٥) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/ ٦٧٨

٦) ينظر: المرجع نفسه: ٢/ ٦٧٨

ولم يوضح ابن عصفور المقصود بالغنة إلا أنه عنده صوت في الخياشيم. ولم ترد هذه الصفة عند سيبويه وابن جني، ويبدو أن ابن عصفور انفرد بها عن غيره من السابقين في صفات الحروف أما في باب الإدغام فقد وردت عند سيبويه حيث قال:"والنون تدغم مع الراء... وتدغم بغنة وبلا غنة "([1]).

وهذه الصفة وردت عند المحدثين ولكنهم أطلقوا عليها الأنفية. وهذا الملمح يعني درجة خفض الحنك اللين. يقول إبراهيم أنيس في ذلك: " النون: صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محركا الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم، ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثا في مروره نوعا من الحفيف"([2]).

ولا تختلف الميم عن النون إلا في العضوين الملتقيين، يقول إبراهيم أنيس: "فمع النون يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، وأن الشفتين مع الميم هما العضوان اللذان يلتقيان"([3]).

وقد وضح رمضان عبد التواب معنى الأنفية بقوله: " ومعنى الأنفية، في هذا الصوت، أن الهواء الخارج من الرئتين يمر في التجويف الأنفي محدثا في مروره نوعا من الحفيف، وهي كالميم تماما، غير أن الفرق بينهما أن طرف اللسان مع النون يلتقي باللثة فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم، بعكس الميم فإن الذي يمنع مرور الهواء من الفم هما الشفتان"([4]).

يلاحظ من التعريفات السابقة أن الغنة صوت وليس صفة، لأن الذي جعل العلماء يطلقون الغنة على الميم والنون خروجهما من الأنف، وفي أثناء خروجهما يخرج صوت الغنة.

ويمكن القول إن سيبويه وابن جني وغيرهما لم يذكروا هذه الصفة ضمن صفات الحروف لهذا السبب. ولكن المحدثين عدوا الأنفية ملمحا مميزا للأصوات. والأنفية من الصفات الخاصة التي تختص بصوتين فقط وهما الميم والنون. وقد اتفق ابن عصفور مع المحدثين في هذين الصوتين.

- **عدم الغُنّة:**

وهي صفة ضد الغنة، وقد انفرد ابن عصفور بإيراد هذه الصفة دون سابقيه، وهذه الصفة فيها بعض التكلف. لأن الغنة، وان اعتبرها ابن عصفور من الصفات المميزة للصوت إلا أنها

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤/ ٤٥٢

٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٦٦

٣) المرجع نفسه:ص٦٧

٤) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص٤٩

صفة خاصة، لا تفرق بين مجموعة من الأصوات.

يقول ابن عصفور: " الأغن الميم والنون، وما عدا ذلك فليس بأغن"([1]).

٤. الدرس الصوتي الحديث وابن عصفور.

ويلاحظ، من الصفات السابقة، أن مجمل الصفات عند ابن عصفور أربعة وعشرون صفة، وجعل لكل صفة ضدا أو مقابلا، وبعض الصفات كان ضدها فيه تكلف بل انفرد فيه ابن عصفور عن السابقين واللاحقين.

لقد اعتمد ابن عصفور في توصيفه للحروف على المخرج من ناحية، وعلى طبيعة تيار الهواء المنتج للصوت من ناحية أخرى، ولم يعتمد دور الوترين الصوتيين في تصنيف الحروف، وذلك لأنه كان لا يعي الدور المهم لهذين الوترين.

ولم يميز ابن عصفور بين الصفات العامة والصفات الخاصة، بل خلط بينهما، ولم تكن منهجيته في تقسيم الصفات واضحة بل شرع بذكر الصفة وضدها، دون أن يوضح، في بعض الأحيان، المقصود بما ينادي به، كتعريف الجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والشيء المهم الذي لم يتناوله ابن عصفور في الدرس الصوتي هو الحركات، التي تعد في الدرس الصوتي الحديث قسما مهما من أصوات اللغة.

لقد قسم علماء الأصوات المحدثون الأصوات اللغوية إلى قسمين هما:

١- الأصوات الساكنة Consonants

٢- الحركات Vowels([2])

ويطلق فريق من الدارسين على القسم الأول: الأصوات الصامتة، والقسم الثاني: الحركات أو أصوات العلة([3]).

ومن العلماء من يطلق على القسم الأول الأصوات الصامتة والقسم الآخر الأصوات الصائتة([4]). والفرق الرئيس بين القسمين هو كيفية مرور الهواء في مجرى النطق.

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧٨/٢

٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٢٦

٣) رمضان عبد التواب: المخل إلى علم اللغة، ص٤٢

٤) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص١٩٩. وينظر: توفيق محمد شاهين: علم اللغة العام، مكتبة وهبي، القاهرة: ص١٠١

فالصوامت هي: " الأصوات، التي يتعرض تيار الهواء، الصادر من الرئتين في أثناء إنتاجها إلى قدر كبير من التضييق، والتوتر، والاحتكاك والغلق في بعض الحالات. ومن أمثلتها الهمزة، والباء، والتاء، والثاء وغيرها"(١).

أما الصوائت فتعرف:" بأنها الأصوات المجهورة التي تحدث في تكوينها، أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، دون أن يكون هناك عائق، يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما، أو تضييق لمجرى الهواء، من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا"(٢).

إن المنهجية، التي اتبعها ابن عصفور في تصنيف الأصوات العربية، لا تختلف كثيرا عن منهجية المحدثين. فقد اتفق معهم في معيارين؛ الأول: المعيار المخرجي، والآخر: معيار تيار الهواء المنتج للأصوات. وأما المحدثون فقد اتبعوا معايير عدة، وتقسيمات كثيرة، ولكن أساسها يقوم على أربعة معايير وهي:

١- وضع الأوتار الصوتية من ذبذبة أو عدم ذبذبة، ويقود هذا التقسيم إلى صفتي الجهر والهمس. وهذا المعيار لم يتعرض له ابن عصفور. ويبدو أن غياب التجارب المخبرية والآلات في عصره كان سببا لعدم معالجة الأصوات ضمن هذا المعيار.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومع ذلك فقد عرف ابن عصفور المجهور، وعرف المهموس وربطهما في جريان النفس وعدمه. ومما يدل على معرفته لهما أن الأصوات المتصفة بهما لا تختلف كثيرا عن الأصوات التي وردت عن المحدثين.

٢- مخارج الأصوات: اتبع ابن عصفور في تصنيفه هذا المعيار، وهو موجود عند المحدثين، ولكن ابن عصفور، جعل المخارج ستة عشر مخرجا، أما عند المحدثين، فقد قلصت إلى عشرة مخارج وهناك خلاف بين ابن عصفور والمحدثين في نسبة بعض الأصوات إلى مخارجها، فمثلا الضاد عند ابن عصفور، من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، أما عند المحدثين فهي من ضمن الأصوات الأسنانية اللثوية.

٣- حالة ممر الهواء عند مواضع النطق: وذلك بأن ينحبس تيار الهواء انحباسا تاما، أو ينحبس انحباسا جزئيا، أو يستمر التيار بشكل مستقيم، أو بشكل منحرف، فكل هذه الأحوال تؤثر تأثيرا واضحا على الصوت المراد إنتاجه. مما يؤدي في حالة الانحباس التام إلى إصدار

---

١) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد: فصول في علم الأصوات، ص٢٢٤

٢) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص٤٢

الأصوات الانفجارية، وفي حالة الانحباس، الجزئي يتم احتكاك تيار الهواء بعضوي النطق فينتج الأصوات الاحتكاكية، وفي حالة الاضطراب أو التكرار يصدر عنه الصوت المكرر، وفي حالة الميل والانحراف يصدر عنه الصوت الجانبي، وفي حالة الاستقامة يصدر عنه الحركات الطويلة.

وقد وجد هذا المعيار عند ابن عصفور ولم يختلف عن المحدثين حتى في وصف تيار الهواء المنتج لحروف اللين { الألف، الواو، الياء }.

٤- معيار التفخيم والترقيق: وقد ورد هذا المعيار عند ابن عصفور ولكنه لم يعالجه معالجة المحدثين من حيث نسبة التفخيم، والنظائر المرققة للأصوات المفخمة.

أما من ناحية الصفات التي يتصف بها الصوت الواحد لتميزه عن غيره من الأصوات، فقد أسهب ابن عصفور في ذلك حين، جعل لكل صفة ضدا، وخلط بين الصفات العامة والصفات الخاصة.

أما المحدثون فقد كانت الصفات المميزة للصوت أكثر وضوحا من ابن عصفور، وميزوا بين الصفات العامة، والصفات الخاصة.فمن الصفات العامة مثلا صفتا الجهر والهمس، فكل صوت إما مجهور وإما مهموس. أما الصفات الخاصة فهي التي تخضع لها بعض الأصوات مثل صفة التكرار والأنفية، والجانبية، فهي خاصة بصوت أو صوتين.

وأما بالنسبة للصفات العامة عند ابن عصفور لا تختلف كثيرا عن الصفات عند المحدثين فمثلا:

عند المحدثين		عند ابن عصفور
الانفجاري	يقابله	الشديد
الاحتكاكي	يقابله	الرخو
الأنفي	يقابله	الغنة
المكرر	يقابله	المكرر

وأما المصطلحات التي استخدمها ابن عصفور فأكثرها منقول عن سيبويه ولا شك أنها يكتنفها بعض الغموض، وهذا يعود – في الأعم الأغلب – إلى عدم الدقة في تحديد المطلوب، وابن عصفور معذور في ذلك، لأن دراسته الصوتية كانت معتمدة على الملاحظة وتذوق الأصوات. أما المحدثون العرب فالمصطلحات الواردة عندهم سهلة واضحة، ومما يلاحظ عليها أنها مترجمة أو صيغت لتتفق مع ما عند الدارسين الغربيين الذين اتضحت عندهم أسس التصنيف نتيجة لاعتمادهم على الآلات الحساسة، والتجارب. فكانت أسسهم التصنيفية أكثر دقة مما عند القدماء العرب.

الفصل الثالث

القضايا الصوتية الصرفية عند ابن عصفور

أولا : الإدغام

أ. تعريف الإدغام

ب. سبب الإدغام

ج. أقسام الإدغام

١. إدغام المثلين

أ. اجتماع المثلين في كلمة واحدة في الفعل

ب. اجتماع المثلين في كلمة واحدة في الاسم الثلاثي المجرد

ج. اجتماع المثلين في كلمة واحدة في الاسم المزيد

د.اجتماع المثلين في كلمتين

٢. إدغام المتقاربين

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

١. إدغام المتقاربين في كلمتين

أ. أحكام حروف الحلق في الإدغام

ب. ذكر حروف الفم الإدغام

ج. مواضع النون

د. حكم الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا

هـ.حكم الصفيريات في الإدغام

و. حكم الشفويات في الإدغام

٢. إدغام المتقاربين في كلمة واحدة

أ. امتناع الإدغام

ب. جواز الإدغام

ج. الشاذ من إدغام المتقاربين في كلمة واحدة

ثانيا: الإبدال

أ. تعريف الإبدال

ب. حروف البدل عند ابن عصفور

١. إبدال الهمزة

٢. إبدال الدال

القضايا الصوتية الصرفية عند ابن عصفور

تمهيد:

تختلف دراسة الصوت اللغوي المجرد عن دراسته داخل البنية اللغوية، فالصوت المجرد يحتفظ بالملامح المميزة له، في الأعم الأغلب، لكنه عندما يدرس في السياق، فإن الأمر يختلف، ذلك أن كمية الجهد اللازمة لإنتاجه وإمكانية تأثره بالأصوات السابقة عليه، واللاحقة به، هي من الأمور التي يجب أن تؤخذ بالحسبان في هذا المجال، وإن صوتا مثل النون نجد أنه في السياقات المختلفة قد ينطق على سبع صور، وكلها أعضاء لفونيم النون([1]).

إن الأصوات هي اللبنات التي تشكل اللغة، ومنها تبنى الكلمات، واللغة سلسلة من الأصوات المتتابعة، أو المتجمعة في وحدات أكبر، وعلى هذا، فإن أي دراسة تفصيلية للغة ما تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية وهذا يقتضي دراسة تجمعاتها الصوتية، وربما كان علم الصرف أكثر فروع الدراسة اللغوية حاجة إلى التحليل الصوتي([2]).

ويبدو أن علماء العرب القدامى،عرفوا ذلك، إذ إنهم عمدوا، قبل الشروع في دراسة القضايا الصرفية، كالإدغام مثلا إلى دراسة الأصوات اللغوية، وصفاتها، ومخارجها لكي يتمكنوا من معالجة القضايا المتعلقة بها.

جامعة الاردنية

وقد تناول ابن عصفور، شأنه شأن سابقيه من علماء العربية، الأصوات من خلال قضية الإدغام. وفي هذا الفصل، سأحاول عرض ما جاء عند ابن عصفور من قضايا صوتية صرفية، ومقارنتها مع من سبقه من العلماء.ومحاولة بيان أوجه الاتفاق والاختلاف مع علماء الدرس الصوتي الحديث، وتحليليها تحليلا صوتيا حديثا.

وتشمل هذه القضايا ما يأتي:

أولا: الإدغام.

ثانيا: الإبدال.

ثالثا: الإعلال.

وسأحاول عرض المادة في كل قضية من هذه القضايا حسب الترتيب السابق، ودراستها دراسة تفصيلية قدر الإمكان.

---

١) عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام، ص١٠٦

٢) ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي،ص٣٤٧ بتصرف.

أولا: الإدغـــام

أ. تعريف الإدغام عند ابن عصفور:

لم يتعرض ابن عصفور إلى المعنى اللغوي للإدغام، الذي يعني "إدخال اللجام في أفواه الدواب. وأدغم الفرس اللجام : أدخله في فيه، وأدغم اللجام في فمه"(١)، واكتفى بالمعنى الاصطلاحي له حيث يقول: "الإدغام هو رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة، ووضعك إياه موضعا واحدا"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في مجمل التعريف، حيث إن الأخير، لم يضع تعريفا صريحا للإدغام، وإنما عقد أكثر من باب في كتابه حول الإدغام، منها باب التضعيف، وباب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا(٣).

ويظهر الاتفاق من خلال تسمية الباب الأخير، حيث يتضح منه التعريف الذي جاء به ابن عصفور.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ويبدو أن ابن جني كان أكثر إدراكا لماهية الإدغام من ابن عصفور، فقد ربطه بالصوت. حيث قال:"قد ثبت أن الإدغام المألوف هو تقريب صوت من صوت"(٤).

وهناك اختلاف بين ابن عصفور والمبرد حول ماهية الإدغام، فتعريف الأخير أكثر وضوحا وتفصيلا، حيث تعرض للحركة، والمخرج فقال:" وتأويل قولنا:(مدغم)أنه لا حركة تفصل بينهما، فإنما تعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة لأن المخرج واحد، ولا فصل"(٥).

ويختلف ابن عصفور عن ابن يعيش في تعريف الإدغام حيث تناوله الأخير من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، فالإدغام عند الأخير هو:"إدخال شيء في شيء يقال:أدغمت اللجام في فم الدابة أي أدخلته في فيها... ومعناه في الكلام أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد ترتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة"(٦).

إن مصنفات القدامى لا تخلو من الحديث عن الإدغام، واستعمال هذا المصطلح، على

---

١) ابن منظور: لسان العرب، مادة(دغم)

٢) ابن عصفور:الممتع في التصريف،٦٣١/٢. والمقرب،ص٥٠٦

٣) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤٣٧/٤،٤١٧

٤) ابن جني: الخصائص،١٣٩/٢

٥) المبرد: المقتضب،٢٠٣/١

٦) ابن يعيش: المفصل،١٢١/١٠

الرغم من الاختلاف حول ماهيته، فابن عصفور ربطه باللسان، والموضع، وسيبويه أطلق عليه التضعيف، والإدغام. وابن جني يرى أن الإدغام هو التقريب الصوتي، وابن يعيش اشترط عدم الفصل بينهما بحركة، ووصف رفعة اللسان بالشدة.

ويبدو أن سبب الاختلاف حول ماهية الإدغام ناجمة عن أصنافه فحاولوا دمجها في التعريف فتباينت تعريفاتهم. ويظهر أن أغلب القدامى عرفوا إدغام المتماثلين، إلا ابن جني الذي ربطه بالتقريب الصوتي.وعند تعريف الحرفين المتجانسين لا يوجد تقريب صوتي، لأنه في الأصل صوت واحد، لا يريد الناطق أن يكلف نفسه جهدا مضاعفا في نطقه، فيلجأ إلى دمج الحرفين المتماثلين.

ويتفق ابن عصفور مع رواد المدرسة اللغوية الحديثة الغربيين في حد الإدغام ولكنهم يطلقون عليه مصطلح "Complete Assimilation"، أي المماثلة الكاملة(١).

ويعرفه إبراهيم أنيس بقوله:"الإدغام عبارة عن فناء الصوت الأول في الثاني، بحيث ينطق بالصوتين صوتا واحدا كالثاني"(٢).

وعرفه عبد القادر عبد الجليل بقوله:"الإدغام إنتاج الصوتين المتتاليين ونطقهما دفعة واحدة، قصد التيسير والتخفيف"(٣).

وقد فرق عبد الصبور شاهين بين التضعيف من الناحية الصوتية، والتضعيف من الناحية الصرفية، حيث اعتبره من الناحية الصوتية صامتا طويلا، ومن الناحية الصرفية صامتا مكررا(٤).

وإلى هذا ذهب أحمد مختار عمر في تعريف الإدغام: "هو إحلال صوت ساكن طويل محل الصوتين الساكنين القصيرين"(٥).

ويبدو أن علماء العربية القدامى لم يتناولوا الإدغام من الناحية الصوتية وإنما اكتفوا بالناحية الصرفية، فلذلك لا نجد في نتاجهم اللغوي مصطلحات صوتية كالساكن الطويل أو القصير بل عمدوا إلى ذكر التضعيف، دون النظر إلى الفترة الزمنية اللازمة لإنتاج الصوت المكرر، وربما يعود هذا إلى اعتماد العلماء القدامى على الملاحظة الذاتية بسبب غياب الآلات المخبرية التي اعتمد عليها المحدثون ولهذا لجأ القدماء في تقعيد اللغة إلى السماع والقياس.

---

١) ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي،ص٣٣٢

٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١٨٧

٣) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية،ص٣٠١

٤) ينظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، بيروت:مؤسسة الرسالة،سنة١٩٨٠.ص٢٠٧

٥) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي،ص٣٣٣

ب. سبب الإدغام:

يرى ابن عصفور أن سبب الإدغام هو: التخلص من الثقل من المثلين والمتقاربين؛ لأن العضو الذي يخرج منه الحرف يعمل مرتين دون أن يتسرح اللسان، فقد شبهه بمشي المقيد. ونص على ذلك بقوله:"إن النطق بالمثلين ثقيل، لأنك تحتاج فيهما إلى إعمال العضو الذي يخرج منه الحرف المضعف مرتين فيكثر العمل على العضو الواحد... فإن الحرفين إذا كانا مثلين فإن اللسان يرجع في النطق بالحرف الثاني إلى موضعه الأول، فلا يتسرح اللسان بالنطق كما يتسرح بالغيرين، بل يكون في ذلك شبيها بمشي المقيد"(١).

أما المتقاربان فإنهما يشبهان المثلين؛ لأن فيهما بعض الثقل، وسبب ثقلهما لأنك تعمل العضو وما يليه كما أعمل العضو الواحد مرتين في المثلين. فكأن العمل باق في العضو لم ينتقل، فترد اللسان إلى ما يقرب من مخرج الحرف الأول فيكون ذلك عقلة اللسان.(٢)

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في سبب الإدغام حيث قال الأخير في باب التضعيف:" اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن إختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد، ألا ترى أنهم لم يجيئوا بشيء من الثلاثة على مثال الخمسة نحو: ضربب، ولم يجئ فَعْلَل ولا فُعْلَل إلا قليلا، ولم يبنوهن على فعالل كراهية التضعيف، وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعبا عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعة واحدة، وكان أخف على ألسنتهم"(٣).

ومما يؤيد قول ابن عصفور ما ذهب إليه المبرد حيث يقول:"ليرفع اللسان عنهما رفعة واحدة؛ إذ كان ذلك أخف"(٤).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في هذا المجال، يقول الأخير:" والغرض من ذلك طلب التخفيف لأنه ثقل عليهم التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به وصار ذلك ضيقا في الكلام بمنزلة الضيق في الخطو على المقيد... فلما كان تكرير الحرف كذلك في الثقل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الآخر فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة

---

١) ابن عصفور:الممتع في التصريف،٦٣١/٢

٢) ينظر: المرجع نفسه:٦٣٢/٢

٣) سيبويه: الكتاب،٤١٧/٤

٤) المبرد: المقتضب،٢٠٣/١

ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة"(١).

ويتضح مما سبق أن القدماء متفقون في سبب الإدغام، فهم مجمعون على أن طلب الخفة، والعمل من جهة واحدة يمثلان هدف الإدغام. وإجماعهم هذا لا يختلف عما ورد عند المحدثين من علماء اللغة حيث ذهب إبراهيم أنيس إلى أن الغرض من الإدغام هو "تيسير عملية النطق واقتصاد في الجهد العضلي"(٢).

وقد ورد ذلك أيضا عند أحمد مختار حيث قال في سبب الإدغام إنه: " لتحقيق حد أدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها"(٣).

ومما يؤيد ما جاء به ابن عصفور قول عبد القادر عبد الجليل في الهدف من الإدغام حيث يقول:" إن تحقيق ظاهرة الإدغام في المستوى الصوتي ذو غرض قصدي، هو التخفيف والتيسير في عملية الإجراء النطقي، فاللسان يعلوه الثقل وهو يرتفع ويعود في اللحظة ذاتها ليرتفع مرة ثانية بغية تحقيق إنتاجية الصوتين وشبهت هذه الحالة بمشي الإنسان المقيد، أو كمن يعيد حديثا مسموعا مرتين، وفي هذا ثقل وسأم على المتكلم والسامع"(٤).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

وعلى هذا، فالإدغام من الظواهر الصوتية الصرفية التي تهدف إلى القصد في المجهود العضلي للعضو المنتج للصوت، وفي هذا القصد تسهيل في عملية النطق، فبدلا من انتقال العضو إلى المنطقة نفسها مرتين في اللحظة نفسها، ينتقل مرة واحدة، بفترة زمنية أطول من نطق الصوت الواحد، قد تساوي ضعف الفترة الزمنية اللازمة لنطقه منفردا.

---

١) ابن يعيش: شرح المفصل،١٠/١٢١

٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١٨٤

٣) احمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي،ص٣٣٢

٤) عبد القادر عبد الجليل:الأصوات اللغوية،ص٢٩٩

ج. أقسام الإدغام عند ابن عصفور:

قسم ابن عصفور الإدغام إلى قسمين هما: إدغام المثلين وإدغام المتقاربين، وقد نص على ذلك بقوله:" الإدغام لا يكون إلا في المثلين أو المتقاربين"(١).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا التقسيم إلا أن الأخير عقد له أبوابا في كتابه تشتمل على النوعين(٢).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في أقسام الإدغام حيث عقد الأخير، في خصائصه، بابا بعنوان "الإدغام الأصغر" قال فيه: "قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت وهو في الكلام على ضربين: أحدهما أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام، فيدغم الأول في الآخر... والآخر أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام"(٣).

ولكنه يختلف مع ابن عصفور في أنه قسم الإدغام إلى قسمين: الأول: الإدغام الأصغر؛ ويعني به ما كان فيه الحرف الأول ساكنا والثاني متحركا، والآخر: الإدغام الأكبر ويقصد به ما كان به الحرف الأول متحركا والثاني ساكنا، ولم يرد هذا عند ابن عصفور(٤).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش:" الإدغام هو تقريب صوت من صوت،فقد يقع في المتقاربين كما قد يقع في المثلين"(٥).

يتضح مما سبق أن القدماء، من علماء العربية، متفقون على أقسام الإدغام، وذلك لأن موضع الثقل،الذي يريدون التخلص منه، واضح؛ لأن اجتماع الأمثال يؤدي إلى عسر في النطق، وكذلك القرب بين الحرفين شبيه بالمثلين. ويرى علماء العربية المحدثون أن مواضع الإدغام تكون في الصوتين المثلين والمتقاربين ولكنهم يعدون الإدغام نوعا من المماثلة، وكانت معالجتهم لهذه القضية أكثر عمقا وتحليلا من علماء العربية القدامى(٦). حيث إنهم استخدموا المصطلحات الصوتية، وعالجوا قضية الإدغام علاجا صوتيا لا صرفيا.

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٣١/٢. والمقرب،ص٥٠٦

٢) ينظر: سيبويه:الكتاب، ٤١٧/٤، ٤٤٥،٤٣٧

٣) ابن جني: الخصائص، ١٣٩/٢-١٤٠

٤) المرجع نفسه: ١٤٠/٢

٥) ابن يعيش: شرح المفصل،١٢٣/١٠

٦) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية،ص٨٧. وينظر أيضا: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص٣٣٢.

١. إدغـــام المثـــليـــن:

ذهب ابن عصفور إلى أن كل مثلين قد يدغمان إلا الألفين والهمزتين، وبين سبب ما ذهب إليه بأن الألف ساكنة فلا يدغم في ساكن، والهمزة ثقيلة، فالعرب تخفف الواحدة فاجتماع الهمزتين أثقل. ولكنه بين أن الهمزتين يجوز إدغامهما إذا كانتا عينين مثل(سأل)و(رأس)وذلك لأصالة العين التي لا تجوز أن تبدل. أما إذا كانتا غير عينين فإن إحداهما تبدل فيزول اجتماعهما الداعي إلى الإدغام(١).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذين الحرفين حيث أورد الأخير، في باب الحروف المتقاربة، سبب منع إدغامهما حيث قال:" من الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه، كما لم يدغم في مثله، وذلك الحرف الهمزة لأنها إنما أمرها في الاستثقال التغيير والحذف... وكذلك الألف لا تدغم فيما تقاربه لأن الألف لا تدغم في الألف"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع المبرد في إدغام هذين الحرفين حيث نص الأخير في المقتضب على أن:" الألفين لا يصلح فيهما إدغام، لأن الألف لا تكون إلا ساكنة... أما الهمزتان فلا يجوز فيهما إدغام في غير باب(فعل) و(فعال)"(٣).

وقد ورد ما ذهب إليه ابن عصفور عند الإستراباذي حيث يقول:" ويكون الإدغام في المثلين والمتقاربين... إلا في الهمزتين، إلا في نحو(السأال)، وإلا في الألفين لتعذره"(٤).

ومما يؤيد قول ابن عصفور ما ذهب إليه ابن يعيش من أن الإدغام في هذين الحرفين ممتنع؛ لأن الهمزة الواحدة ثقيلة، فاجتماع الهمزتين أثقل إلا في نحو:(سأال) و(رأس). وأما الألف فإنها لا تدغم في مثلها لأنها ساكنة، وبالإدغام يلتقي ساكنان وهذا ما لا تجيزه العربية(٥).

ونؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور بخصوص أحكام إدغام الهمزة، لأنها تتسم بالثقل فهي من الأصوات الصعبة النطق، وقد وصفها سيبويه بأنها: " نبرة تخرج من الصدر باجتهاد"(٦).

أما بالنسبة للألف، فقد ذهب القدماء، ومنهم ابن عصفور، إلى أنها ساكنة، والساكن لا يدغم في الساكن. ولكن يبدو أن هذا الكلام، لا يتفق والدرس الصوتي الحديث، الذي يرى أن الألف حركة طويلة، وهي، بالأحرى، فتحة طويلة(aa)، والنسيج المقطعي للغة العربية لا يسمح

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٣٣/٢

٢) سيبويه:الكتاب، ٤٤٦/٤

٣) المبرد: المقتضب، ٢٠٤/١

٤) الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب،٢٣٤/٣

٥) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل،١٣٤/١٠-١٣٦

٦) سيبويه: الكتاب،٥٤٨/٣

باجتماع حركتين طويلتين، لأن إحداهما ستكون في بداية مقطع. والمقطع العربي لا يبدأ بحركة نحو: aa|aa- فامتناع الإدغام هنا ليس لأنها ساكنة، كما يرى القدماء، بل لأن النسيج المقطعي للغة العربية لا يقبل مقطعا مبدوءا بحركة.

ويتفق ابن عصفور مع المحدثين حول الهمزة، فهي عندهم من أشق الأصوات، وقد نص على ذلك إبراهيم أنيس حيث قال: "ولا شك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباسا تاما، ثم انفراج المزمار فجأة، عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر، مما يجعلنا نعد الهمزة أشق الأصوات"(١).

وقد قال في اجتماع الهمزتين:" مما لا شك فيه أن توالي الهمزتين أشق، وتحتاج إلى جهد عضلي أكثر في نطقهما"(٢). ولهذا نرى أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد على حد قول إبراهيم أنيس(٣).

أما إدغام المثلين في غير هذين الحرفين، فقد اعتمد فيه ابن عصفور، على نوع المثلين من حيث العلة، والصحة، وحركة كل منهما، وموقعهما في كلمة واحدة، أو في كلمتين منفصلتين، وبين حالات الإدغام من حيث الوجوب والجواز، والامتناع في الفعل والاسم. وقد أوردها على النحو الآتي:

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أ) اجتماع المثلين في كلمة واحدة في الفعل(٤):

تشمل الكلمة عنده الفعل والاسم وقد شرع ابن عصفور في بيان حالات الإدغام في الفعل أولا واعتمد على نوع الحرف وحركته ونوع الحرف الذي قبله وقد عالجها كما يلي:

أ) وجوب الإدغام:

بيّن ابن عصفور الحالات التي يجب فيها إدغام المثلين في الفعل وهي(٥):

١) إذا كان المثلان حرفين صحيحين وكان الأول ساكنا والثاني متحركا نحو:(ضرّب) و(قطّع). وذلك لأن ضرّب أصلها(ضرَرَب) dar/ra/ba فالمثلان متصلان لا فاصل بينهما ففي هذه الحالة يجب الإدغام لاتصالهما.

---

١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٩٠

٢) المرجع نفسه: ص٩١. وإبراهيم أنيس: في اللهجات العربية،ط٤،القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية،ص٧٧

٣) ينظر: إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ٧٥

٤) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف،٦٣٤/٢. والمقرب،ص٥٠٦

٥) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٣٤/٢. والمقرب،ص٥١٠-٥١١

٢) إذا كان الأول منهما متحركا غير أول كلمة. وهنا يتطلب الإدغام عملين: نقل الحركة أو حذفها. فالنقل يتم إذا كان ما قبله ساكناً غير حرف مد ولين نحو:(استقرّ) فأصلها(استقرَرَ) is/taq/ra/ra ʔ فنقلت الفتحة القصيرة(a) التي بعد الراء الأولى إلى القاف الساكنة فأصبحت is/ta/qar/ra ʔ فاتصل المثلان دون فاصل فوجب الإدغام.

أما الحذف فيتم بحذف حركة المثل الأول فيزول العائق بين المثلين فيوجب الإدغام نحو(رد) فأصلها(رَدَدَ) ra/da/da فحذفت الفتحة القصيرة التي تفصل بين المثلين فتحولت البنية من ثلاثة مقاطع قصيرة إلى مقطعين فأصبحت rad/da وذلك لأن العربية تكره توالي المقاطع المفتوحة(١).

فبالإدغام تحولت البنية إلى مقطعين مقطع متوسط مغلق(ص ح ص)، ومقطع قصير(ص ح) وبهذا تخلص مما يكره(٢).

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويقصد بالمقطع المغلق هو الذي ينتهي بساكن أو بصامت، والمقطع المفتوح هو الذي ينتهي بحركة(٣).

ويتم الإدغام بحذف الحركة أيضا إذا كان ما قبل المثل الأول المتحرك حرف مد ولين ساكنا مثل(احمارّ) لأن أصلها(احمارَرَ) iḥ/maa/ra/ra ʔفتحذف الفتحة القصيرة من المقطع

---

١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية،ص١٦٢

٢) من تعريفات المقطع:١_"سلسلة تعبيرية تشتمل على نبر واحد بالضبط". ٢-هو نمط أدنى من التجمعات الفونيمية تقوم فيها وحدة الحركة بدور النواة،وتكون مسبوقة ومتلوة بوحدة صامتية، أو تجميع صامتي ممكن الوقوع. ٣-مجموعة صوتية يتم إنتاجها في دفعة نفسية واحدة.
وتجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية تشتمل على الأشكال المقطعية التالية:
١- مقطع قصير(ص ح) ويقصد بالرمز(ص) صامت وبالرمز(ح) حركة.
٢- مقطع متوسط مفتوح(ص ح ح)
٣- مقطع متوسط مغلق(ص ح ص)
٤-مقطع طويل مغلق(ص ح ح ص)
٥- مقطع طويل مضاعف الإغلاق(ص ح ص ص)
٦- مقطع طويل مديد مضاعف الإغلاق(ص ح ح ص ص). ينظر: جواد النوري وعلي خليل حمد: فصول في علم الأصوات، ص١٦٦-١٧٦.

٣) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١٦٢. وينظر أيضا: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي،ص٢٥٧

القصير الذي قبل الأخير(ra) لأنه لا يجوز أن تنقل إلى الحركة الطويلة التي فيها(aa) فتتحول البنية إلى ثلاثة مقاطع على النحو التالي: iḥ/maar/raʔ وبحذف الحركة تخلص الناطق من توالي المقاطع المفتوحة. ويبدو أن في تباين المقاطع في البنية الواحدة تيسيرا في النطق.

ب- جواز الإدغام:(١)

بين ابن عصفور الحالات التي يجوز فيها الإدغام في الفعل. ويعني بالجواز الإدغام أو الإظهار وهذه الحالات هي:

١) إذا كان أحد المثلين في أول الكلمة وكان الثاني أصليا نحو: تَتَابع فأحد المثلين هو أول الكلمة والثاني أصل فيجوز الإدغام عن طريق تسكين الأول. وهنا تحتاج البنية إلى همزة الوصل لأن العربية لا تجيز الابتداء بساكن فتصبح(اتابع) ʔit/taa/ba/ca وبالإدغام تغيرت البنية في نوعية المقاطع المنتجة لها فقبل الإدغام كانت تتكون من المقاطع التالية: ta/taa/ba/ca ص ح + ص ح ح + ص ح + ص ح. أي أنها مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة ومقطع متوسط مفتوح. وقد مر أن اللغة تميل إلى التخلص من المقاطع المفتوحة فبالإدغام تخلص الناطق من مقطع قصير ليحل محله مقطع متوسط مغلق فيقل الثقل الناجم عن توالي الحركات القصيرة والطويلة.

٢) إذا كان أحد المثلين تاء(افتعل) فيجوز الإظهار والإدغام. وعلل ابن عصفور ذلك حيث قال في الإظهار أنه يشبه اجتماع المثلين من كلمتين، إذ لا يلزم أن يكون بعد تاء افتعل مثلها نحو(اكتَسَبَ) وبما أنه لا يجوز الإدغام إذا كان ما قبل الأول من المثلين المنفصلين ساكنا صحيحا فكذلك لا تدغم في افتعل.

أما الإدغام فقد حمله ابن عصفور على أن المثلين في كلمة واحدة ويجوز فيه ثلاثة أوجه:

أ) نقل الحركة إلى فاء(افتعل) فتتحرك الفاء الساكنة وتحذف همزة الوصل وذلك لأن الداعي لوجودها قد زال فتقول في:(اقْتَتَلَ) ʔiq/ta/ta/la المكونة من أربعة مقاطع ثلاثة مفتوحة وهي قصيرة وواحد مغلق وهو متوسط. فعند الإدغام تصبح(قَتَّلَ) فيتغير النسيج المقطعي للبنية من أربعة مقاطع إلى ثلاثة مقاطع على النحو التالي: qut/ta/la فحذف بالإدغام مقطع مفتوح وهذا ما تميل إليه العربية في نسيجها المقطعي من التخفيف من توالي المقاطع المفتوحة ويبدو

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٦٣٥-٦٤٢. والمقرب، ص٥١٢، ٥٠٠.

أن في هذا التخفيف تيسيرا في النطق.

ب)حذف الحركة من تاء(افْتَعل) فيلتقي ساكنان(الفاء والتاء) فتكسر الفاء قياسا على التقاء الساكنين وتحذف همزة الوصل بسبب زوال الساكن الداعي لوجودها فنقول في:(اقْتَتلوا)(قِتّلوا) فبالإدغام تغير النسيج المقطعي للبنية حيث كان يتكون قبل الإدغام من أربعة مقاطع هكذا: iq/ta/ta/luu؟ أما بعد الإدغام فأصبح النسيج المقطعي المكون للبنية هكذا: qit/ta/luu فحذفت الحركة القصيرة الفاصلة بين المثلين مما أدى إلى إدغامهما وحذفت همزة الوصل. ويتضح من البنية السابقة أن المحذوف هو همزة الوصل والفتحة القصيرة وكسرت القاف. فتحول عدد المقاطع المكون للبنية من أربعة إلى ثلاثة ولاشك أن فيه جهدا أقل.

ج) كسر التاء حملا على كسر القاف وهي أقلها فتكسر القاف والتاء فتصبح:(قِتِّلوا) فبالإدغام يقل عدد المقاطع من أربعة إلى ثلاثة أيضا ويصبح النسيج المقطعي لها على النحو التالي: qit/ti/luu فحذفت الحركة القصيرة الفاصلة بين المثلين فأدغما وتحولت الفتحة القصيرة في المقطع الثاني إلى كسرة قصيرة وقد نعتها ابن عصفور بأنها لغة قليلة وذلك كما يبدو أن استبدال الكسرة بالفتحة فيه شيء من الثقل لأن الإدغام هدفه التخلص من الثقل والكسرة أثقل من الفتحة فاستبدل الثقيل بالخفيف(١).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذه الصيغة حيث نص الأخير على ذلك بقوله:"ومما يجري مجرى المنفصلين قولك:اقتتلوا ويقتتلون، إن شئت أظهرت وبينت، وإن شئت أخفيت وكانت الزنة على حالها... وقد أدغم بعض العرب فأسكن لما كان الحرفان في كلمة واحدة"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في اقتتل حيث قال:" أما(اقْتَتل) فيجوز فيه الوجهان الإدغام والإظهار فالإدغام لاجتماع المثلين في كلمة واحدة وإذا أدغمت ففيه وجهان، فتح القاف وكسرها... وأما الوجه الثاني وهو الإظهار فلأن التاءين في حكم منفصلين من جهة أن التاء الافتعال لا يلزم أن يقع بعدها مثلها"(٣).

٣) الفعل المضارع المضعف المجزوم وفعل الأمر المضعف يجوز فيهما الإدغام والإظهار. فقد بين ابن عصفور أن الحجازيين يظهرون في هذه الأفعال لأنهم يرون أن الحركة

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٣٩/٢. والمقرب،ص٥١٢.

٢) سيبويه: الكتاب،٤٤٣/٤

٣) ابن يعيش: شرح المفصل،١٢٢/١٠

عارضة فلا يعتدون بالعارض نحو: لا تضارِرْ واشدُدْ، يقول: "أما غيرهم من العرب فيدغم ويعتد بالعارض، لأن العرب قد تعتد بالعارض في بعض الأماكن. وأيضا فإنه حمل ما سكونه جزم على المعرب بالحركة، لأنه معرب مثله. فكما أن المعرب بالحركة تدغمه نحو (يَفِرُّ) فكذلك المعرب بالسكون. وحمل ما سكونه بناء على ما سكونه جزم لأنه يشبهه؛ ألا ترى أن العرب قد تحذف له آخر الفعل في المعتل كما تحذفه للجزم، فتقول: (اغْزُ)، كما تقول:(لم يَغْزُ)"(١). والذين من لغتهم الإدغام اختلفوا في تحريك المثل الثاني وهذه الحركات هي:

أ) إتباعه حركة ما قبله مثل(رُدُّ) و(فِرِّ) و(عَضَّ).

ب) الفتح: إذا اتصلت به الهاء والألف التي للؤنث نحو(ردَّها وعضَّها وفرَّها) ويفتح أيضا إذا اتصلت به الألف نحو(ردَّا).

ج) الضم: إذا اتصلت هاء المذكر نحو:(رُدُّه وفِرُّه و عَضُّه) وإذا اتصلت به الواو نحو ردُّوا).

د) الكسر: إذا التقى بكلمة أولها ساكن وذلك حملا على الكسر قبل الإدغام نحو:(رُدِّ ابنك) ويكسر إذا اتصلت به الياء نحو(ردِّي)(٢).

ويلاحظ في اختلاف حركة المضعف السابق أن العرب قصدوا من ذلك الخفة، والاقتصاد في الجهد العضلي ولذلك عندما تتناسب الحركة مع ما قبلها أو ما بعدها، أو عندما يحركونه بحركة أخف مما قبلها.

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا حيث قال الأخير:"اعلم أن منهم من يحرك الآخر كتحريك ما قبله... فإن جاءت الهاء والألف فتحوا أبدا. وسألت الخليل لم ذاك؟ فقال: لأن الهاء خفيفة، فكأنهم قالوا: ردّا وأمدّا، إذا قالوا: ردَّها و أمدَّها، وإذا كانت الهاء مضمومة ضموا، كأنهم قالوا: مدُّوا وعضُّوا، إذا قالوا مدُّه وعضُّه. فإن جئت بالألف واللام وبالألف الخفيفة كسرت الأول كله، لأنه كان في الأصل مجزوما، لأن الفعل إذا كان مجزوما فحرك لالتقاء الساكنين كسر"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في حكم إدغام المضارع المضعف المجزوم وفي أمر المضعف حيث قال:" ردّ ولم يردّ لغة أهل الحجاز فيه ترك الإدغام، وأجاز غيرهم الإدغام

---

١) ابن عصفور:الممتع في التصريف: ٦٥٧/٢

٢) ينظر: ابن عصفور:الممتع في التصريف: ٦٥٦/٢-٦٥٩. والمقرب،ص٥١٤

٣) سيبويه: الكتاب،٥٣٢/٣

أيضا"([1]).

ولا تعدو هذه الاختلافات النطقية في البيئات المختلفة كونها نوعا من اللهجات.

ج) امتناع الإدغام في الفعل:

بين ابن عصفور الحالات التي يمتنع فيها إدغام المثلين في الفعل وهي كما يلي:

١) إذا كان الإدغام مغيرا للكلمة، أو يكن أحد المثلين في أول الكلمة أو تاء "افتعل"، "فإن كان أحد المثلين في أول الكلمة فإنه لا يخلو إلا أن يكون الثاني زائدا، أو غير زائد. فإن كان زائدا لم تدغم نحو (تتذكر)، لأنك إذا استثقلت اجتماع المثلين حذفت الثاني فقلت(تذكر)، لأنه زائد وليس في حذفه لبس... فإن قال قائل : فلأي شيء لم يدغم في (تتذكر) وأمثاله؟ فالجواب أن الذي منع منه شيئان: أحدهما: أن الفعل ثقيل، فإذا أمكن تخفيفيه كان أولى، وقد أمكن تخفيفه بحذف أحد المثلين، فكان ذلك أولى من الإدغام الذي يؤدي إلى جلب زيادة. والآخر أنك لو أدغمت لاحتجت إلى الإتيان بهمزة الوصل، وهمزة الوصل لا تدخل على الفعل المضارع لاسم الفاعل أصلا، كما لا تدخل على اسم الفاعل. وليس لذلك تتابع لأنه ماض، والماضي قد تكون في أوله همزة الوصل نحو(انطلق)، و(استخرج)، و(احمر)"([2]). بالحذف تصبح الصيغة(تذكر) فيقل عدد مقاطعها من خمسة إلى أربعة هكذا: ta/ ak/ka/ru أما قبل الحذف فكانت مقاطعها: ta/ta/ ak/ka/ru. ففي هذا الحذف خفة في النطق.

٢) إذا كان الأول منهما مدغما فيه غيره لم يجز إدغامه في بعده نحو:(ردد)([3]).

اكتفى ابن عصفور بذكرها دون توضيح ولكن سيبويه أوردها وبين سبب امتناع الإدغام في مثل هذه الحالة حيث قال: "وأما ردد و يردد فلم يدغموه؛ لأنه لا يجوز أن يسكن حرفان فيلتقيا، ولم يكونوا ليحركوا العين الأولى لأنهم لو فعلوا ذلك لم ينجوا من أن يرفعوا ألسنتهم مرتين"([4]).

إن الإدغام في مثل هذه البنية يؤدي إلى ثقل في النطق، والإدغام هدفه التخلص من الثقل

---

١) الإستراباذي:شرح الشافية،٢٤٦/٣

٢) ابن عصفور: الممتع،٦٣٥/٢

٣) ابن عصفور: المقرب، ص٥١١

٤) سيبويه: الكتاب، ٥٣٥/٣

هذا من جهة، أما من جهة ثانية فالإدغام يؤدي إلى ما لا تجيزه العربية وهو اجتماع الساكنين. على النحو التالي: rad/dda فالمقطع الأخير بدأ بصامتين وهذا ما لا تجيزه العربية وقد نص على هذا علماء الدرس الصوتي الحديث حيث قال عبد الصبور شاهين:" لا يبدأ المقطع العربي بصامتين متواليين:(ص + ص)، ولا يتكون منهما"([1]).

وقد نص على ذلك أيضا محمد جواد النوري حيث قال:" لا تسمح اللغة العربية بتتابع أكثر من صامت واحد في بداية المقطع أو الكلمة"([2])

وقد ذهب إلى هذا أيضا ياسر الملاح حيث قال:" ومن المنطقي أن تكون للمقطع بداية ووسط ونهاية. أما البداية فلا تكون في المقطع العربي إلا صوتا صامتا مفردا"([3]).

يتضح أن القدماء عرفوا بفكرهم النير النسيج المقطعي للغة العربية وحاولوا التخلص من التقاء الساكنين إما بهمزة الوصل أو بتغيير النسيج المقطعي وهذا ما فعلة المحدثون.

جميع الحقوق محفوظة

٣) إذا تحرك المثل الأول وسكن الثاني وقد نص ابن عصفور على ذلك بقوله:" وإن لم تصل الحركة إلى الساكن الثاني فإن العرب، الحجازيين وغيرهم، لا يدغمون ذلك:(رددت) وكذلك(اردُدْنَ)"([4]).

وقد قال أيضا:" فإن كان الثاني من المثلين ساكنا فالإظهار. ولا يجوز الإدغام لأن ذلك يؤدي إلى اجتماع الساكنين"([5]).

فيتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا حيث يقول الأخير:" وأهل الحجاز وغيرهم، مجتمعون على أنهم يقولون للنساء: اردُدْنَ، وذلك لأن الدال لم تسكن ههنا لأمر ولا لنهي. وكذلك كل حرف قبل نون النساء لا يسكن لأمر ولا لحرف يجزم... ومثل ذلك قولهم: رَدَدْتُ ومَدَدْتُ؛ لأن الحرف بني على هذه التاء كما بني على النون فصار السكون فيه بمنزلته فيما فيه نون النساء"([6]).

---

١) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٤٢

٢) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد: فصول في علم الأصوات، ص١٧١

٣) ياسر الملاح: الأصوات اللغوية،ص٦٦

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٦٥٩-٦٦٠

٥) المرجع نفسه: ص٦٦٠-٦٦١

٦) سيبويه: الكتاب،٣/٥٣٤

حملوا ذلك على الإعلال وذلك بحذف حرف العلة في نحو: قمت، وخفت(١).

وقد ورد هذا عند سيبويه والإستراباذي(٢).

٤) إذا كانت الكلمة للإلحاق: وقد ذكر ابن عصفور ذلك حيث قال:"وإن كانت الكلمة ملحقة والإدغام مغيراً لها عما ألحقت به، لم يجز الإدغام نحو(جلببَ) لأنه ملحقة ب(قرطَس) فلو أدغمت فقلت(جلب)، لكنت قد حركت ما في مقابلته من بناء الملحق به ساكن، وسكنت ما في مقابلته متحرك"(٣).

ولتوضيح ما ذهب إليه ابن عصفور نضع مكونات جلببَ مقابل ما ألحقت به على هذا النحو: ج ل ب ب، فعند الإدغام تصبح ج ل ب ب،
ق ر ط س ق ر ط س

فتحركت اللام وهي تقابل الراء الساكنة وسكنت الباء وهي تقابل الطاء المتحركة فيذهب الهدف الذي من أجله

وجدت مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في الملحق حيث ذكر في الأخير:"وإذا ضاعفت اللام وكان فعلا ملحقا ببناة الأربعة لم تدغم، لأنك إنما أردت أن تضاعف لتلحقه بما زدت بدحرجت وذلك في قولك: جلببته فهو مجلبب، وتجلبب و يتجلبب، أجريته مجرى تدحرج ويتدحرج في الزنة، كما أجريت على زنة دحرجت"(٤).

وقد ذكر هذا ابن يعيش حيث قال:"وكان احتمال الثقيل أسهل عندهم وذلك.. أن يكون الحرف الثاني من المثلين مزيدا للإلحاق نحو قولهم في الفعل(جلببَ) فالحرف الثاني من المثلين كرر ليلحق ببناء دحرجَ فلو أدغمت لزم أن تقول(جلب) فتسكن المثل الأول وتنقل حركته إلى الساكن قبله فيخرج عن أن يكون موازنا لدحرجَ فيبطل غرض الإلحاق(٥).

ويلاحظ في صيغة الملحق أن المثلين متحركان و القياس أن تحذف حركة المثل الأول

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف،٢/٦٦١،٦٦٠

٢) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٣/٤،٥٣٥/٤٢٢،٤٢١

٣) ينظر: الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢٤٥

٤) سيبويه: الكتاب،٤/٤٢٥

٥) ابن يعيش: شرح المفصل،١٠/١٢٢

ويتم الإدغام ولكن الزيادة هنا لم تأت إلا لخدمة بناء الكلمة فإذا أدغمنا زال الهدف الذي من أجله تم تضعيف المثل وهو وزن(فَعْلَلَ) فبالإدغام يصبح وزن جَلَبَّ(فَعَلَّ)وليس هذا المقصود من الزيادة.

ب. اجتماع المثلين في الاسم الثلاثي المجرد:

حدد ابن عصفور حالات الإدغام في الاسم الثلاثي على النحو التالي:

أ- إذا كان المثلان في الاسم الثلاثي وكان الأول ساكنا فيجب الإدغام نحو:رَدّ [rad/din]،و وُدّ [wud/din]. ولا يفك الإدغام إلا عند الضرورة الشعرية نحو قول زهير(١): (من البسيط)

ثم استمروا وقالوا إنّ موعِدَكم ماءٌ بشرقيّ سلمى فَيْدُ أو رَكَكُ

وقد فك الإدغام في البيت السابق للضرورة الشعرية والأصل أن يقول(رك).

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب- إذا كان أحد المثلين متحركا، ولم يكن الاسم على وزن من أوزان الفعل فلا يدغم نحو:(سُرُرٍ) و(دُرَرٍ). وعلل ابن عصفور عدم الإدغام لكثرة ورودها في الكلام، ولخفة الاسم وأخفها ما كان على ثلاثة أحرف. ويبدو تعليل ابن عصفور مقنعا لأن الهدف من الإدغام الخفة، فإذا كان هذا الاسم في الأصل خفيفا وزال السبب الداعي للإدغام، وهو الثقل، فالفك أفضل.

ج- إذا كان أحد المثلين متحركا وكان على وزن من أوزان الفعل الثلاثي، فلا يخلو أن يكون على وزن(فَعَلٍ) أو(فَعُلٍ) أو(فَعِلٍ).

فإن كان على وزن(فَعَلٍ) نحو:(طَلَلٍ) و(شَرَرٍ) لم يجز الإدغام، وذلك لخفة الاسم وخفة حركته فالفتحة خفيفة، وكذلك بالإدغام يكون اللبس لأن طل لا تعني طلل وشر لا تعني شرر. فلهذه الأسباب امتنع الإدغام.

أما إذا كان الاسم على وزن(فَعِلٍ) أو(فَعُلٍ) أدغمت لأنه يشبه الفعل في الثقل من حيث البناء، والفعل أثقل من الاسم، ولأن الضمة والكسرة ثقيلتان فاجتمع في الاسم ثقيلان؛ الحرمة وشبه الفعل والإدغام هدفه الرئيس التخلص من الثقل فكيف إن اجتمع ثقيلان؟! فالإدغام أوجب(٢).

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف،٦٤٤/٢،٦٤٣. وينظر أيضا: زهير: ديوان زهير،١٦٧

٢) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف،٦٤٣/٢-٦٤٥

وقد خالف ابن عصفور ابن كيسان(١) في هاتين الصيغتين حيث ذهب الأخير إلى عدم الإدغام خوفا من اللبس. ولكن ابن عصفور فند ما ذهب إليه ابن كيسان من خلال ما ورد عند العرب من إدغام(صَبَّ) و(طَبَّ) وأصلهما صَبِبٌ وطَبِبٌ معتمدا في ذلك على القياس في الإعلال حيث ضرب مثالا كلمة(مختار) فإنها تفيد اسم الفاعل واسم المفعول، ولكن القرائن تزيل اللبس(٢).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذين الوزنين حيث قال الأخير:"فأما ما جاء على ثلاثة أحرف لا زيادة فيه فإن كان يكون(فعلا) فهو بمنزلته وهو فعل، وذلك قولك فعل صب... ومثله رجل طب"(٣).

ج. اجتماع المثلين في الاسم المزيد:

يرى ابن عصفور أن إدغام المثلين في الاسم المزيد يخضع لنوع الزيادة، فإن كانت الزيادة تاء التأنيث أو علامتي التثنية أو جمع السلامة أو الألف والنون الزائدتين أو ألفي التأنيث فإن الاسم يعامل معاملته قبل الزيادة فكا أو إدغاما.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

أي أنه إذا كان يفك قبل الزيادة يفك بعد الزيادة السابقة، وإذا أدغم قبل لحاقها به أدغمت بعد الزيادة. فنقول:(شرَرة وشرَران وجَلِّي والدجَجَان) فلا إدغام فيها لأنه لا إدغام في شرَرَ، وجَلَلَ. ولو بنيت فَعُلان من رَدَدْتَ لقلت: ردّان أما لو بنيت فعلانٍ من ردّ لقلت: رداء دون إدغام لأن فعل لا يدغم لخفته وخفة الفتحة. وقد قالوا خششاء دون إدغام لأن فَعُل لا يدغم(٤).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا المجال حيث قال الأخير:"تقول في فَعُلَ من رَدَدْتَ رُدَدَ، وتقول في فَعَلان: رَدَدَان، وفُعْلان رُدَدَان، ويجري المصدر في هذا مجراه ولو لم تكن بعده زيادة، ألا تراهم قالوا خششاء. وتقول في فُعْلان، وفِعِلان: ردّان"(٥).

ويؤيد ما جاء به ابن عصفور ما ذهب إليه الرضي في شرح الشافية حيث قال:"إذا اتصل

---

١) ابن كيسان: محمد بن أحمد بن إبراهيم المعروف بان كيسان، كان يحفظ المذهبين البصري والكوفي، أخذ عن المبرد وثعلب، وقد فضلهما،وكان أميل للبصريين. توفي سنة٢٩٩هـ. ينظر: السيوطي: بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه، تحقيق: محمد إبراهيم، القاهرة ١٩٦٤م، ١٨/١

٢) ينظر: ابن عصفور: المقرب، ص٥١٣. وينظر أيضا:الممتع في التصريف،٦٤٥/٢

٣) سيبويه: الكتاب،٤١٩/٤-٤٢٠

٤) ينظر:ابن عصفور: الممتع في التصريف،٦٤٧/٢

٥) سيبويه: الكتاب،٤٢٧/٤

بآخر الاسم الثلاثي الموازي للفعل حرف لام كألف التأنيث أو الألف والنون لم يمنع ذلك من الإدغام... فنقول من رَدَّ على فَعَلان(ردّان) كشرر، وعلى فعِلان و فَعُلان بكسر العين وضمها: ردّان بالإدغام"(١).

أما إذا كان الاسم مزيدا غير الزيادات السابقة الذكر فالإدغام واجب سواء أكان الاسم على وزن أوزان الفعل أم لم يكن، وسواء أكان الأول ساكنا أم متحركا. فالساكن نحو خدب فأصلها قبل الإدغام خدبب فالمثل الأول ساكن فوجب الإدغام. أما إذا كان أول المثلين متحركا فإننا نسكنه إما بنقل حركته لما قبله إن كان ساكنا عير حرف مد ولين، أو بحذفها إن كان ما قبله متحركا، أو حرف مد ولين. نحو مَكَرّ ومُستَقَرّ فأصلها قبل الإدغام(مَكْرَرٌ و مُسْتَقْرَرٌ) mus/taq/ra/run , mak/ra/run فيوجد فاصل بين المثلين فنقلت الحركة(الفتحة القصيرة) إلى الحرف الساكن الذي قبلها فيزول الفاصل بين المثلين فيتم الإدغام. وبالإدغام يتغير النسيج المقطعي للبنية فتصبح على النحو التالي: مَكَرّ ma/kar/run و مستقر mus/ta/qar/run.

وتحذف الحركة إذا كان ما قبله متحركا أو حرف مد ولين نحو:(ردّان) من رَدَدْتُ فقد حذفت الحركة لأن ما قبل المثل متحرك على النحو التالي:ra/dad/tu فأصبحت rad/daan.

أما إذا كان ما قبله حرف مد ولين فتحذف الحركة أيضا نحو(ضارٌّ و فارٌّ) فأصلها ضارِرٌ ḍaa/ri/run و faa/ri/run فلا يجوز نقل الكسرة القصيرة إلى الفتحة الطويلة التي قبل المثل الأول، لأنه لا يوجد مقطع في اللغة العربية يجيز اجتماع صامت من ثلاثة حركات. فحذفت الحركة وهي فاصل بين المثلين أيضا فبحذفها تم الإدغام فأصبحت ḍaar/run و faar/run فبالإدغام تغير النسيج المقطعي للبنيتين السابقتين بما يتفق والمقطع العربي(٢).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام الاسم المزيد حيث نص الأخير على ذلك بقوله:"اعلم أن كل شيء من الأسماء جاوز ثلاثة أحرف فإنه يجري مجرى الفعل... لأن فيه من الاستثقال مثل ما في الفعل... فإن كان الذي قبل ما سكن ساكن حركته وألقيت عليه حركة المسكن نحو: مستَرْد و مستَعِد، وإنما الأصل مُسْتَرْدِدٌ ومُسْتَعْدِدٌ. وإن كان الذي قبل المسكن متحركا تركته على حركته... وإن كانت قبل المسكنة ألف، لم تغير الألف لأنها حرف مد، وذلك قولك: ردّوا"(٣).

---

١) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٤٣/٣

٢) ينظر:ابن عصفور: الممتع في التصريف،٦٤٨/٢،٦٤٧. وينظر أيضا: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي،٤١٨

٣) سيبويه: الكتاب،٤١٩/٤،٤١٨

ويذكر ابن عصفور أن الإدغام يمتنع في الاسم المزيد إذا كانت الزيادة للإلحاق، لأنه يؤدي إلى تغيير بناء الملحق عما ألحق به نحو:(قَرْدَدَ) فإنها ملحقة ب(جَعْفَرَ) فعند الإدغام تنقل حركة الدال الأولى إلى الراء فتحرك الراء التي تقابل العين الساكنة وتسكن الدال التي تقابل الفاء المتحركة فتزول الفائدة من الزيادة التي جاءت للإلحاق وهذا ما لا يجوز.

نحو: قَ ر دَ دَ ج ع ف ر

وعند الإدغام تصبح على النحو التالي: قَ رَ دْ دَ ج ع ف ر

الراء المتحركة تقابل العين الساكنة والدال الساكنة تقابل الفاء المتحركة وهذا لا يتفق والوزن الذي ألحق من أجله(١).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا المجال حيث يقول الأخير:"فإذا ضاعفت اللام وأردت بناء الأربعة لم تسكن الأولى فتدغم وذلك قولك: قَرْدَدَ لأنك أردت أن تلحقه بجَعْفَرَ"(٢).

وقد نص على ذلك الرضي في شرح الشافية حيث قال: "إن كان التضعيف للإلحاق امتنع الإدغام: في الاسم(كقَرْدَدَ) لأن الغرض بالإلحاق الوزن؛ فلا يكسر ذلك الوزن بالإدغام"(٣).

ومما يؤيد ما جاء به ابن عصفور قول ابن السراج في أصوله:" فأما ما جاء من التضعيف فيما جاوز عدته ثلاثة أحرف فأنه يكون على ضربين: ملحق وغير ملحق، فالملحق يظهر فيه التضعيف نحو: مَهْدَدٍ ملحق بجَعْفَرٍ، وإن كان غير ملحق أدغم وذلك نحو:احمارّ"(٤).

وذكر ابن عصفور جواز الإدغام في الاسم المزيد إذا كان أول المثلين تاء من اسم جاء على افتعل أو تفاعل فإنه يجوز فيه ما جاز في فعله من فك أو إدغام(٥).

وبين أن هناك كلمات شذت عن القياس فلا يؤخذ بها مثل(مَحَبَبٍ وتَهَلَلٍ) فالأصل في هذه الكلمات أن تنقل حركة الحرف الأول من المثلين إلى الساكن الصحيح السابق له وتدغم ولكنها بقيت على حالها. ويبدو أنها من العادات النطقية اللهجية، ومنها أيضا ما دعته الضرورة

---

١) ينظر:ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٤٨،٦٤٩/٢. وينظر أيضا: المقرب، ص٥١٣

٢) سيبويه: الكتاب،٤٢٤/٤

٣) الإستراباذي: شرح الشافية،٢٤٠،٢٤١/٣

٤) ابن سراج: الأصول في النحو،٤٠٨/٣

٥) ينظر:ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٤٩،٦٥٠/٢. وينظر أيضا: ابن جني،الخصائص ١٦١/١. والإستراباذي: شرح الشافية،٢٤٤/٣

الشعرية كقول الراجز:* (مشطور الرجز)

تشكو الوجى، مِنْ أَظْلَلٍ وأَظْلَلِ(١)

يتضح مما جاء سابقا أن الإدغام عند القدامى من علماء العربية لم يخرج عما جاء به سيبويه في كتابه، بيد أن سيبويه عقد له أبوابا مختلفة، ولكن الذين جاءوا بعده، ومنهم ابن عصفور، كان تناوله للموضوع أكثر ترتيبا وتوضيحا. إلا أنهم متفقون جميعا على أن الهدف من الإدغام التخلص من الثقل والاقتصاد في الجهد العضلي حيث يعملون ألسنتهم في موضع واحد. وقد بين ابن عصفور، شأنه شأن سابقيه، أن الاسم أخف من الفعل، فأحكام الإدغام فيه تختلف عن الفعل، وبين دور الحركات ظاهرة الإدغام، فالاسم الثلاثي المفتوح العين لا يدغم لخفة الحركة وخفته أيضا، أما المضموم العين فإنه يدغم وذلك لاتصافه بثقيلين الأول لأنه يشبه الفعل، والفعل ثقيل، والآخر لأنه تحك بحركة ثقيلة فاجتمع ثقيلان فيجب التخلص من واحد منهما أو كليهما ولا يتم ذلك إلا بالإدغام.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

د. اجتماع المثلين في كلمتين:

لقد بنى ابن عصفور أحكام إدغام المثلين المجتمعين في كلمتين على نوع المثلين من صحة أو إعلال، وعلى حركته وحركة ما قبله، وعلى نوع الحرف السابق له. ويمكن تقسيم ذلك كله على النحو الآتي:

أ-اجتماع المثلين الصحيحين: يذكر ابن عصفور حالت الإدغام الواجبة والجائزة والممتنعة المتعلقة بالمثلين الصحيحين وهي:(٢)

١- إذا التقيا في كلمتين وكان الأول ساكنا فيجب الإدغام نحو:" اضرب بّكرا " وعلل هذا الحكم بعدم وجود فاصل بين المثلين والإدغام لا يؤدي إلى تغير شيء.

٢- إذا كان الأول متحركا وما قبله متحركا، جاز الإدغام والإظهار. وبين عدم التزام الإدغام هنا،لأن الأول من المثلين لا يلزم أن يكون ما بعده من جنسه، فاجتماع المثلين في

---

*) العجاج: ديوانه، ص٤٧. وينظر أيضا: الكتاب، ٥٣٥/٣. والخصائص، ١٦١/١ بعده من طول املال وظهر أملل.

١) ينظر:ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٤٩/٢-٦٥٠. وينظر أيضا: ابن جني،الخصائص ١٦١/١. والإستراباذي: شرح الشافية،٢٤٤/٣

٢) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف،٦٥٠/٢-٦٥٢. والمقرب،٣٤٦،٣٤٧.

إن الناطق العربي قديما وحديثا يميل إلى التخلص من الثقل، فتركيب مثل: جعل لك، يتكون من خمسة مقاطع قصيرة على هذا النحو: da/ʿa/la/la/ka فعمد الناطق إلى تسكين المقطع الثالث وذلك بحذف الحركة القصيرة، فتخلص من الثقل الناجم عن توالي المقاطع القصيرة، وبهذا تغير النسيج المقطعي المكون للبنية على نحو أسهل مما كان عليه فأصبحت البنية تتكون من أربعة مقاطع بينها مقطع متوسط مغلق da/ʿal/la/ka.

٣- إذا كان ما قبل الأول من المثلين ساكنا وكان حرف علة، تحذف الحركة من المثل الأول، ويدغم في الثاني، وهنا يلتقي ساكنان: المثل الأول الصحيح، وحرف العلة السابق له، ويجوز في مثل هذا الإظهار أيضا. وإنما جاز الجمع بين الساكنين للأمور التالية:

أ – لأن الساكن الأول يتصف باللين.

ب – تشبث الحرف المشدد بالحركة.

ج – التقاء الساكنين هنا غير لازم إذ قد يزول بالإظهار.

ومن الأمثلة على هذا:" ثوب بكر" و" جيب بشير" والبيان هنا أحسن من البيان في "جعل لك". ويبدو أن السبب في هذا الحكم أن "جعل لك" يوجد بها توالي حركات أكثر من "ثوب بكر"، والكتابة الصوتية توضح ذلك: da/ʿa/la/ka أما ثوب بكر فتكون من المقاطع التالية: ʔaw/bu/bak/rin " فجعل لك" تتكون من خمسة مقاطع قصيرة أي مقاطع مفتوحة فثقلها أكثر من "ثوب بكر" التي تتكون من مقاطع مختلفة.

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا يقول الأخير:" إذا التقى الحرفان المثلان اللذان هما سواء متحركين، وقبل الأول حرف مد، فإن الإدغام حسن لأن حرف المد بمنزلة متحرك في الإدغام"(١).

أما الإستراباذي فقد كان أكثر وضوحا في تناول هذه القضية حيث فرق بين حروف المد واللين حيث يقول:"الإظهار فيما قبل أول المثلين حرف مد أحسن من الإظهار فيما قبل أول المثلين فيه حرف متحرك، والإظهار في الواو والياء اللتين ليستا بمد نحو: ثوب بكر وجيب بكر أحسن منه في الألف والواو والياء المدتين لأن المد يقوم مقام الحركة"(٢).

وهنا يظهر الخلاف بين ابن عصفور والمحدثين، حيث عد ابن عصفور أن ما قبل المثلين

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٣٧.

٢) الإستراباذي:شرح الشافية،٣/٢٤٨

فهموها، ولكنهم لم يصلوا بها إلى حد التقعيد والنظريات، بل كانت عبارة عن إشارات في ثنايا كتبهم.

فالتكرار والشيوع في بعض الأصوات يجعلها عرضة للتغيير وهذا في بعض البيئات النطقية اللهجية. وربما يعود السبب في ذلك إلى السهولة التي يقصدها الناطق.

ولا يختلف ابن عصفور عن القدماء في إدغام المثلين المعتلين، أمثال سيبويه وابن يعيش والإستراباذي وابن السراج.(١)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤٤٢/٤. وابن يعيش شرح المفصل، ١٢١/١٠. والإستراباذي: شرح الشافية، ٢٤٨/٣. وابن السراج. الأصول في النحو، ٤١٢/٣

٢. إدغـــام المتقـــاربيـــن:

١. إدغام المتقاربين في كلمتين:

يتمثل التقارب الذي يمكن أن يكون بين الأصوات المتجاورة في المخرج، أو في الصفة، أو في كليهما، وقد نص ابن عصفور على هذا بقوله: "اعلم أن التقارب الذي يقع الإدغام بسببه قد يكون في المخرج خاصة، أو في الصفة خاصة، أو في مجموعهما"(١).

وهذا لا يعني أن كل متقاربين يدغمان، فهناك حروف لا تدغم في مقاربها، ولا يدغم فيها مقاربها مثل الهمزة والألف. ومن الحروف لا تدغم بالمقاربة وتدغم المقاربة فيها مثل الميم والباء فالميم لا تدغم في الباء ولكن الباء تدغم في الميم نحو، اصحمطرا، تريد اصحب مطرا. ومن المقاربة ما يدغم بعضها في بعض(٢). وهذا ما سأبينه في الصفحات اللاحقة إن شاء الله تعالى.

تميل اللغة العربية إلى الإدغام حين يتوالى صوتان متماثلان، وقد مرت أحكام هذا الإدغام سابقا. ويقع هذا الإدغام أيضا إذا تتابع صوتان مختلفان – ولكن متقاربان – ويكون التقارب في المخرج، أو في الصفة، ولكي يتم الإدغام لا بد من تحقيق التماثل بين المختلفين وهذا يتطلب تغييرا في أحد الصوتين – أعني الحرفين – المتقاربين أو في كليهما، وهذا التغيير مستند على ما يتسم به الحرف من صفات قوة تجعله قادرا على التأثير في غيره من الحروف المجاورة، أو على صفات مخرجية موقعية تؤهله للإدغام في ما يجاوره في مخرجه.

ومن أجل معالجة هذا الموضوع لا بد من جمع ملامح القوة التي تتسم بها الحروف لتكوين مبادئ عامة نسير عليها. وقد قام محمد جواد النوري بجمع وترتيب تلك الإشارات المتناثرة وأطرها على النحو الآتي:

أولا:

صفات قوة ذاتية في الصوت ترشحه للتأثير في غيره من الأصوات. وتنقسم الأصوات – في هذا الصدد – إلى قسمين رئيسين هما:

أ. الصوامت: Consonant

تتمثل صفات القوة، التي تمنح الصوت منها قوة ذاتية، في تلك الصوامت التي تتسم بالملامح الآتية:

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٦٣/٢. وينظر المقرب، ص٣٤٨

٢) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤٤٧/٤-٤٤٩

١. ملمح الصفير: وتتسم به – على نحو خاص في دراستنا – أصوات الزاي، والسين، والصاد، والشين، والجيم الشامية.
٢. ملمح التفخيم (الإطباق): وتتسم به –على نحو خاص– أصوات: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء.
٣. ملمحا الجهر والشدة (الانفجار).
٤. ملمح الأنفية (الغنة): ويتسم بهذا الملمح صوتا الميم والنون.
٥. ملمحا الاستطالة والتفشي: ويتسم بهما أصوات: الضاد، والشين، واللام.
٦. ملمحا التكرير والتفشي: ويتسم بهما صوت الراء.
٧. وبالإضافة إلى ذلك فإننا نعد الصامت الذي يرد في البنية متحركا، متمتعا بملمح قوة يستمدها من حركته(١).

ب. صفات قوة في الحركات: Vowels

جميع الحقوق محفوظة

تتمثل صفات القوة التي تمنح الصوت منها قوة ذاتية في حركتي الكسرة والضمة على الترتيب في حين تعد الفتحة أخف الحركات، أما السكون فيعد أخف من الحركة(٢).

وقد نص على هذا سيبويه حيث قال: "... ولم يفعلوا ذلك في فَعَل لأنه لا يخرج على الأصل في باب قُلتُ، لأن الضمة في المعتل أثقل عليهم، ألا ترى أنك لا تكاد تجد فَعُلا في التضعيف، ولا فَعِلا؛ لأنها ليست تكثر كثرة فعل في باب قُلتُ، ولأن الكسرة أثقل من الفتحة"(٣).

أما السكون فقد وصفها القدماء بأنها ضعيفة ميتة، ويسمون الحرف الذي يقبل الحركات الثلاث بالحرف الحي. فقد قال المازني (ت ٢٤٩ هـ): "الهمزة حرف حي متحرك، والألف ساكنة"(٤).

وقال سيبويه: "وإنما يمنعك أن تجعل هذه السواكن بين بين أنها حروف ميتة، وقد بلغت

---

١) ينظر: محمد جواد النوري: من العوامل الصوتية في تشكل البنية العربية، جامعة النجاح، ص ٣، ٤
٢) ينظر: المرجع نفسه: ص٤
٣) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٢٠
٤) ابن جني: المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي: ١٩٥٤، ٢/٨٣

غاية ليس بعدها تضعيف"([1]).

ثانيا:

صفات قوة موقعية في الصوت ترشحه للتأثير في غيره من الأصوات.

وتتمثل أهم تجسدات هذا الملمح في وقوع الصوت في بداية مقطع، شريطة كونه مسبوقا بصوت آخر يقع ساكنا في نهاية مقطع([2]).

وقد نص على هذا عبد الصبور شاهين حيث قال: "الموقع القوي هو الشرط الأساسي للتأثير. ونعني بقوة الموقع: أن يكون الصوت متلوا بحركة غير قابلة للسقوط، إما لكونها طويلة، وإما لأن حركة سابقة عليها سقطت، فامتنع إسقاط الأخرى، لأنها تزداد تشبثا بموقعها، وتمنح الصوت قبلها قوة موقعية، يفرض بها تأثيره على الصوت السابق عليه، غير ذي حركة"([3]).

وسنحاول – قدر الإمكان – في الصفحات القادمة تفسير التشكلات المختلفة للبنى اللغوية الواردة عند ابن عصفور استنادا إلى صفات القوة السابقة الذكر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أ- أحكام حروف الحلق في الإدغام

١- <u>الألف والهمزة</u>: يرى ابن عصفور أن الهمزة والألف لا يدغمان فيما يجاورهما، فقد قال: "الألف والهمزة لا يدغمان في شيء، ولا يدغم فيهما شيء. والسبب في ذلك أن إدغام المتقاربين محمول على إدغام المثلين. فلما امتنع فيهما إدغام المثلين –كما ذكرنا في فصل إدغام المثلين – امتنع فيهما إدغام المتقاربين"([4]).

وقد نص على هذا سيبويه حيث يقول: "ومن الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه كما لم يدغم في مثله، وذلك الحرف الهمزة... وكذلك الألف لا تدغم في الهاء، ولا فيما تقاربه لأن الألف لا تدغم في الألف"([5]).

ويعود تفسير المحدثين إلى أن الألف ساكنة، وليست من الصوامت فلا يجوز أن يدغم صائت؛ أي حركة، في صامت وذلك بسبب التباعد بينهما، وقد نص على هذا عبد الصبور

---

١) سيبويه: الكتاب، ٥٤٤/٣

٢) محمد جواد النوري: من العوامل الصوتية في تشكل البنية العربية، ص٥

٣) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٢٠٨

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٧٩/٢، والمقرب، ص٣٦٠

٥) سيبويه: الكتاب، ٤٤٦/٤

شاهين حيث قال: "والأساس الأول في القرابة الصوتية كون كلا الصوتين المتبادلين من الصوامت، أو من جنس الحركات(الذي يشمل الحركات وأشباهها... فالأصوات الاعتراضية(أي: الصوامت) يمكن التبادل بينها، كذلك الحركات تتبادل فيما بينها. ولكن البعيد أن يصبح الصامت حركة، أو أن تصبح الحركة صامتا، ونظرا للتباين في طبيعتها"(١).

أما الهمزة فهي ثقيلة فإدغامها مع غيرها يزيدها ثقلا، ويبدو أنها لا تتسم بصفات قوة تجعلها تؤثر في غيرها من الأصوات. وإدغام المتقاربين يتطلب تغيير الحرف إلى مثله أو إلى غيره، فإذا قلبت الهمزة إلى مثلها، اجتمعت همزتان وهذا يزداد ثقلا، فيتعارض هذا الثقل مع الهدف من الإدغام وهو طلب الخفة.

٢- الهاء: عند القدماء مخرجها من أقصى الحلق، ولا شك في أن أقصى الحلق عند القدماء يساوي الحنجرة عند المحدثين، فلذلك لا تدغم مع الألف والهمزة لما ذكر سابقا. ولكنها يمكن أن تدغم مع حروف المخرج التي يليها وهو وسط الحلق الذي يخرج منه صوتا العين والحاء. يقول ابن عصفور: "وأما الهاء فليس من مخرجها ما يدغم فيها أو تدغم فيه، لأنها من مخرج الألف والهمزة، فلم يبق لها ما تدغم فيه إلا ما هو من المخرج الذي يلي مخرجها"(٢).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هـ + ح --> ح: يذهب ابن عصفور إلى أنه إذا اجتمعت الهاء مع الحاء وكانت الهاء أولا جاز الإدغام والإظهار، ويكون الإدغام بقلب الأول إلى جنس الثاني، فتقلب الهاء إلى حاء وتدغم في الحاء. وذلك لأنهما متقاربان في المخرج وفي الصفة نحو:(اجْبَهْ حَاتِما)، وقد قلب الأول(اجْبَهْ حاتما) إلى جنس الثاني(اجْبَحَاتما) لأن الذي ينبغي أن يغير بالقلب الأول لأنه يغير بالتسكين في المثلين. والبيان في مثل هذه البنى أحسن من الإدغام وذلك لسببين:

أ. اختلاف المخرجين.

ب. إن حروف الحلق ليست بأصل للإدغام، وذلك لقلتها(٣).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام هذين الحرفين حيث يقول الأخير: "الهاء مع الحاء كقولك: اجْبَهْ حَمَلا، البيان أحسن لاختلاف المُخْرَجين، ولأن حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها، والإدغام فيها عربي حسن لقرب المخرجين لأنهما مهموسان رِخْوان، فقد اجتمع

---

١) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٦٨

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٢/٦٧٩

٣) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٦٧٩-٦٨٠، والمقرب، ص٣٦٠

فيهما قرب المخرجين والهمس"(١).

ويتفق ابن عصفور مع المبرد في حكم إدغام هذين الحرفين فقد ذكر الأخير: "وأما الهاء فتدغم في الحاء، نحو قولك: اجبحميلا(تريد اجبه حميلا)، لأنهما متقاربتان، وليس بينهما إلا أن الحاء من وسط الحلق، والهاء من أوله، وهما مهموستان رخوتان"(٢).

ومما يؤيد ما ذهب إله ابن عصفور، قول الإستراباذي، فقد قال: "أما الهاء فتدغم في الحاء فقط، اجبه حاتما، والبيان أحسن؛ لأن حروف الحلق ليست بأصل في التضعيف... والإدغام عربي حسن؛ لقرب المخرجين، ولأنهما مهموسان رخوان"(٣).

ويمكن تفسير هذه البنية على أن كلا من الهاء والحاء يتصفان بالهمس، والهاء أدخل في الحلق من الحاء فقلب الأدخل إلى الأخرج وهذا أصل إدغام المتقاربين. ومما أيد هذا القلب أن صوت الهاء وقع ساكنا في نهاية مقطع فضعف بالسكون والموقع. في حين وقع صوت الحاء متحركا في بداية مقطع قوي بالحركة والموقعية.

فقد حدث أن قلبت الهاء إلى حاء لإجراء التماثل بين الصوتين المتجاورين. وهذا ما يطلق عليه علماء الدرس الصوتي الحديث مصطلح المماثلة(Assimilation) الذي يعني: "التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته -ولا تقول ملاصقته- لأصوات أخرى"(٤).

أو هي "عملية تصبح بواسطتها الفونيمات متشابهة(٥).

وهنا أثر الصوت الثاني في الصوت الأول ومثل هذا التأثر يطلق عليه علماء الأصوات المحدثون التأثر الرجعي(Regressive) أو المماثلة الرجعية(Regressive assimilation)(٦).

ح + هـ ---> ح هـ أو حّ

يرى ابن عصفور أنه إذا تقدمت الحاء على الهاء لا يجوز الإدغام نحو:(امدح هلالا) وذلك للأسباب التالية:

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤٤٩/٤

٢) المبرد: المقتضب، ٢٠٧/١

٣) الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، ٢٧٦/٣

٤) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص٣٢٤

٥) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٦) ينظر: إبراهيم أنيس؛ الأصوات اللغوية، ص١٨٠. وينظر أيضا: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي، ص ٢٠٩

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أ. اختلاف المخرجين.

ب. الإدغام في حروف الحلق ليس بأصل لقلتها.

ج. لأن الإدغام يتطلب قلب الأول إلى الثاني على أصل للإدغام، فكنت تقلب الحاء هاء، وذلك لا يجوز لأن الهاء أدخل في الحلق من الحاء، ولا يقلب الأخرج إلى الفم إلى جنس الأدخل في الحلق، والسبب في ذلك أن حروف الفم أخف من حروف الحلق، "لذلك يقل اجتماع الأمثال في حروف الحلق. وما قرب من حروف الحلق إلى الفم كان أخف من الذي هو أدخل منه في الحلق، فكرهوا لذلك تحويل الأخرج إلى جنس الأدخل، لأن في ذلك تثقيلا. فإن أردت الإدغام قلبت الهاء حاء. وأدغمت، فقلت امدحّلالا، وجاز قلب الثاني لما تعذر قلب الأول، ويكون الإدغام فيما هو أقرب إلى حروف الفم التي هي أصل للإدغام. والإدغام في هذا أقل من الإدغام في مثل (اجّبّه حاتما) لأن الباب – كما تقدم – أن يحول الأول إلى الثاني"([1]).

ويتفق ابن عصفور مع المبرد إذا تقدمت الحاء على الهاء في "امدحْ هلالا" و"أصلحْ هيثما" بأن الإدغام يمتنع، ولكن إن شئت قلبت الهاء حاء إذا كانت بعد الحاء وأدغمت وهذا الإدغام قليل بينما يرى سيبويه أنه يمتنع فلا تدغم الحاء في الهاء كما لم تدغم الفاء في الباء ([2]).

يتضح من الآراء السابقة أن الصوت الأول أثر في الصوت الثاني في حالة الإدغام ومثل هذا التأثر يطلق عليه علماء الدرس الصوتي الحديث، التأثر التقدمي Progressive أو المماثلة التقدمية Progressive assimilation([3]).

ويعني هذا إذا وقعت الحاء والهاء متجاورتين تقدمت إحداهما على الأخرى أو تأخرت فإن من الممكن إجراء أحد هذه التشكلات للبنية:

أ. الإبدال:

- إذا تقدمت الهاء على الحاء فإننا نبدل الهاء حاء، وذلك لقرب المخرجين وكلاهما مهموس، إضافة إلى أن الحاء أخرج إلى الفم من الهاء وهذا ما سوغ قلب الهاء إلى حاء.
- إذا تقدمت الحاء على الهاء حيث تبدل الهاء إلى حاء وهذا ليس على الأصل، لأنه قلب الثانى إلى جنس الأول، ويبدو أن هذا الابدال من اللهجات.

---

[1]) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٨١/٢

٢) ينظر:سيبويه: كتاب سيبويه،٤٤٩/٤.والمبرد: المقتضب،٣٠٧/١.وابن عصفور:الممتع في التصريف:٦٨١/٢

٣) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١٨٠. وينظر أيضا: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص٣٢٥. وينظر أيضا: محمد جواد النوري: من العوامل الصوتية في تشكل البنية العربية، ص٦

ب. الإدغام:

- يتم ذلك بإدغام الحاء المبدلة من الهاء مع الحاء الأولى وذلك كما يحدث في إدغام المثلين في كلمتين، فالمثل الأول ساكن والثانى متحرك.
- يتم ذلك بإدغام الحاء المبدلة من الهاءإلى الحاء الأولى، وذلك لأن الحاء أخرج إلى الفم من الهاء.

ج. الإظهار:

- إذا تقدمت الحاء على الهاء أحسن، من الإظهار في تقدم الهاء على الحاء.

هـ + ع --> ح/هـ ع / ع هـ مهموس + مجهور--> مهموس/مهموس ومجهور/مجهور مهموس

إذا اجتمعت الهاء مع العين تقدمت العين أو تأخرت فالبيان، ولكن إذا أردنا الإدغام فإننا نبدل الصوتين المتجاورين إلى صوت آخر قريب منهما وهو صوت الحاء وقد نص على هذا ابن عصفور بقوله: "فإذا اجتمعت – يعني الهاء – مع العين، فالبيان تقدمت العين أو تأخرت. ولا يجوز الإدغام إلا أن تقلب العين والهاء حاء، ثم تدغم الحاء في الحاء"(١).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وبين ابن عصفور أسباب هذا الإبدال بأن العين لا تقلب إلى هاء لأنها أخرج إلى الفم.

"ولو قلبت الهاء إلى عين لأجتمع لك عينان وذلك ثقيل لأن العين قريبة من الهمزة، فكما أن اجتماع الهمزتين ثقيل فكذلك اجتماع العينين"(٢). واختلاف مخرج الهاء عن مخرج العين، وبينهما أيضا تباين في الصفة فالهاء مهموسة والعين مجهورة، فكرهوا أن يقلبوا واحدة منها إلى الأخرى للتباين السابق، فأبدلوا منهما الحاء لأنها من مخرج العين وتشبه الهاء في صفته الهمس والرخاوة. مثل(اجبه عتبة)و(اقطع هذا) اجبحتبة، واقطحاذا(٣).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في حكم اجتماع الهاء والعين حيث نص الأخير على أن: "العين مع الهاء كقولك: اقطع هلالا، البيان أحسن. فإن أدغمت لقرب المخرجين حولت الهاء حاء والعين حاء، ثم أدغمت الحاء في الحاء، لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله فأبدلت مكانها أشبه الحرفين بها ثم أدغمته، كي لا يكون الإدغام في الذي فوقه ولكن ليكون في الذي هو من مخرجه. ولم يدغموها في العين إذا كانت من حروف الحلق، لأنها خالفتها في الهمس

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٢/٦٨١.والمقرب،ص٣٦٠.

٢) المرجع نفسه:ص٦٨٢

٣) ينظر: المرجع نفسه: ص٦٨٢،٦٨١.

والرخاوة، فوقع الإدغام لقرب المخرجين، ولم تقو عليها العين إذ خالفتها فيما ذكرت لك. ولم تكن حروف الحلق أصلا للإدغام ومع هذا فأن التقاء الحاءين أخف من التقاء العينين... والمهموس أخف من المجهور"(١).

ويتفق ابن عصفور مع المبرد في إدغام الهاء والعين حيث ذكر الأخير: "العين لا تدغم في الهاء ولا تدغم الهاء فيها، فأما ترك إدغامها في الهاء، فلقرب العين من الفم، وأما ترك إدغام الهاء فيها، فلمخالفتها إياها في الهمس والرخاوة، فإن قلبت العين حاء لقرب العين من الحاء جاز الإدغام. وذلك قولك: مَحُمْ تريد: مَعْهُمْ وهي كثيرة في كلام بني تميم"(٢).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور ما قاله ابن يعيش حيث نص على أن: "الهاء لا تدغم في العين ولا العين في الهاء، فأما ترك إدغامها في الهاء فلقرب العين من الفم وبعد الهاء عنه، وأما ترك إدغام الهاء فيها فإن العين وإن قاربتها في المخرج فقد خالفتها من جهة التجنيس، فالعين مجهورة والهاء مهموسة، والهاء رخوة والعين ليست كذلك. فلما تباعد ما بينهما من جهة تجنيس الحروف وإن تقاربا في المخرج امتنعا من الإدغام إلا بمعدل يتوسط بينهما وهو الحاء؛ لأنها موافقة الهاء بالهمس والرخاوة والعين بالمخرج"(٣).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يبدو أن اجتماع الهاء والعين يتطلب أكثر من تغيير لإحداث التجانس بل لا بد من قلب كل منهما إلى صوت آخر قريب من الصوتين ويبدو أن هذا لا يقع ضمن المماثلة لأنه لم يؤثر أحد الصوتين في الآخر. ولكن يمكن اعتبار مثل هذا الإدغام من قبيل التداخل المخرجي الذي يقلب الأصوات المتجاورة إلى أصوات قريبة منها في المخرج وهذا غالبا ما يكون في اللهجات ويبدو أن البيان في مثل هذا التجاور أفضل من الإدغام وذلك لأن الإدغام قد يؤدي إلى اللبس.

ع + ح --> حّ أو ع/ح : مجهور + مهموس --> مهموس مضعف أو مجهور+ مهموس.

يرى ابن عصفور أن اجتماع العين مع الحاء يجوز فيه الإدغام والإظهار إذا كانت العين أولا وذلك نحو: اقطع حبلا. وحسن الإدغام كونهما من مخرج واحد(٤).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور ما جاء عند سيبويه بشأن هذين الحرفين حيث قال:

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٤٩، ٤٥٠

٢) المبرد: المقتضب، ١/٢٠٧، ٢٠٨

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/١٣٧

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٦٨٢. والمقرب، ص٣٦٠

"العين مع الحاء كقولك: اقطع حملا، الإدغام حسن، والبيان حسن؛ لأنهما من مخرج واحد"([1]).

ويتفق ابن عصفور مع المبرد في هذين الحرفين حيث يقول الأخير: "العين والحاء إذا أدغمت واحدة منهما الأخرى فقلبت(العين حاء) جاز تقول: "ادفحّاتما": تريد "ادفع حاتما" أدغمت العين في الحاء وهذا حسن"([2]).

في هذا التشكل اللغوي أثر الصوت الثاني في الصوت الأول فهو من قبيل المماثلة الرجعية ولكن اللافت للنظر أن الصوت الأضعف هو الحاء المتسم بالهمس أثر في الصوت الأقوى وهو العين المتسم بالجهر وهو فضل صوت، ولكن ثقل العين منعه من أن يؤثر في الصوت السابق له ويحوله إلى جنسه، لأنه لو فعل لاجتمعت عينان وهذا ثقيل، ويتنافى مع هدف الإدغام وهو البحث عن الخفة واقتصاد المجهود العضلي، وكذلك العين أدخل في الحلق من الحاء، فقلب الأدخل إلى الأخرج وذلك لخفة الأخرج. إضافة أن صوت العين ضعف بالموقع حيث وقع ساكنا في نهاية مقطع، في حين وقع صوت الحاء متحركا في بداية مقطع.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ح + ع --> ح/ع أو حّ: مهموس + مجهور --> مهموس + مجهور أو مهموس مضعف.

يرى ابن عصفور أنه إذا وقعت الحاء والعين متجاورتين، وكانت الحاء أولا فإن البيان أفضل من الإدغام، وذلك لأن العين أدخل في الحلق من الحاء، ولا يقلب الأخرج إلى الأدخل واجتماع العينين ثقيل، فإن أردت الإدغام قلبت العين حاء، وأدغمت الحاء في الحاء مثل: "امدح عليا"([3]).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في حكم إدغام الحاء والعين إذا كانت الحاء أولا حيث يقول: "ولم تدغم الحاء في العين في قولك: "امدح عرفة"، لأن الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع العين... ولكنك لو قلبت العين حاء فقلت في "امدحٌ عَرفة": "امدحّرفة"، جاز"([4]).

وقد ورد ما ذهب إليه ابن عصفور في هذين الحرفين عند المبرد حيث يقول: "وأما قلب العين إلى الحاء إذا كانت بعدها فهو جائز، وليس في حسن هذا، لأن حق الإدغام أن يدغم الأول في الثاني، ويحول على لفظه"([5]).

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤٥١/٤

٢) المبرد: المقتضب، ٢٠٨/١

٣) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٨٢/٢، ٦٨٣. والمقرب، ص٣٦٠، ٣٦١

٤) سيبويه: الكتاب، ٤٥١/٤

٥) المبرد: المقتضب، ٢٠٨/١

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في حكم إدغام هذين الحرفين حيث يقول الأخير: "وقد تدغم في الحاء – يعني العين – وقعت قبلها أو بعدها، ومثال كونها قبل الحاء ارفحانما، ومثال وقوعها بعدها أصلحّامرا في أصلحٌ عامرا، فأما قلبها حاء إذا وقعت قبل الحاء فهو حسن؛ لأن باب الإدغام أن تدغم إلى الثاني وتحول لفظه، وأما قلب العين إلى حاء فهو جائز وليس في حسن الأول"(١).

نرى في هذا الحكم أن عدم الإدغام أفضل؛ لأن الإدغام يتطلب قلب الثاني إلى جنس الأول وهذا ليس بأصل، ولكنه يجوز إذا تعذر قلب الأول إلى الثاني ويبدو أن هذا لا يكون في الفصيح من كلام العرب وإنما يكون في البيئات النطقية اللهجية في الأعم الأغلب.

غ + خ --> غ + خ /غ/خ : مجهور + مهموس --> مجهور + مهموس/مجهور مضعف/مهموس مضعف.

يرى ابن عصفور أنه إذا اجتمعت الغين مع الخاء سواء تقدمت الغين أم تقدمت الخاء فالإدغام فيهما جائز أي يجوز الإدغام والبيان، وكلاهما حسن، لأنهما من مخرج واحد، وعند الإدغام يقلب الأول منهما إلى جنس الثاني نحو:(اسلخ غنمك) و(ادمغْ خَلفا) وقد جاز قلب الخاء غينا، وهي أخرج إلى الفم؛ لأن الغين والخاء لقرب مخرجهما من الفم أجريا مجرى حروف الفم، وحروف الفم يجوز فيها قلب الأخرج إلى الأدخل(٢).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في حكم إدغام الخاء والغين حيث قال الأخير: "الغين مع الخاء البيان أحسن والإدغام حسن، وذلك قولك: "ادمغ خلفا"، والخاء مع الغين البيان فيها أحسن؛ لأن الغين مجهورة وهما من حروف الحلق، وقد خالفت الهاء في الهمس والرخاوة، وقد جاز الإدغام فيها لأنه المخرج الثالث، وهو أدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان"(٣).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول المبرد فقد ذكر الأخير: "وأما ما لا اختلاف فيه فإنك تدغم الغين في الخاء، لاشتراكهما في الرخاوة، وأنه ليس بينهما إلا الهمس والجهر، فتقول في قولك: اصبغ خلفا: اصبِخّلفا: وهو أحسن من البيان، وتدغم الخاء في الغين فتقول: اسلغنمك، تريد اسلخ غنمك، والبيان أحسن؛ لأن الغين مجهورة، والتقاء المهموسين أخف من التقاء المجهورين، وكل جائز حسن"(٤).

---

١) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٣٦/١٠

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٨٣/٢. والمقرب، ص٣٦١

٣) سيبويه: الكتاب، ٤٥١/٤

٤) المبرد: المقتضب، ٢٠٩/١

ولكن يختلف ابن عصفور مع المبرد في إدغام الحاء والعين والهاء في الغين والخاء. فقد ذهب ابن عصفور إلى عدم جواز إدغام واحد من الثلاثة في الغين والخاء؛ لأن الخاء والغين أجريا مجرى حروف الفم، وحروف الحلق لا تدغم في حروف الفم(١).

أما المبرد فيرى أنه يجوز إدغام العين والحاء في الغين والخاء واحتج بان الهاء تدغم في الحاء، والهاء من المخرج الأول من الحلق، والهاء من الثاني، وليس حروف الحلق بأصل الإدغام، يقول: "والمخرج الثالث من الحلق مخرج الغين والخاء، وإدغام كل واحدة منهما في أختها جيد، وإدغام العين والحاء فيهما يجوز في قول بعض الناس. ولم يذكر ذلك سيبويه، ولكنه مستقيم في اللغة، معروف جائز في القياس، لأن الغين والخاء أدنى حروف الحلق إلى الفم"(٢). فالمخرج الثالث أحرى أن يدغم فيما كان معه في الحلق، وهو متصل بحروف الفم كما تدغم الباء في الفاء، والباء من الشفة والفاء من الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا تقول: اذهفي ذلك. تريد اذهبْ في ذلك. فكذلك تقول: امدغالبا. تريد امدحْ غالبا(٣).

ويبدو أن رأي ابن عصفور أميل للصواب من رأي المبرد وذلك لوجود تراخ بينهما في المخرج، فهذه الحروف ليست من مخرج واحد كما ذهب القدماء، فالعين والحاء مخرجهما من الحلق، والخاء والغين مخرجهما من الطبق وبين المخرجين مخرج آخر وهو اللهاة مخرج القاف.

وحروف الحلق ليست بأصل الإدغام كما ذكر سابقا.

ويمكن تفسير هذا التشكل للبنية على النحو التالي:

إذا تقدمت الخاء على الغين، قلبت الخاء إلى غين والخاء تتسم بالهمس والغين تتسم بالجهر والجهر فضل صوت فأثر الصوت المجهور في مقابله المهموس فحوله إلى جنسه أي أثر صوت الغين في صوت الخاء فحوله إلى جنسه. وهذا الأصل في الإدغام أن يقلب الأول إلى جنس الثاني، ويقلب الأضعف إلى الأقوى أي أن الصوت الثاني أثر في الصوت الأول لتمتعه بصفة قوة ألا وهي الجهر. وكلاهما من نفس المخرج، فهي عند ابن عصفور من أدنى مخارج الحلق إلى اللسان. وعند المحدثين من المخرج الطبقي Velum.

ولكن هنا قلب الأخرج إلى الأدخل وهذا يتنافى مع قواعد الإدغام إلا أنه جاز ذلك لقرب

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٨٣/٢- ٦٨٤. والمقرب، ص٣٦١

٢) المبرد: المقتضب، ٢٠٨/١

٣) ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها

مخرجهما من الفم فأجريا مجرى حروف الفم، وحروف الفم يجوز فيها قلب الأخرج إلى الأدخل وإذا تقدمت الغين على الخاء غ + خ --> خّ. مجهور + مهموس --> مهموس مضعف.

فبالإدغام يقلب الأول إلى جنس الثاني، وإنما جاز أن يقلب المجهور إلى مقابله المهموس لأنهما من مخرج واحد، وقد قلب الأدخل إلى الأخرج.

ب. ذكر حروف الفم في الإدغام:

شرع ابن عصفور – بعد عرضه لأحكام حروف الحلق في الإدغام – بذكر أحكام حروف الفم، فبدأ بما يلي المخارج الحلقية إلى الفم، فكان مخرج القاف، ومخرج الكاف، فمخرج القاف عنده من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، أما عند المحدثين فهو من اللهاة uvula.

أما مخرج الكاف فهو أخرج من مخرج القاف،وهي، عنده، من مؤخر اللسان وما يليه من الحنك الأعلى ولكنها عند المحدثين من الطبق velum.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

١ – القاف والكاف:

ذكر ابن عصفور أن القاف والكاف إدغام كل واحد منهما في صاحبه، وبين أن الإدغام والبيان حسنان إذا تقدمت القاف على الكاف نحو: الحق كلدة. أما البيان في تقدم الكاف على القاف أحسن من الإدغام نحو: انهك قطنا؛ وذلك لقرب القاف والكاف من حروف الحلق التي لا يجوز فيها إدغام الأخرج منها في الأدخل([1]).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه – بل إنه لم يأت بشيء جديد عما ورد عند سيبويه الذي نص على أن: "القاف مع الكاف، كقولك: الحقْ كِلدة. الإدغام حسن والبيان حسن. وإنما أدغمت لِقرب المخرجين، وأنهما من حروف اللسان، وهما متفقان في الشدة. والكاف مع القاف: انهكْ قَطنا، البيان أحسن والإدغام حسن، وإنما كان البيان أحسن لأن مخرجهما أقرب مخارج اللسان إلى الحلق"([2]).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول المبرد: "تدغم القاف في الكاف،والقاف أدنى حروف الحلق، والكاف تليها. وذلك قولك: الحكّلدة، تريد الحقْ كِلدة. فتدغم لقرب المخرجين. والإدغام أحسن؛ لأن الكاف أدنى إلى سائر حروف الفم من القاف، وهي مهموسة. والبيان

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٨٥/٢. وينظر أيضا: المقرب، ص ٣٦٢

٢) سيبويه،: الكتاب، ٤٥٢/٤

أخرى، فقويت بالمخرج لأنها الأخرج إلى الفم وضعفت بالموقع وذلك كونها ساكنه في نهاية مقطع مثل: انهك قطنا in|hak|qa|ṭa|nah > ʔin|haq|qa|ṭa|nah? والقاف ضعفت لأنها الأدخل إلى الحلق وقويت لأنها وقعت في بداية مقطع، ولهذا عد القدماء البيان أحسن من الإدغام. وهو الرأي الأصوب لأن حروف الحلق ليست أصلا في الإدغام والقاف أقرب إلى حروف الحلق من الكاف، والأفضل ألا يقلب الأخرج إلى جنس الأدخل.

ج، ش، ي:

بعد أن انتهى ابن عصفور من ذكر أحكام الإدغام في كل من القاف والكاف، انتقل إلى بيان أحكام الإدغام في أحرف المخرج الذي يليهما، وهي الجيم والشين والياء. ومخرج هذه الأحرف عند ابن عصفور من وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى. وعند المحدثين من الغار: Hard Palate.

قسم ابن عصفور أحكام إدغام هذه المجموعة إلى قسمين: الأول: أحكام إدغام هذه الحروف بعضها مع بعض لأنها من مخرج واحد، والثاني: أحكام إدغام الحروف السابقة الذكر مع حروف من مخارج أخرى.

مركز ايداع الرسائل الجامعية
مكتبة الجامعة الاردنية

فبدأ بأحكام إدغام الجيم:

يقول ابن عصفور:"أما الجيم فإنها تدغم في الشين خاصة كقولك:ابعَجْ شَبَثا، ويجوز البيان وكلاهما حسن. وإنما جاز إدغامها فيها لكونهما من حروف وسط اللسان"(١).

وقد نص على هذا سيبويه حيث قول:" الجيم مع الشين، كقولك: ابعَجْ شَبَثا، الإدغام والبيان حسنان؛ لأنهما من مخرج واحد، وهما من حروف وسط اللسان"(٢).

ومما يؤيد قول ابن عصفور، ما ذهب إليه المبرد إذ يقول:" الجيم تدغم في الشين لقرب المخرجين، وذلك قولك: أخْرِشّبثا. تريد: أخرجْ شَبَثا. والإدغام حسن، والبيان حسن"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في إدغام الجيم في الشين، فيقول الأخير:" وأما الجيم فإنما يدغم في الشين، نحو: ابعج شبثا؛ فالإدغام والبيان حسنان؛ لأنهما من مخرج واحد"(٤).

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٨٦/٢. ينظر أيضا: المقرب، ص٣٦٢

٢) سيبويه: الكتاب، ٤٥٢/٤

٣) المبرد: المقتضب، ٢١١/١

٤) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٧٨/٣

ويمكن تفسير هذا التشكل على النحو الآتي:

ج+ش--> شّ: مجهور مركب +مهموس احتكاكي --> مهموس احتكاكي مضعف

إذا اجتمعت الجيم والشين متجاورتين، وكانت الجيم أولا، فإن الشين تؤثر في الجيم وتحوّلها إلى جنسها وذلك لأن؛ تتصف بأكثر من ملمح قوة يجعلها قادرة إلى التأثير في غيرها من الحروف المجاورة لها. فهي تتسم بملمح الصفير وبملمح التفشي والاستطالة، وقد زاد من قوتها وقوعها في بداية مقطع ووقوع الجيم ساكنة في نهاية مقطع م: ابعج شبثا : ib|cas|sab|0av < ib|cadsab|0an فقد تحولت الجيم إلى شين، أي: قلب الأول إلى جنس الثاني وهذا الأصل في الإدغام ويسمى هذا التأثير بالتأثير الرجعي أو المماثلة الرجعية.

ج+ي --> ج ي:

يذكر ابن عصفور أن الجيم لا تدغم في الياء، وإن كانت من مخرجها وذلك لما تتميز به عن الحروف الصحاح، فالياء حرف علة، وهذه الحروف – أي العلة – تختلف عن الحروف الصحاح، يقول: "ولم يجز إدغامها (يعني الجيم) في الياء وإن كانت من مخرجها، لأن الياء حرف علة وحروف العلة بائنة من جميع الحروف؛ بأنها لا يمد إلا بها، ولأن الحركات بعضها، ولذا كانت منفردة بأحكام لا توجد لغيرها، ألا ترى أنك تقول "عمرو" و"بكر" و"نصر" وما أشبه وذلك في القوافي، فيعادل الحروف بعضها بعضا، ولو وقعت ياء أو واو بخلاف حرف من هذه الحروف نحو "جود" و"خير" لم يجز. وكذلك تكون القافية مثل "سعيد" و"قعود"، ولو وقع مكان الياء والواو غيرهما لم يصلح وتحذف لالتقاء الساكنين في الموضع الذي يحرك فيه غيرها، نحو: يغزو القوم، ويرمى الرجل، ومثنى القوم"([1]).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في حكم إدغام الياء مع شيء من المتقاربة إذ يذكر:" ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة، ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيء من المتقاربة؛ لأن فيهما لينا ومدا، فلم تقو عليهما الجيم والباء، ولا ما لا يكون فيه مد ولا لين من الحروف، أن تجعلهما مدغمتين، لأنهما يخرجان ما فيه لين ومد إلى ما ليس فيه مد ولا لين"([2]).

وقد نص على هذا أيضا المبرد حيث قال:" اعلم أن الياء لا تدغم في الجيم ولا في الشين؛ لأنها حرف لين"([3]).

وقال أيضا:"لا تدغم الشين ولا الجيم فيها؛ لئلا يدخل في حروف المد ما ليس بمد، فالياء

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٦٨٦-٦٨٧.بتصرف

٢) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٤٦

٣) المبرد: المقتضب، ١/٢١٠

بائنة للمد واللين الذي فيها"([1]).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش:" اعلم أن(الياء) وإن كانت من مخرج الجيم والشين فإنها من حروف المد ولها فضيلة على غيرها بما فيها من المد واللين فهي تباين سائر الحروف اللاتي من مخرجها المقاربة لها في المخرج فلذلك لا تدغم في الجيم وإن كانت من مخرجها لما فيها من المد واللين لئلا تخرج إلى ما ليس فيه مد ولا لين من الحروف الصحاح"([2]).

ويتفق ابن عصفور مع علماء الدرس الصوتي الحديث في أحكام إدغام حروف العلة مع غيرها، ولكنه يختلف عنهم في التسمية والتفريق بين حروف العلة(و ي) وحروف المد(uu)(ii). وقد قام عبد الصبور شاهين بمعالجة هذه القضية، حيث ذكر أن اللبس وقع عند علماء اللغة القدامى نتيجة اتحاد كل من الواو والياء بوصفهما حرفي علة مع الواو والياء بوصفهما حرفي مد في الرسم(و ي). فهذان الرسمان يعبران عند القدماء ومنهم ابن عصفور عب أربعة أصوات، هي:(ياء المد، وياء العلة، وواو المد، وواو العلة)، ويرى شاهين أن الواو والياء المعتلتين ينتجان من تركيب الحركات، فتنشأ الحرمة المزدوجة التي تؤدي غلى وجود الصوت الانتقالي، الذي هو الواو والياء في مثل بيت bayt وقوم qawm. أما أصوات المد فليست غلا حركات طويلة يمكن تجزئتها إلى حركات قصيرة([3]).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويبدو تفسير ابن عصفور لامتناع إدغام الياء في شيء من مقارباتها لا يتفق مع الدرس الصوتي الحديث الذي يرى أن الإدغام بين الصوتين المتجاورين يجب أن يكون بينهما اشتراك بجمعهما، والياء لا يوجد ما تشترك فيه مع الصوامت سوى صفة الجهر مع بعضها. فطبيعتها الإنتاجية تختلف عن الصوامت فهي من صنف الحركات فلهذا امتنع إدغامها فيما قاربها.

وذكر ابن عصفور أنه يدغم في الجيم ستة أحرف ليس من مخرجها وهي: الطاء، الدال، التاء، الظاء، الذال، الثاء. وبين جواز إدغام هذه الحروف في الجيم وإن لم تكن من مخرجها لأنها أخت الشين وهي معها من مخرج واحد فكما أن هذه الحروف تدغم في الشين فكذلك أدغمت في أختها وهي الجيم؛ لأنها تدغم في الشين، والشين أخت الجيم ومن مخرجها، فبما أن هذه الحروف تدغم في الشين، فكذلك أدغمت في أختها وهي الجيم حملا عليها، ويذهب إلى أن البيان في جميع ذلك أحسن للبعد المخرجي الذي بينهما([4]).

---

١) المبرد: المقتضب، ص٢١١

٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٣٩/١٠

٣) ينظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبيئة العربية، ص١٧٠. بتصرف

٤) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٨٧/٢-٦٨٨. والمقرب، ص٣٦٢. بتصرف

وقد نص على هذا ابن يعيش حيث قال:" وتدغم فيها ستة أحرف من غير مخرجها وهي: الطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء وغنما جاز إدغام هذه الحروف في الجيم وإن لم تقاربها لأن هذه الحروف من طرف اللسان والثنايا ومخرج الجيم من وسط اللسان فكان بينهما تباعد وأجريت في ذلك مجرى أختها وهي الشين، وذلك أن الشين وإن كانت من مخرج الجيم، فإن فيها تفشيا، يتصل بهذه الحروف، فلذلك من الاتصال، جاز أن يدغمن في الجيم ولا يدغم الجيم فيها، كما لا تدغم الشين لأنها أجريت مجراها"(١).

ويمكن تفسير إدغام هذه الحروف في الجيم على النحو الآتي:

ط+ج --> جّ و ط ج

إذا اجتمعت الطاء والجيم، وكانت الطاء أولا، فإنها تدغم في الجيم نحو:(لم يربط جملا) lam|yar|bid|da|ma|lan < lam|yar|biṭ|da|ma|lan. وهنا أثر صوت الجيم في صوت الطاء فحوله إلى جنسه. وهذا أصل الإدغام أن يؤثر الثاني في الأول، وقد حول الأخرج وهذا يجوز في حروف الفم. والذي جوز مثل هذا الإدغام أن الطاء تتصف بملمح الإطباق والجيم تتصف بملمح الجهر وفي كلا الصوتين فضل، غير أن وقوع الطاء ساكنة في نهاية مقطع جعلها ضعيفة، ووقوع الجيم متحركة في بداية مقطع أكسبها قوة إدماجية.

والبيان في مثل هذه البنى أحسن حفاظا على إطباق الطاء من جهة، ولبعد المخرجين من جهة أخرى. وقد نص على هذا ابن عصفور حيث قال: "وإذا أدغمت الطاء والظاء في الجيم فالأحسن أن تبقي الإطباق، ويجوز إذهابه"(٢).

د+ج --> جّ/د ج

إذا اجتمعت الدال والجيم متجاورتين وكانت الدال أو لا، جاز الإدغام والإظهار. ففي حالة الإدغام يحول الأول إلى جنس الثاني، وإنما جاز مثل هذا الإدغام لأن الدال تدغم في الشين، والشين أخت الجيم في المخرج، فأدغمت في الجيم حملا على إدغامها في الشين، على الرغم من أن الدال تتصف بالجهر والشدة وهما فضل صوت، ولكن وقوع الدال ساكنة في نهاية مقطع أضعفها نحو:(قد جعل) qad|da|ca|la < qad|da|ca|la. والبيان هنا أفضل لبعد المخرجين.

ت+ج--> جّ / ت ج.

إذا اجتمعت التاء والجيم متجاورتين، وكانت التاء أولا يجوز الإدغام والإظهار.

---

١) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٣٨/١٠

٢) ابن عصفور: المقرب، ص٣٦٣

ث+ج--> جّ / ث ج

إذا وقعت الثاء مجاورة للجيم، وكانت أولا،يجوز الإدغام والإظهار.

الإدغام: أثر صوت الجيم المتصف بالجهر، وهو فضل صوت، في صوت الثاء السابق له تأثير رجعي فحوله إلى جنسه وذلك لأن الجيم أقوى من الثاء لاتصافه بالجهر والثاء يتصف بالهمس. زيادة على أن الثاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع مما زاد في ضعفها. ووقعت الجيم في بداية مقطع فزادها قوة نحو :(ابعثْ جَامعا) ʔib|caθ|daa|mi|can > ʔib|cad|daa|mi|can

ويمكن القول إن الذال أخت الثاء في المخرج، وقد أدغمت في الجيم وهي أقوى من الثاء لتمنعها بالجهر، فأحرى أن تدغم الثاء وهي الأضعف في الجيم حملا على أختها.

الإظهار: يجوز في مثل هذا التجاور أن يحتفظ كلا الصوتين بصورته المميزة له وذلك لبعد المخرجين.

جميع الحقوق محفوظة

الشين:

يذكر ابن عصفور أن الشين لا تدغم في شيء من مقاربها، ولكن يدغم فيها الجيم والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء واللام؛ وذلك لما فيها من التفشي والاستطالة(١).

وقد ورد مثل هذا عند سيبويه حيث قال: "وتدغم الطاء والدال والتاء في الشين لاستطالتها حين اتصلت بمخرجها ... وتدغم الظاء والذال والثاء فيها، لأنهم قد أنزلوها منزلة الضاد"(٢). ويتفق ابن عصفور مع المبرد في حكم إدغام الشين حيث ذكر الأخير: "ولا تدغم الشين في الجيم البتة لأن الشين من حروف التفشي، فلها استطالة من مخرجها حتى تتصل بمخرج الطاء"(٣).

ويمكن تفسير مثل هذا التشكل على النحو الآتي:

ط + ش --> شّ

أثرت الشين في الراء تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها وأدغمت فيها وذلك لأن الشين استطالت حتى وصلت إلى مخرج الطاء. فأصبحت وكأنها من مخرج واحد نحو: لم يَرْبِطْ شَبَثًا*، والاستطالة فضل صوت زيادة إلى أنها تتسم بملمحي التفشي والصفير وهما فضل صوت أيضا

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٨٧،٦٨٨/٢. والمقرب: ص ٣٦٣

٢) سيبويه: الكتاب، ٤٦٦/٤

٣) المبرد: المقتضب، ٢١١/١

* الشبث: نوع من العناكب

يكسبان الصوت المتصف بهما قوة التأثير في غيره من الأصوات المجاورة، أما الطاء فإنها تتسم بملمح الإطباق ولكنها أضعف من الشين المتصفة بأكثر من ملمح قوة، إضافة إلى أن الطاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع فما زاد من ضعفها ووقعت الشين في بداية مقطع مما زاد من قوتها lam|yar|biš̆|šab|ɵan < lam|yar|bit|ša|ba|ɵan.

ت + ش --> ش

إذا اجتمعت التاء والشين متجاورتين، وكانت التاء أولا، فإن الشين تؤثر فيها وتحولها إلى جنسها وتدغم فيها، وذلك لأن الشين تتسم بأكثر من ملمح قوة يجعلها قادرة على التأثير في غيرها، فالتاء صوت يتسم بملمح الانفجار، وهو فضل صوت ولكن الشين تتسم بثلاثة ملامح قوة وهي الصفير والتفشي والاستطالة. ومما زاد من ضعف التاء وقوعها ساكنة في نهاية مقطع نحو:(انبتت شيا) ʔan|ba|taš̆|ša|yan < ʔan|ba|tat|ša|yan

ظ + ش --> ش

أثرت الشين في الظاء تأثيرا رجعيا، فحولتها إلى جنسها وذلك لأن الشين تتصف بملامح قوة أكثر من الظاء التي تتسم بملمحي الجهر والإطباق، ومما جعلها أكثر تأثيرا فيها وقوعها متحركة في بداية مقطع ووقوع الظاء ساكنة في نهاية مقطع نحو:(احفظْ شَنَبَا) ʔih|faš̆|ša|na|ban <ʔih|faẓ|ša|na|ban ʔ

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ذ + ش --> ش

إذا اجتمعت الذال والشين متجاورتين وكانت الذال أولا، فإن الشين تؤثر في الذال تأثيرا رجعيا فتحولها إلى جنسها وتدغم فيها. وذلك لأن الشين تفوق الذال في صفات القوة التي تجعلها قادرة على التأثير في الذال. والذال تتسم بملمح قوة واحد وهو الجهر ولكنها ضعفت بسبب موقعها أيضا فقد وقعت ساكنة في نهاية مقطع نحو:(انبذْ شَرَابا) :

ʔin|biš̆|ša|raa|ban < ʔin|biẓ|ša|raa|ban وزادت الشين قوة لأنها وقعت متحركة في بداية مقطع.

د + ش --> ش

أثرت الشين في صوت الدال السابق لها تأثيرا رجعيا، فحولته إلى جنسها وأدغم فيها، وذلك لأن الشين تتمتع بصفات قوة ذاتية وبصفات قوة موقعية تجعلها قادرة على التأثير في غيرها. أما الدال فإنها تتصف بملمحي الجهر والانفجار ولكنها ضعفت في الموقع لأنها وقعت ساكنة ي نهاية مقطع نحو:(لم يرد شيئا) : lam|ya|riš̆|šay|ʔan < lam|ya|rid|šay|ʔan.

ث + ش --> ش

أثر صوت الشين في صوت الثاء المجاور له تأثيرا رجعيا، فحوله إلى جنسه وذلك؛ لأن صوت الشين يتمتع بصفات قوة تجعله قادرا على التأثير في غيره من الأصوات المجاورة، والثاء لا تتصف بملامح قوة من جهة، ومن جهة أخرى ضعفت في الموقع، فقد وقعت ساكنة في نهاية مقطع، في حين وقعت الشين متحركة في بداية مقطع مما زاد من قوتها. نحو:(لم يرث شيئا) lam|ya|riš|šay|ʾan < lam|ya|riθ|šay|ʾan.

ل+ ش --> ش

أثر صوت الشين في صوت اللام السابق له تأثيرا رجعيا فحوله إلى جنسه، وذلك؛ لأن الشين تتصف بملامح قوة تجعلها قادرة على التأثير في غيرها من الأصوات، إضافة إلى أن الشين وقعت متحركة في بداية مقطع مما زاد في قوتها. ووقعت اللام ساكنة في نهاية مقطع مما أضفى عليها شيئا من الضعف. نحو:(الشمس) ʾal|šam|su فأصبحت بالإدغام ʾaš|šam|su.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الياء:

لقد تقدم أن الياء لا تدغم في حرف صحيح، ولكنها تدغم فيها الواو؛ لأنها تشبهها في اللين والاعتلال. وشرط إدغامها أن يكونا في كلمة واحدة نحو: (سيّد) و(طيّ) والأصل فيهما(سَيْوِد) و(طَوْيٌ). وعلل ابن عصفور سبب هذا الإدغام، أن الياء أخف من الواو وهذا يتناسب مع الغرض من الإدغام، وهو طلب الخفة، زيادة على أن الياء من حروف الفم، وأصل الإدغام أن يكون في حروف الفم([1]).

وقد ورد هذا عند سيبويه حيث قال: "... لأن الياء أخت الواو، وقد تدغم فيها الواو"([2]).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في إدغام الواو في الياء حيث يذكر: "إن الواو والياء وإن تباعد مخرجهما فقد اجتمعتا في المد فصارا كالمثلين فأدغمت الواو فيها بعد قلبها ياء ... لأن الواو تقلب إلى ياء ولا تقلب الياء إليها؛ لأن الياء أخف، والإدغام إنما هو نقل الأثقل إلى الأخف"([3]).

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٨٨،٦٨٩/٢. والمقرب، ص٣٦٣

٢) سيبويه: الكتاب، ٤٥٣/٤

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٣٩/١٠

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور، قول الإستراباذي:"... وذلك لأن الواو والياء تقاربتا في الصفة، وهي كونهما لينتين ومجهورتين وبين الشدة والرخاوة وإن لم يتقاربا في المخرج، فأدغمت إحداهما في الأخرى، وقلبت وإن كانت ثانية؛ لأن القصد التخفيف بالإدغام، والواو المشددة ليست بأخف من الواو والياء"([1]).

ويمكن تفسير هذا التشكل البنيوي لكلمة(سيِّد) على النحو التالي:

سيود say|wid --> سيد say|yid

وقعت الواو والياء بوصفهما نصفي حركة متجاورتين، أولاهما في نهاية مقطع وثانيتهما في بداية مقطع آخر كلاهما متوسط مغلق(ص ح ص). فأثرت الياء في الواو تأثيرا تقدميا فحولتها إلى جنسها. وهنا قلب الثاني إلى جنس الأول، وجاز هنا لأن الواو أثقل من الياء. ومن ناحية أخرى فإن الواو والياء صامتان ضعيفان يستثقل اجتماعهما معا. وقد تنبه إلى هذا العلماء القدامى، فها هو ذا الإستراباذي ينص "على أن الواو والياء وإن لم يتقاربا في المخرج حتى يدغم أحدهما في الآخر كما في ادكر. لكن لما استثقل اجتماعهما اكتفي بتخفيفهما بالإدغام"([2]).

وقد نص على هذا محمد جواد النوري حيث قال:" الإدغام يحول الصوامت الضعيفة(الواو والياء) إلى صوامت قوية"([3]).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
ايداع الرسائل الجامعية

وقد ذهب إلى هذا أيضا الإستراباذي حيث قال:" وإن كانت الواو المضمومة مشددة، لم تقلب همزة؛ لقوتها بالتشديد، وصيرورتها كالحرف الصحيح"([4]).

أما طوي tawy --> طي tayy

يرى محمد جواد النوري أن في مثل هذا المثال وما جاء على شاكلته وقعت الواو والياء بوصفهما نصفي حركة متجاورتين ودونما فاصل بينهما داخل مقطع واحد من النوع الطويل المضاعف الإغلاق(ص ح ص ص) وهنا أثرت الياء في الواو تأثيرا رجعيا، وذلك من أجل إغلاق المقطع بنصف حركة مضعفة متماثلة ليكون نطقهم من وجه واحد([5]).

ومن ناحية أخرى فإن الياء أخف من الواو وهذا يتماشى مع القصد من الإدغام وهو

---

١) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٧١/٣

٢) المرجع نفسه ، ص١٣٩-١٤٠

٣) محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، بحوث لم تنشر بعد، جامعة النجاح الوطنية، ص٢٠

٤) الإستراباذي: شرح الشافية، ٧٨/٣

٥) ينظر: جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٠

الخفة لأن اجتماعهما ثقيل، ويمكن أن الناطق العربي شعر بضعف الواو والياء فأراد أن يقفل المقطع بصامت قوي فعمد إلى التضعيف لأنه يقوي الصوت.

وقد نص عبد الصبور شاهين على أن " الياء أيسر نطقا. وبخاصة في نهاية الكلمة، إلى جانب أن الياء من خصائص النطق الحضري"(١).

ن + ي --- > يّ

وذكر ابن عصفور أنه لا يدغم في الياء من الحروف الصحيحة إلا النون نحو:(من يّوقن). وعلل سبب هذا الإدغام أن النون غناء فأشبهت بالغنة التي فيها الياء، لأن الغنة فضل صوت في الحرف، كما أن اللين فضل صوت في الياء، زيادة على أن النون قريبة في المخرج من الواو التي هي أخت الياء، ويدغم فيها الواو لتشاركهما في الاعتلال واللين، ولهذا أدغمت النون فيها(٢).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا المجال حيث يقول الأخير:" وتدغم النون مع الياء بغنة وبلا غنة؛ لأن الياء أخت الواو، وقد تدغم فيها الواو فكأنهما من مخرج واحد"(٣).

وقد نص على هذا ابن يعيش، إذ يذكر: "وأما النون فإنما جاز إدغامها في الياء، وإن لم يكن فيها لين من قبل، أن فيها غنة، ولها مخرج من الخيشوم، ولذلك أجريت مجرى حروف المد واللين"(٤).

إن ما حدث في هذه البنية أن أثرت الياء في النون تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها. فاجتمع ياءان الأولى ساكنة والثانية متحركة فأدغمتا. ومما جوز ذلك قلب النون إلى ياء، أن النون الساكنة تخرج من الخيشوم فقربت من مخرج الواو، والواو تدغم في الياء فحملت عليها: زيادة على أن النون وقعت ساكنة في نهاية مقطع ووقعت الياء متحركة في بداية مقطع فقويت بالموقع. وضعفت النون بموقعها أيضا نحو: من يوقن man|yuu|qin تصبح بالإدغام ميوقن may|yuu|qin.

الضاد:

يذكر ابن عصفور أن الضاد لا تدغم في شيء من مقارباتها، وسبب ذلك أن فيها استطالة وإطباقا واستعلاء، ولا يوجد في مقارباتها مثل هذه الصفات، فلو أدغمت في غيرها لأدى ذلك

---

١) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩٠

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٨٩/٢

٣) سيبويه: الكتاب، ٤٥٣/٤

٤) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤٠/١٠، ١٣٩

فيها، لقربها منها في المخرج. وأما سائر الحروف فإن الضاد، بالاستطالة التي فيها لحقت مخرج الطاء والدال والتاء، لأنها اتصلت بمخرج اللام، وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه، إلا أنها لم تقع من الثنية موقع الطاء لانحرافها؛ لأنك تضع لسانك للطاء بين الثنيتين. وقربت بسبب ذلك من الظاء والذال والثاء لأنهن من حروف طرف اللسان والثنايا، كالطاء وأختيها، والبيان عربي جيد، لتباعد ما بينها وبينهن"(١).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام هذه الحروف في الضاد حيث قال الأخير:" وقد تدغم الطاء والتاء والدال في الضاد، لأنها اتصلت بمخرج اللام، وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه من الأسنان ولم تقع من الثنية موقع الطاء لانحرافها... وكذلك الظاء والذال والثاء، لأنهن من حروف طرف اللسان والثنايا يدغمن في الطاء وأخواتها"(٢).

ومما يؤيد قول ابن عصفور ما ذهب إليه ابن يعيش حيث قال:" ويدغم فيها الطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء واللام، لأن هذه الحروف من طرف اللسان والثنايا، والضاد من حافة اللسان وجانب الأضراس، وفيها إطباق واستطالة تمتد حتى تتصل بهذه الحروف فصارت مجاورة لها فجاز إدغامهن فيها وهي أقوى منهن لوفور صوتا، والإدغام إنما هو في الأقوى"(٣).

مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد ورد مثل هذا عند الإستراباذي حيث يقول:" اعلم أن الأحرف الستة المذكورة أعنى الطاء والظاء والدال والذال والتاء والثاء تدغم في الضاد... لأن الضاد قريب من الثنية باستطالتها وهذه الحروف من الثنية"(٤).

وقال عن سبب إدغام اللام في الضاد:" أما الضاد فلأنها استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام"(٥).

ويمكن بيان سبب إدغام هذه الحروف في الضاد كل على حده كما يأتي:

ل + ض --> ضّ --> جانبي + مفخم --> مفخم مضعف

(هل ضل زيد) hal|dal|la|zay|dun < had|dal|la|zay|dun

إذا جاورت اللام الضاد وكانت اللام أولا فإن الضاد تؤثر فيها تأثيرا رجعيا وتحولها إلى

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٦٩٠-٦٩١

٢) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٦٥

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/١٤٠

٤) الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢٨٣،٢٨٢

٥) المرجع نفسه: ص٢٧٩

جنسها وذلك لأن الضاد تتسم بملامح قوة تجعلها قادرة على التأثير في غيرها، فهي تتصف بالتفخيم والاستطالة والجهر والاستعلاء. يقول ابن الجزري:" والحرف المستطيل –هو الضاد لأنه استطال عن الفهم عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام، وذلك لما فيه من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء"([1]). ولهذا فإن الضاد باستطالتها قربت من مخرج اللام، فساعد على قلب اللام إلى ضاد. يقول ابن حماد:" واللام تشارك الضاد في المخرج لأن الضاد من أقصى الحافة واللام من أدنى الحافة، والضاد حرف مستطيل استطال في مخرجه،وامتد صوته حتى اتصل بمخرج اللام"([2]).

زيادة على أن اللام وقعت ساكنة في نهاية مقطع مما أضعفها، ووقعت الضاد في بداية مقطع مما زاد من قوتها.

ث + ض --> ضّ --> مرقق + مفخم --> مفخم مضعف

أثرت الضاد المفخمة في الثاء المرققة فحولتها إلى جنسها وذلك؛ لأن الضاد تتصف بملامح قوة تجعلها قادرة على التأثير في غيرها، وكذلك استطالت الضاد حتى وصلت مخرج الثاء، والثاء أخت الظاء في المخرج، والضاد تشبه الظاء إلا في الاستطالة والمخرج. يقول ابن حماد:" وليس الفارق بين الضاد والظاء المعجمتين إلا في الاستطالة والمخرج"([3]).

زيادة على أن الثاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع مما زاد في ضعفها، ووقعت الضاد متحركة في بداية مقطع نحو: ابعث ضرمة: ib|caθ|dar|mah <> ib|cad|dar|mah

ت + ض --> ضّ --> مرقق + مفخم --> مفخم مضعف

أثرت الضاد في الثاء المجاورة لها تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها وأدغمت فيها؛ لأنها تتمتع بصفات قوة تجعلها قادرة على التأثير في غيرها من الأصوات المجاورة، إضافة إلى أن الضاد استطالت في مخرجها حتى وصلت إلى مخرج التاء فكأنهما من مخرج واحد. ومما زاد من قوة الضاد وضعف التاء وقوع الأولى متحركة في بداية مقطع ووقوع الثانية ساكنة في نهاية مقطع. ومن الأمثلة على ذلك ما نقله ابن عصفور عن سيبويه: قال سيبويه: " وسمعنا من يوثق بعربيته قال: ثار فضجضّجة ركائبه"([4]).

---

١) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ٢٠٥/١

٢) ابن حماد: إتحاف العباد، ص١٨

٣) المرجع نفسه: ص ٢٣

٤) سيبويه: الكتاب، ٤٦٥/٤. وابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٩١/٢. والمقرب، ص ٣٦٣

"حيث أدغمت تاء(ضجت) في ضاد(ضجة) لمخالطة الضاد للتاء باستطالتها وإن كانت من حافة طرف وسط اللسان. ومعنى الشاهد: وصف رجلا ثار بسيفه في ركائبه ليعرقبها ثم ينحرها للأضياف فثارت الركائب وضجت، والركائب جمع ركاب؛ وهي الرواحل من الإبل"([1]).

ط + ض --> ضّ --> مهموس + مجهور --> مجهور مضعف

أثرت الضاد في الطاء تأثيرا رجعيا، فحولتها إلى جنسها، وأدغمت فيها نحو:(اضبط ضرمة) id|bit|dar|mah > id|bid|dar|mah وذلك لأن الضاد تتسم بملامح قوة أكثر من الطاء واستطالت حتى وصلت مخرج الطاء، فكأنهما من مخرج واحد، علاوة على أن الطاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع.

ظ+ض --> ضّ: مجهور احتكاكي+مجهور انفجاري --> مجهور انفجاري مضعف

إذا تجاورت الظاء والضاد، وكانت الظاء أولا، فإن الضاد تؤثر فيها تأثيرا رجعيا فتحولها إلى جنسها وتدغم فيها نحو:(احفظ ضرمة) ih|faẓ|dar|mah > ih|faḍ|dar|mah وذلك لأن الضاد تتصف بملامح قوة أكثر مما تتصف به الظاء، والضاد استطالت إلى أن وصلت إلى مخرج الظاء، زيادة على أن الظاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ذ + ض --> ض --> مرقق + مفخم --> مفخم مضعف

أثرت الضاد في الذال المجاورة لها تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها وأدغمت فيها وذلك لأن الضاد تتصف بملامح قوة أكثر من الذال فهو يفضل الذال كما ذكر ابن حماد" بالاستطالة وبالإطباق وبالاستعلاء وبالتفخيم([2]).

زيادة على أن الضاد باستطالتها وصلت مخرج الذال. ومما زاد في ضعف الذال وقوعها ساكنة في نهاية مقطع. ومن أمثلة هذا الإدغام:(خذ ضرمة) xuḏ|dar|mah > xuḍ|dar|mah.

د + ض --> ضّ --> مرقق + مفخم --> مفخم مضعف

أثرت الضاد في مقابلها المرقق وهو صوت الدال تأثيرا رجعيا فحولته إلى جنسها وأدغمت فيها، وذلك لأن الضاد تفوق الدال في ملامح القوة التي تتصف بها، واستطالت الضاد حتى وصلت بمخرج الدال. ومما زاد في قوة الضاد وقوعها متحركة في بداية مقطع، ووقوع الدال ساكنة في نهاية مقطع زاد من ضعفها نحو:(قد ضعف) qad|da|cu|fa > qad|ḍa|cu|fa

---

١) عبد السلام هارون: حاشية رقم(٣)، الكتاب، ٤/٤٦٥

٢) ينظر: ابن حماد: إتحاف العباد، ص ٩

ويذكر ابن عصفور أن البيان في مثل هذه التجاورات عربي جيد وذلك لبعد مخارج الحروف السابقة الذكر عن مخرج الضاد(١).

وبعد أن انتهى ابن عصفور من ذكر أحكام إدغام الضاد، والحروف التي تدغم فيها، انتقل إلى ذكر أحكام الإدغام في مجموعة من الأصوات المتقاربة في المخرج وهي: اللام والنون والراء. فشرع ببيان أحكام اللام في الإدغام. وهي عنده قسمان: لام المعرفة واللام التي لغير التعريف، وتناول كل واحدة منهما على حدة، على الرغم أنهما تدغمان في الحروف نفسها، ولكن يختلف حكم الإدغام فيهما، فلام التعريف الإدغام فيها واجب، أما اللام الأخرى فالإدغام فيها جائز.

٤- لام التعريف:

يقول ابن عصفور: " أما اللام فإنها تدغم في ثلاثة عشر حرفا وهي: التاء والثاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والنون"(٢).

وقد استند ابن عصفور، في قوله بوجوب إدغام لام المعرفة في هذه الحروف، إلى عدة عوامل يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

١. موافقة اللام لهذه الأصوات في المخرج، فهي عنده يجمعها مخرج طرف اللسان، باستثناء صوتي الضاد والشين، فهما يصلان إلى مخرج طرف اللسان بالاستطالة التي في الضاد وبالتفشي الذي في الشين.

٢. كثرة ورود لام التعريف في الكلام؛ لأن كل نكرة في تحتاج من أجل تعريفها إلى هذه اللام، إلا في حالات قليلة.

٣. لأنها قد نزلت منزلة الجزء مما تدخل عليه، أي أنها قد اتصلت بالاسم الداخلة عليه اتصال بعض حروفه به.

٤. اجتماع المتقاربين فيما هو كالكلمة الواحدة أثقل من اجتماعهما في الكلمتين المنفصلتين(٣).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام اللام التي للتعريف في الحروف السابقة حيث يقول الأخير: "ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفا لا يجوز فيها معها إلا الإدغام؛ لكثرة لام المعرفة في الكلام؛ وكثرة موفقتها لهذه الحروف؛ واللام من طرف اللسان. وهذه الحروف

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٩١/٢

٢) المرجع نفسه: ص ٦٩١، ٦٩٢. والمقرب، ص ٣٦٤

٣) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٩٢/٢

تأثرا رجعيا، مما يؤدي إلى قلبها إلى صوت من جنس مجاوره ويتم ذلك على النحو الآتي:

الصبر al|ṣab|ru ˂ > الصبر aṣ|ṣab|ru ˃

الزعيم al|za|cii|mu ˂ > الزعيم az|za|cii|mu ˃

السماء al|sa|maa|ʒu ˂ > السماء as|sa|maa|ʒu ˃

الشمس al|šam|su ˂ > الشمس aš|šam|su ˃

ويعود السبب في ذلك إلى أن الأصوات السابقة تتصف بملمح الصفير الذي يعد صفة قوة في الصوت، بالإضافة إلى أن صوت الضاد يتسم – زيادة على ملمح الصفير – بملمح التفخيم وهو فضل صوت، كما أن الشين يتسم بالإضافة إلى ملمح الصفير، بملمحي الاستطالة والتفشي اللذين يعدان صفتي قوة في الصوت. فهذه الملامح مكنت الأصوات المتصفة بها من التأثير في اللام زيادة على أن اللام وقعت ساكنة في نهاية مقطع، ووقعت الأصوات المجاورة لها متحركة في بداية مقطع مما زاد من قوتها.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ل + ط/ظ/ض ---> ط / ظ / ض: جانبي + مفخم ---> مفخم مضعف

تأثرت اللام بالأصوات السابقة تأثيرا رجعيا مما أدى إلى قلبها إلى جنس ما جاورها من الأصوات السابقة وذلك على النحو الآتي:

الطريق al|ṭa|rii|qu ˂ > الطريق aṭ|ṭa|rii|qu ˃

الظلام al|ðˤa|laa|mu ˂ > الظلام aðˤ|ðˤa|laa|mu ˃

الضمير al|ḍa|mii|ru ˂ > الضمير aḍ|ḍa|mii|ru ˃

ويعود السبب في ذلك إلى أن الأصوات السابقة تتصف بملمح التفخيم الذي يعد صفة قوة في الصوت تجعله قادرا على التأثير في غيره من الأصوات المجاورة، إضافة إلى أن صوت الضاد يتسم بملمحي الاستطالة والتفشي وهما من ملامح القوة، زيادة على أن اللام وقعت ساكنة في نهاية مقطع.

ل + د/ذ/ت/ث ---> د / ذ / ت / ث: جانبي + مجهور/ انفجاري ---> مجهور مضعف /انفجاري مضعف

تأثرت اللام بالأصوات السابقة تأثرا رجعيا مما حولها إلى جنس ما جاورها من الأصوات على النحو الآتي:

الدار al|daa|ru ˂ > الدار ad|daa|ru ˃

الذئب al|ðˤi|bu ˂ > الذئب aðˤ|ðˤi| bu ˃

التوت al|tuu|tu ˂ > التوت at|tuu|tu ˃

الثوب ʔaθ|θaw|bu > الثوب ʔal|θaw|bu

يعود السبب في هذا التجانس إلى أن صوتي الدال والتاء يتسمان بملمح الانفجار، وأن صوتي الذال والدال يتسمان بملمح الجهر، وهما ملمحا قوة يمكنان الصوت المتصف بهما من التأثير في غيره من الأصوات المجاورة غير المتصفة بهما. أما الثاء فقد أثرت في اللام – في الأعم الأغلب – لأنها من حروف الفم واللسان وهي أصل الإدغام كما يذكر سيبويه(١).

بالإضافة إلى أن الأصل في الإدغام أن يقلب الأول إلى جنس الثاني، ولو قلب الثاني إلى جنس الأول فإنه يتطلب التسكين فيجتمع ساكنان وهذا ما لا تقبله العربية، كما أن لام التعريف وقعت ساكنة في نهاية مقطع، ويعد السكون ملمحا يضفي على الصامت الملابس له نوعا من الضعف، مقابل الصامت المتحرك الذي تقويه الحركة وتحصنه(٢). مما أضعفها وجعلها عرضة للتغيير.

لام غير التعريف:

إذا كانت اللام لغير التعريف، فإنها توجد في الحروف التي تدغم فيها لام التعريف، وحكم إدغامها في تلك الحروف جائز، مع التفاوت في حسن الإدغام مع بعض منها. يقول ابن عصفور:" وإن كانت لغير التعريف أدغمت لأجل المقاربة، وجاز البيان لأنها لم يكثر استعمالها ككثرة لام التعريف، ولا هي بمنزلة كلمة واحدة"(٣).

ومما يؤيد قول ابن عصفور ما ذكره سيبويه حيث يقول:" فإذا كانت غير لام المعرفة نحو لام هل وبل فإن الإدغام في بعضها أحسن"(٤).

ل + ر --> رّ / ل / ر

إذا جاورت اللام الراء، فإن الراء تؤثر فيها تأثيرا رجعيا وتحولها إلى جنسها، وذلك لما ذكر سابقا من تكرار الراء وقربها من مخرج اللام. ويجوز البيان نحو هل رأيت.

ويذكر ابن عصفور أن إدغام اللام إذا كانت ساكنة أحسن منه إذا كانت متحركة نحو: "اجعل راشد". وإدغامها في الراء أحسن من إدغامها في الحروف الأخرى، وذلك لأنها أقرب الحروف إليها وأشبهها، حتى إن الذي يصعب عليه نطق الراء يجعلها لاما(٥).

---

١) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤٤٨/٤

٢) الفارابي: ديوان الأدب، القاهرة: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٧٤. ٨٧/١

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٩٣/٢،٦٩٢

٤) سيبويه: الكتاب،٤٥٧/٤

٥) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ص٦٩٣

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا المجال حيث يذكر الأخير:" فإذا غير لام المعرفة نحو لام هل وبل فإن الإدغام في بعضها أحسن، وذلك قولك: هرأيت؛ لأنها أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها، فضارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد"(١).

ومما يؤيد قول ابن عصفور، ما ذهب إليه المبرد حيث يذكر:" فإن كان اللام لغير المعرفة، جاز الإدغام والإظهار، والإدغام في بعض أحسن منه في بعض. إذا قلت: هل رأيت زيدا، وجعل راشدا، جاز أن تسكن فتقول: جعراشدا، كما تسكن المثلين. والإدغام ههنا أحسن إذا كان الأول ساكنا"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في حكم إدغام لام غير المعرفة حيث يذكر الأخير:" وإذا كانت اللام ساكنة غير المعرفة نحو لام هل وبل وقل فهي في إدغامها مع الحروف المذكورة على أقسام: أحدهما: أن يكون الإدغام أحسن من الإظهار، وذلك مع الراء لقرب مخرجيهما، ولك أن لا تدغم نحو هل رأيت"(٣).

وقد أكد ابن يعيش ما ذهب إليه ابن عصفور حيث يذكر:" وأما ماعدا لام المعرفة فيجوز إدغامها في هذه الحروف ولا يلزم، وبعضها أقوى من بعض في الإدغام، والحروف التي يكون الإدغام فيها أقوى هي الأقرب إلى اللام وأقواها الراء في نحو(هل رأيت) ونحوه لأنها أقرب عليها وأشبهها بها"(٤).

ل+ ط/ت/د/ص/س/ز --> طّ،ل ط/ تّ،ل ت/دّ، ل د/صّ،ل ص/سّ،س ل/زّ، ل ز

يذكر ابن عصفور أن إدغام لام غير المعرفة في الحروف السابقة يلي في الجودة إدغامها في الراء لأنها أقرب الحروف إليها بعدها(٥).

وقد ورد مثل هذا القول عند سيبويه حيث يذكر:" وهي مع الطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين جائزة، وليس ككثرتها مع الراء، لأنهن قد تراخين عنها، وهن من الثنايا وليس فيهن انحراف"(٦).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في حكم إدغام اللام مع الحروف السابقة الذكر حيث

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤٥٧/٤

٢) المبرد: المقتضب، ٢١٤/١

٣) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٧٩/٣

٤) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤١/١٠

٥) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٩٣/٢

٦) سيبويه، الكتاب، ٤٥٧/٤

يقول الأخير:" ويليه في الحسن إدغام اللام الساكنة في الطاء والدال والتاء والصاد و الزاي والسين وذلك لأنهن تراخين عن اللام إلى الثنايا وليس فيهن انحراف نحو اللام كما كان في الراء، ووجه جواز الإدغام فيها أن آخر مخرج اللام قريب من مخرجها، واللام معها من حروف طرف اللسان"(١).

ل+ث/ذ/ظ --> ثّ،ل ث/ذّ،ل ذ/ظّ،ل ظ.

يذهب ابن عصفور إلى أن إدغام اللام في هذه الحروف أقل حسنا من إدغامها في الحروف السابقة الذكر وذلك؛ لأن هذه الحروف من أطراف الثنايا، وقاربن مخرج ما يجوز إدغام اللام فيه وهو الفاء(٢).

وقد مثل ابن عصفور على هذا الإدغام قوله تعالى:"هل ثوب"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام اللام في هذه الحروف حيث يذكر الأخير:" وهي مع الظاء والثاء والذال جائزة، وليس كحسنه مع هؤلاء، لأن هؤلاء من أطراف الثنايا وقد قاربن مخرج الفاء، ويجوز الإدغام لأنهن من الثنايا كما أن الطاء وأخواتها من الثنايا، وهن من حروف طرف اللسان كما أنهن منه"(٤).

جميع الحقوق محفوظة
الرسائل الجامعية

ومما يؤكد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش:" وهو مع الظاء والثاء والذال جائز وليس كحسنه مع هؤلاء؛ لأن هذه الحروف من أطراف الثنايا متصعدة إلى أصول الثنايا العليا حتى قاربت مخرج الظاء، واللام مستفلة فبعدت منها بهذا الوجه، ويجوز الإدغام لأنهن من الثنايا كما أن الطاء غير المعجمة وأخواتها من الثنايا وطرف اللسان"(٥).

ويؤكد الإستراباذي قول ابن عصفور إذ يذكر:" ويليه في الحسن إدغامها في الطاء والثاء والذال؛ لأنهن من أطراف الثنايا وقاربن مخرج الفاء"(٦).

ل+ض/ش --> ضّ،ل ض/ شّ، ل ش

يذكر ابن عصفور أن إدغام اللام في هذين أقل حسنا من إدغامها في الحروف السابقة

---

١) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٧٩/٣

٢) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٩٣/٢

٣) المطففين،٣٦

٤) سيبويه: الكتاب، ٤٥٨/٤

٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤١/١٠

٦) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٧٩/٣

وذلك؛ لأن هذين الحرفين ليسا من حروف طرف اللسان، وإنما بالاستطالة التي في الضاد والتفشي الذي في الشين اتصلتا بحروف طرف اللسان، ويمثل ابن عصفور على إدغام اللام في الشين قول طريف بن تميم([1]):(الطويل)

تقول إذا استهلكت مالا للذة فكيهة: هشيء بكفيك لائق؟

يريد هل شيء؟ فأدغمت لام هل في الشين.

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام اللام في هذين الحرفين، أعني الضاد والشين، إذ يذكر:" وهي مع الضاد والشين أضعف؛ لأن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان والشين من وسطه. ولكنه يجوز إدغام اللام فيهما لما ذكرت لك من اتصال مخرجهما"([2]).

ومما يؤيد قول ابن عصفور ما ذهب إليه شارح المفصل حيث يقول:" وهي مع الضاد والشين أضعف؛ لأن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان والشين من وسطه ولكنه يجوز إدغام اللام فيهما لما ذكرت لك من اتصال مخرجهما"([3]).

وقد ورد مثل هذا عند الإستراباذي فهو يذكر:" ويليه إدغامها في الضاد والشين، لأنهما ليسا من طرف اللسان كالمذكورة، ولكنه جاز الإدغام فيهما لاتصال مخرجهما بطرف اللسان"([4]).

ل + ن --> ن، ل ن

يرى ابن عصفور أن إدغام اللام في النون أقل حسنا مما ذكر، بل يرى أن البيان احسن وذلك لأنه امتنع أن يدغم في النون شيء من الحروف التي أدغمت فيها إلا اللام. فأرادوا أن يجروا اللام مجرى أخواتها التي يجوز إدغام النون فيها لأنه لا يجوز إدغام شيء منها في النون فضعف إدغام اللام فيها([5]).

وقد ورد مثل هذا الرأي عند سيبويه حيث يذكر:" والنون إدغامها فيها أقبح من جميع هذه الحروف؛ لأنها تدغم في اللام كما تدغم في الياء والواو والراء والميم، فلم يجسروا أن يخرجوها

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٩٤/٢. وينظر أيضا: سيبويه: الكتاب،٤٥٨/٤. وابن يعيش: شرح المفصل،١٤١/١٠. الشاهد على إدغام لام "هل" في الشين لاتساع مخرج الشين وتفشيها.

٢) سيبويه: الكتاب،٤٥٨/٤

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤١/١٠

٤) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٨٠/٣

٥) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٩٤/٢

من هذه الحروف التي شاركتها في إدغام النون وصارت كأحدها في ذلك"([1]).

ويتفق ابن عصفور في إدغام اللام الساكنة في النون مع الإستراباذي، وشارح المفصل([2]).

ويمكن تفسير الأحكام المتعلقة بإدغام اللام في الحروف السابقة، أن هذه الحروف تتسم بملامح قوة تجعلها قادرة على التأثير في غيرها من الحروف المجاورة، فأثرت في اللام وحولتها إلى جنسها هذا من جهة. ومن جهة أخرى قرب مخرجها من مخرج اللام سواء أكان بالمجاورة أم بالاستطالة وبالتفشي. وقسم منها قيس إلى غيره.

أما عدم الإدغام فيبدو أن وقوع المتجاورين في كلمتين مختلفتين أضعف الإدغام. فهذه اللام غير لام المعرفة التي عدت في الاسم جزءا منه، زيادة على تباين مخارج هذه الحروف عن مخرج اللام، بالإضافة إلى أن هذه اللام لم تكثر ككثرة لام المعرفة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٥٩

٢) ينظر: الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢٨٠. وابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/١٤١-١٤٢

ج. مواضع النون:

بسط ابن عصفور الحديث في مواضع النون مع ما يجاورها من أصوات، وقسمها إلى خمسة مواضع، يقول:" وأما النون فلها خمسة مواضع: موضع تظهر فيه، وموضع تدغم فيه، وموضع تخفى فيه، وموضع تقلب فيه ميما، وموضع تظهر فيه وتخفى"([1]).

ثم قام بعد ذلك بإجمال هذه المواضع، وتفسير كل موضع منها على حدة على النحو الآتي:

<u>أولا: إدغام النون:</u>

يذكر ابن عصفور أن النون تدغم إذا كان بعدها أحد الأحرف المقاربة، وهذه الأحرف المقاربة خمسة، يجمعها قولك: ويرمل. ويعود السبب في إدغام النون في هذه الأحرف، كما يذكر ابن عصفور، إلى ما يأتي:

أ – المقاربة في المخرج: وذلك مع حرفي الراء واللام.

ب – المقاربة في الغنة: وذلك مع حرف الميم.

ج – المقاربة في الغنة، وكونها من أحرف الزيادة: وذلك مع حرفي الياء والواو.

ويذهب إلى أن إدغامها في الميم يكون بغنة؛ لأنها تشاركها بهذا الملمح، أما باقي الحروف الأربعة الأخرى وهي:(ر+ل+و+ي) فيكون بغنة وبغير غنة، وإدغامها بغير غنة فعلى أصل الإدغام وذلك لأن إدغامها يحولها إلى جنس ما أدغمت فيه، وهذه الحروف لا تتسم بالغنة، وأما من أبقى الغنة وهو الأفضل عنده، فلأنه فضل صوت فكره إذهابه([2]).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام النون مع هذه الأحرف حيث يذكر الأخير:"النون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان، وذلك قولك:"من راشد ومن رأيت". وتدغم بغنة وبلا غنة. وتدغم في اللام لأنها قريبة منها على طرف اللسان، وذلك قولك: من لك. فإن شئت كان إدغاما بلا غنة فتكون من بمنزلة حروف اللسان، وإن شئت أدغمت بغنة لأن لها صوتا من الخياشيم فترك على حاله... وتدغم النون مع الميم لأن صوتهما واحد، وهما مجهوران وقد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتى إنك تسمع النون كالميم، والميم كالنون حتى تتبين، فصارتا بمنزلة اللام والراء في القرب، وإن كان المخرجا متباعدين، إلا أنهما اشتبهتا لخروجهما جميعا من الخياشيم"([3]).

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٩٥/٢

٢) ينظر: ابن عصفور: المرجع السابق، ص ٦٩٥-٦٩٧. بتصرف.

٣) سيبويه: الكتاب، ٤٥٣/٤، ٤٥٢

ويذكر أيضا:" وتدغم النون مع الواو بغنة وبلا غنة لأنها من مخرج ما أدغمت فيه النون وهو الميم... وتدغم مع الياء بغنة وبلا غنة لأن الياء أخت الواو، وقد تدغم فيها الواو فكأنهما من مخرج واحد؛ لأنه ليس مخرج من طرف اللسان أقرب إلى الراء من الياء. ألا ترى الألثغ بالراء يجعلها ياء"(١).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش: "النون تدغم في هذه الحروف الستة التي يجمعها يرملون فأما إدغامها في مثلها فلا إشكال فيه وأما الخمسة الباقية وهي الراء واللام والميم والياء والواو فلأنها مقاربة لها في المنزلة الدنيا من غير إخلال بها وإدغامها في الراء واللام أحسن من البيان لفرط الحوار وذلك نحو من لك ومن راشد والبيان جائز. وإدغامها في الميم نحو: من محمد؟ وممن أنت؟ وذلك أن الميم وإن كان مخرجها من الشفة فإنها تشارك النون في الخياشيم. أما إدغامها في الياء والواو في نحو: من بأتيك؟ ومن وال؟ فذلك من قبل أن النون بمنزلة حروف المد نحو الواو والياء؛ لأن فيها غنة كما أن فيهما لينا ولأن النون من مخرج الراء، والراء قريبة من مخرج الياء وتدغم بغنة وبغير غنة"(٢).

جميع الحقوق محفوظة

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في إدغام النون في الحروف السابقة يقول الأخير: "فإن حصل للنون الساكنة مع الحروف التي بعدها من غير حروف الحلق قرب مخرج كاللام والراء، أو قرب صفة كالميم؛ لأن فيه أيضا غنة، وكالواو والياء لأن النون معهما من المجهورة وما بين الشديدة والرخوة وجب إدغام النون في تلك الحروف؛ لأن القصد الإخفاء؛ والتقارب داع إلى غاية الإخفاء التي هي الإدغام"(٣).

ويمكن تفسير هذا الإدغام على النحو الآتي:

أ- إدغامها مع حرفي الراء واللام.

ن+ر ---> ر /ر̃ر

أثرت الراء في النون تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها نحو: من راشد؟ > مراشد؟ man|raa|s̃id > mar|raa|s̃id وذلك لأن الراء تتسم بملمح التكرار وهو ملمح قوة يمكن الصوت المتسم به من التأثير في غيره من الأصوات المجاورة. أما النون على الرغم من تميزها

---

١) سيبويه: الكتاب، ص٤٥٣

٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤٤/١٠

٣) الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، ٢٧٢/٣

* : النون المقلوبة، رمز للغنة

بملمح الغنة إلا أنها وقعت ساكنة في نهاية مقطع وهذا الموقع يضفي عليها شيئا من الضعف. في حين أن الراء وقعت متحركة في بداية مقطع فاكتسبت قوة في الموقعية. ويكون إدغامها بغنة وبدون غنة، فبالغنة تبقى النون محافظة على شيء من قوتها، وتحافظ أيضا على مخرجها. أما الإدغام بدون غنة فيتحول مخرج النون إلى مخرج الراء أي تصبح من الفم وليس من الفراغ الأنفي.

ن+ل ---> ل /ّ ل

أثـرت اللام في النون تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها نحو: من له؟ > مله؟ man|la|hu > mal|la|hu. وذلك لأن اللام تتصف بملمحي الاستطالة والتفشي وهما فضلا صوت يمكنان الصوت المتصف بهما من التأثير في غيره من الأصوات المجاورة. ومما زاد في قوة صوت اللام وقوعه متحركا في بداية مقطع. أما النون المتصفة بملمح الغنة فقد وقعت ساكنة في نهاية مقطع مما ألبسها ثوب الضعف، ويجوز أن تدغم بغنة وبغير غنة كما ذكر سابقا.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب- إدغامها مع حرف الميم:

ن + م ---> م

أثرت الميم المتصفة بملمح الغنة في النون المتصفة بالملمح نفسه تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها نحو: من من هذا؟ > ممن هذا؟ min|man|haa| aa > mim|man|haa| aa. وذلك لأن النون وقعت ساكنة في نهاية مقطع في حين أن الميم وقعت متحركة في بداية مقطع. زيادة على أن الميم قاربت النون في المخرج لأنها بغنتها تصير إلى الخياشيم مخرج النون الساكنة.

ويرى ابن عصفور أن النون يجب أن تدغم في الحروف السابقة إذا كانت ساكنة، أما إذا تحركت وبعدها حرف من هذه الحروف فيجوز الإدغام والإظهار وذلك؛ لأن الحكة فصلت بينها وبين ما تدغم فيه(١)،زيادة على أن الإدغام في حالة الحركة يتطلب حذف الحركة وفي هذا جهد لأنك تقوم بتغييرين هما حذف الحركة وتحويل النون إلى جنس ما جاورها. نحو خَتَنَ موسى .xa|ta|nu|muu|saa

ج- إدغامها مع حرفي الواو والياء

ن+و/ي ---> و/ي ---> ّو/ ي

أثـر كـل من الـواو والياء في النـون تأثيـرا رجعيـا فقلبـت إلى جنسـهما نحو: مـن واقـد > مـواقـد man|waa|qid > maw|waa|qid ونحو من يذهب > ميذهب

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٩٧/٢. بتصرف

may|yaʔ|hab < man|yaʔ|hab. وذلك لأن الواو والياء يتسمان بملمحي المد واللين وهما فضل صوت يمكنان الصوت المتصف بهما من التأثير في غيره من الأصوات المتجاورة. وفي هذه الحالة يتحول مخرج النون من الفراغ الأنفي إلى الفم فيزول ملمح الغنة. أما عند الإدغام بغنة فإن التأثير يصبح متبادلا، حيث تؤثر النون – المتسمة بملمح الغنة – في الواو والياء فتكسبها شيئا من الغنة، ويؤثر الواو والياء في النون فتقلب إلى جنسهما. ولكن هذا القلب كما يذكر إبراهيم أنيس ليس قلبا تاما؛ لأن الصوت المقلوب لم يتحول إلى كل صفات الصوت المقلوب إليه(١).

ويذكر أيضا أنه:" إذا ولي النون المشكلة بالسكون ياء أو واو شددت الياء أو الواو، ثم سمح عند النطق بهما أن يتخذ الهواء مجراه من طريقين معا هما الفراغ الأنفي والفم. وهو ما اصطلح المحدثون على تسميته Nazalisation أي التأنيف، وهو أن يشترك الفراغ الأنفي مع مجرى الصوت من الفم. ويمكن أن يسمى مثل هذا الصوت بالصوت الأنفي"(٢).

وفي هذا التشكل نلاحظ أن النون وقعت ساكنة في نهاية مقطع ووقع كل من الواو والياء في بداية مقطع مما أضعف صوت النون وقوى صوتي الواو والياء.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانيا: قلب النون:

ن + ب --> م

تتعرض النون إلى القلب إلى ميم، وذلك إذا وقعت مجاورة لصوت الباء، ويعود السبب في قلبها ميما، وعدم إدغامها في الباء إلى بعد المخرجين من جهة، والتباين في الصفات من جهة أخرى، وقوى عملية القلب هنا أن الباء والميم متحدتان في المخرج، وقد جاز قلب النون إذا جاورت الميم ميما، مما أدى إلى معاملة الباء معاملة الميم. يقول ابن عصفور:"وقلبت الباء ميما، ولم تدغم فيها؛ لأن الباء لا تقارب النون في المخرج كما قاربتها الراء واللام، ولا فيما يشبه الغنة وهو اللين، ولا في الغنة كما قاربتها الميم. فلما تعذر إدغامها في الباء قلبت معها ميما؛ لأن الباء من مخرج الميم فعوملت معاملتها"(٣).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول سيبويه:" وتقلب النون مع الباء ميما لأنها من موضع تعتل فيه النون، فأرادوا أن تدغم هنا إذا كانت الباء من موضع الميم، كما أدغموها فيما قرب من الراء في الموضع، ولم يجعلوا النون باء لبعدها في المخرج، وأنها ليست فيها غنة،

---

١) ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٧٢

٢) ينظر :المرجع نفسه: ص٧١

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٩٨/٢

ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم وذلك قولهم: ممبك، يريدون: من بك، وشمباء وعمبر، يريدون: شنباء وعنبر"([1]).

ويتفق ابن عصفور مع شارح المفصل في قلب النون إلى ميم فيذكر الأخير:" أن تقلب ميما وذلك إذا كانت ساكنة قبل الباء نحو: عمبر وشمباء، وإنما قلبوها ميما هنا لأنه موضع تقلب فيه النون، ومعنى قولنا تقلب فيه، أي تدغم، لأنها تدغم مع الواو والميم اللذين هما من مخرجها، فلما اجتمعت مع الباء، وكانت النون الساكنة بعيدة من الباء في المخرج ومباينة لها في الخواص التي توجب الشركة بينهما، لم يكن سبيل إلى الإدغام، ففروا إلى حرف من مخرج الباء، وهو الميم، فجرى ذلك مجرى الإدغام، وليس في الكلام كلمة فيها ميم قبل الباء فيقع فيه لبس، فأمنوا اللبس"([2]).

ويؤكد ما جاء عند ابن عصفور قول الإستراباذي:" يتعسر الصريح بالنون الساكنة قبل الباء، لأن النون الساكنة يجب إخفاؤها مع غير حروف الحلق، والنون الخفية ليست إلا في الغنة التي معتمدها الأنف فقط، والباء الشفة، ويتعسر اعتمادان متواليان على مخرجي النفس المتباعدين، فطلبت حرف تقلب النون إليها متوسطة بين النون والباء، فوجدت هي الميم؛ لأن فيه الغنة كالنون، وهو شفوي كالباء"([3]).

ويتفق ابن عصفور مع المحدثين في قلب النون إلى ميم إذا جاورت الباء، يقول إبراهيم أنيس:" إذا جاورت النون الباء مجاورة مباشرة لاحظنا أن النون تتأثر بالباء، وتقلب إلى صوت أنفي شبيه بالباء في المخرج، وهذا الصوت هو الميم. أي أن النون تفقد مخرجها ولكن لا تفقد صفتها الأنفية"([4]).

ويذكر عبد الصبور شاهين: ولكن الصوت المتأثر قد يكتسب بعض خصائص الصوت المؤثر على صورة المماثلة الجزئية كما في كلمة(أصدق)... وكذلك في كلمة(عمبر)"([5]).

ويطلق عبد القادر عبد الجليل على مثل هذا التماثل المماثلة المخرجية في مثل انبرى وانبعث([6]).

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤٥٣/٤

٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤٥/١٠

٣) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢١٦/٣

٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٧٣

٥) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٢٠٩

٦) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص٢٨٩

النون بغنتها خرجت من الخياشيم والخيشوم قريب من الطبق فأحرى بهم أن تخفى مع الغين والخاء كما خفيت عند القاف والكاف.

خامسا: إخفاء النون:

بعد أن بين ابن عصفور حكم النون مع حروف الحلق، شرع في الحديث عن حكمهما مع الحروف التي تخفى معهما، وهي الخمسة عشر حرفا المتبقية من حروف الفم وذلك لأنها اشتركت معها في كونها من حروف الفم، بسبب الغنة التي فيها خالطت الخياشيم، واتصلت بجميع حروف الفم وبما أنها أدغمت في بعض حروف الفم، أرادوا أن يغيروها مع الحروف الباقية فعدلوا عن الإدغام للإخفاء؛ لأن الإدغام للأقرب في المخرج والإخفاء للأبعد.([1])؟

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا الحكم يذكر الأخير: "وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه من الخياشيم؛ وذلك أنها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي بالفم، لأنه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختاروا الخفة إذا لم يكن لبس، وكان أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم. وذلك قولك: من كان، ومن قال، ومن جاء،"([2]).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش: "الإخفاء مع سائر الحروف وهي الخمسة عشر حرفا، وإنما أخفيت عندها لأنها تخرج من حرف الأنف الذي يحدث إلى إدخال الفم لا من المنخر، فكان بين النون وحروف الفم اختلاط فلم تقو قوة حروف الفم فتدغم فيها، ولم تبعد بعد حروف الحلق فتظهر معها وإنما كانت متوسطة بين القرب والبعد فتوسط أمرها بين الإظهار والإدغام فأخفيت عندها لذلك"([3]).

أما الإستراباذي فيرى أن خفاء النون يعود إلى سببين:

أحدهما:سكون النون؛ لأن الاعتماد على الحرف الساكن أقل من الاعتماد على الحرف المتحرك.

الآخر: كون حروف الفم لا تحتاج إلى اعتماد قوي وهي بعد النون مباشرة دون فاصل ليجري الاعتمادان على نسق واحد.([4])

---

١) ينظر ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٧٠٠ بتصرف

٢) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٥٤

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/١٤٥

٤) ينظر: الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢٧٢

ويعلل صاحب الرعاية إخفاء النون عند هذه الحروف بقوله:"والعلة في إخفاء النون الساكنة، أن النون قد صار لها مخرجان مخرج لها ومخرج لغنتها، فاتسعت في المخرج، فأحاطت عند اتساعها بحروف الفم فشاركتها بالإحاطة فخفيت عندها"([1]).

ومما يؤخذ على ابن عصفور عدم تعريف الإخفاء، أما مكي بن أبي طالب فقد فرق بينه وبين الإدغام، يقول:" الإخفاء إنما هو أن يخفى الحرف في نفسه لا في غيره. والإدغام إنما هو أن يدغم الحرف في غيره لا في نفسه"([2]).

ويتفق ابن عصفور مع إبراهيم أنيس في إخفاء النون، يذكر الأخير:" الدرجة التي تلي إظهار النون هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالإخفاء، ويكون هذا مع خمسة عشر صوتا عند جمهور القراء هي: القاف، الكاف، الجيم، الشين، السين، الصاد، الزاي، الضاد، الدال، التاء، الطاء، الذال، الثاء، الظاء، الفاء. وليس ما سموه بالإخفاء إلا محاولة الإبقاء على النون وذلك بإطالتها مما أدى إلى ما نسميه بالغنة. هذا إلى أننا نلحظ مع ما يسمونه بالإخفاء ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها"([3]).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويبدو أن الإخفاء هو تنازع بين الغنة ومخرج الصوت المجاور لها، فعند الإخفاء تبقى النون ولكنها تحول مخرجا لا صفة إلى ما جاورها من الأصوات الخمسة عشر، فتبقى محافظة على الملح المميز لها وهو الغنة.

يلاحظ من أحكام النون السابقة الذكر، أن النون لحقها بعض التطور على حد قول إبراهيم أنيس إذ يذكر:" أن النون قد تطورت تطورا كبيرا في لهجات الكلام منذ القرون الإسلامية الأولى، فمالت إلى أن تدغم مع الكثرة الغالبة من الأصوات الساكنة مما جعل القراء يبالغون في الجهر بغنة النون مع أصوات الفم خشية أن تفنى النون فيها"([4]).

٥- الراء:

بعد أن انتهى من ذكر أحكام النون، شرع في الحديث عن حكم الراء في الإدغام. يقول ابن عصفور:" وأما الراء فلا تدغم في شيء، لأن فيها تكريرا؛ ألا ترى أنك إذا نطقت بها تكررت في النطق. فلو أدغمتها فيما يقرب منها - وهو اللام والنون - لأذهب الإدغام ذلك الفضل الذي فيها من التكرير،لأنها تصير إلى جنس ما تدغم فيه، وما تدغم فيه ليس فيه

---

١) مكي بن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات،دار الكتب العربية، ص٢٤١

٢) المرجع نفسه: ص٢٤٣

٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٧١

٤) المرجع السابق، ص٦٩

تكرير"([1]).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في حكم الراء، يذكر الأخير:" والراء لا تدغم في اللام ولا في النون لأنها مكررة، وهي تفشى إذا كان معها غيرها، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يكرر"([2]).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش:" لا تدغم الراء إلا في مثلها ولا تدغم في غيرها لئلا يذهب التكرير الذي فيها بالإدغام، فلو أدغم في غيره مما ليس فيه ذلك التكرير لذهب تكريره بالإدغام"([3]).

وقد ورد هذا الحكم عند الإستراباذي حين ذكر أن:" المانع من إدغام أحد المتقاربين في الآخر اتصاف الأول بصفة ليست في الثاني؛ فلا يدغم الأول في الثاني إبقاء على تلك الصفة"([4]).

غير أن ابن عصفور أورد في باب ما أدغمته القراء على غير قياس أن الراء تدغم في اللام، سواء أكانت الراء متحركة أو ساكنة عند بعض القراء، يقول:" ومن ذلك ما روي عن يعقوب الحضرمي من إدغام الراء في اللام. وكذلك أيضا ما روى أبو بكر عن مجاهد عن أبي عمرو أنه كان يدغم الراء في اللام، متحركة كانت الراء أو ساكنة نحو:"فاغفر لنا"([5]) فإن سكن ما قبل الراء أدغمها في اللام في موضع الرفع والخفض نحو: "حينٌ من الدهرِ لم يكن"([6])، ولا يدغم إذا كانت الراء مفتوحة كقوله:"من مصر لامرأته"([7])، وفصله بين الراء المفتوحة وغيرها إذا سكن ما قبلها دليل على أن ذلك ليس بإدغام"([8]).

وهذا الكلام الذي أورده ابن عصفور عن القراء يمكن أن يقبل إذا كانت الراء ساكنة وذلك لأن هناك تفسيرا صوتيا يمكن أن يبين سبب هذا الإدغام. أما في حالة تحركها وسكون ما قبلها فإن الناطق يجد عسرا ومشقة بل لا يستطيع أن يحقق مثل هذا الإدغام مهما كانت حركة الراء.

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٠١/٢. وينظر أيضا: المقرب، ص٣٦٦

٢) سيبويه: الكتاب، ٤٤٨/٤

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤٣/١٠

٤) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٧٠/٣

٥) آل عمران:١٤٧. و الحشر:١٠

٦) الإنسان: ٥

٧) يوسف: ٢١

٨) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٢٤/٢،٧٢٣

ويبدو أن سيبويه كان أكثر دقة في تناوله لصوت الراء فلم يذكر مثل هذه الأمثلة لأنه كان حريصا على عدم إذهاب الملمح المميز للراء وهو التكرار لأنه فضل صوت وملمح قوة يمكن الصوت المتسم به من التأثير في غيره من الأصوات.

وقد ذكر إبراهيم أنيس إدغام الراء الساكنة في اللام في القرآن الكريم، يقول:" لا تدغم الراء في الأمثلة القرآنية إلا في اللام مثل قوله تعالى:"قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"(١) والذي يبرر هذا الإدغام قرب المخرج مع اتحاد في الصفة بين الشدة والرخاوة... وكل الذي يتطلبه إدغام الراء في اللام هو ترك التكرار المختصة به الراء"(٢).

ويبدو أن هناك خلافا بين النحويين والقراء في جواز إدغام الراء في اللام، ولكن هذا الإدغام – في الأعم الأغلب– لا يقاس عليه، لأنه يفقد الراء فضل الصوت الذي يميزها عن غيرها وهو التكرير، والأصوات ذات الملمح الواحد يمتنع إدغامها في غيرها حفاظا على ملمحها المميز، فعد الإدغام في مثل هذا التقارب أفضل ليحتفظ كل صوت بهويته المميزة له.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

ويمكن تفسير هذا الإدغام على النحو الآتي:

ر + ل ---> لّ

أثرت اللام الجانبية في الراء التكرارية تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها وذلك لأن اللام أسهل من الراء، ومما زاد في ثقل الراء أنها قاربت اللام في المخرج. فالتكرار كأنه صوتان فعندما قاربت اللام فكأن الناطق يريد أن ينطق ثلاثة حروف متشابهة مرة واحدة. زيادة على أن الراء زادت ثقلا لأنها حركت بالضمة أو بالكسرة فتحركت بحركة ثقيلة، وإذا سكنت الراء ضعفت نحو: "يغفرْ لكم" <(يغفّلكم)، فسكنت الراء ووضعت في نهاية مقطع فضعفت بالموقعية.

yaɣ|fil|la|kum < yaɣ|fir|la|kum

د. حكم الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا:

بعد أن انتهى ابن عصفور من بيان أحكام الإدغام في الأصوات المتوسطة، شرع في الحديث عن أحكام الإدغام في مجموعة صوتية أخرى هي: التاء، والطاء، والدال، والثاء، والذال، والظاء، وهذه المجموعة تتفق مع بعضها إما في المخرج أو في الصفة أو كليهما. أما من حيث المخرج فهي عند القدماء من مخرج طرف اللسان والثنايا. ولكن عند المحدثين تقع ضمن مخرجين: الأول: وهو الأسناني Dental وتخرج منه أصوات الذال، والثاء، والظاء. والآخر: الأسناني اللثوي Denti_Alveolar وتخرج منه أصوات الدال، والتاء، والطاء.

---

١) آل عمران:٣١

٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١٩٩

يذكر ابن عصفور أن أصوات هذه المجموعة تدغم في بعضها، وتدغم في ستة أصوات أخرى، يقول:" الطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء. كل واحد منهن يدغم في الخمسة الباقية وتدغم الخمسة الباقية فيه. وتدغم أيضا هذه الستة في الضاد والجيم والشين والصاد والزاي والسين"(١).

وقد مر الحديث عن إدغامها في الضاد والجيم والشين في ذكر حروف الفم في الإدغام. أما إدغامها مع بعضها ومع الصفيريات فهو موضع الدراسة الآتية.

١- الطاء مع الدال:

لم يذكر ابن عصفور مثالا يوضح مثل هذا الإدغام ولكنه قال:" إذا أدغما – يعني الطاء والظاء – في غير مطبق، مثل أن يدغما في الدال والتاء، فالأفصح أن لا يقلبا إلى جنس ما يدغمان فيه، بل يبقى الإطباق، وبعض العرب يذهب الإطباق"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام الطاء في الدال يقول الأخير:" الطاء مع الدال كقولك: اضْبَدَّلما لأنهما معا من موضع واحد وهي مثلها في الشدة إلا أنك قد تدع الإطباق على حاله فلا تُذْهِبه، لأن الدال ليس فيها إطباق، فإنما تغلب على الطاء لأنها من موضعها، ولأنها حصرت الصوت من موضعها كما حصرته الدال. فأما الإطباق فليست منه في شيء، والمُطْبَق أفشى في السمع، ورأوا إجحافا أن تغلب الدال على الإطباق وليست كالطاء في السمع"(٣).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش:" فحكم الدال مع الطاء أن يدغم كل واحدة منهما في صاحبتها؛ لأنهما من معدن واحد وهما مجهورتان شديدتان، وإنما جاز إدغام الطاء في الدال مع الإطباق الذي في الطاء لأنه يمكن إذهابه وتبقيته، فلما كان المتكلم مخيرا فيه لم يمتنع عن الإدغام وذلك اضبطْ دلما بإدغام الطاء في الدال مع ترك الإطباق على حاله فلا يذهبه لأن الدال ليست فيها إطباق"(٤).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في إدغام حروف الإطباق فيما لا إطباق فيه يقول الأخير:" فإذا أدغمت حروف الإطباق فيما لا إطباق فيه فالأفصح إبقاء الإطباق لئلا تذهب فضيلة الحرف، وبعض العرب يذهب الإطباق بالكلية"(٥).

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٧٠١، والمقرب، ص٣٦٦

٢) المرجع السابق، ص٧٠٦

٣) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٦٠

٤) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/١٤٦

٥) الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢٨١

أ- ط + د --> طّ / دّ

أثرت الطاء في الدال تأثيرا تقدميا فحولتها إلى جنسها، وذلك لأن الطاء تتسم بملمحي الإطباق والانفجار ولا تتسم بالجهر كما نعتها القدماء. نحو اضبط دلامة > اضبطلامة ʔiḍ|bit|du|laa|mah > ʔiḍ|bit|ṭu|laa|mah. والإدغام هنا ليس على الأصل وذلك لأن الصوت الثاني تحول إلى جنس الصوت الأول خشية ذهاب الإطباق وهو فضل صوت.

ب- أثر صوت الدال المتسم بالجهر والشدة في صوت الطاء تأثيرا رجعيا فحوله إلى جنسه وذلك نحو: اضبط دلامة > اضْبِدّلامة. ʔiḍ|bit|du|laa|mah > ʔiḍ|bid|du|laa|mah وقد ضعفت الطاء لأنها وقعت ساكنة في نهاية مقطع في حين وقعت الدال متحركة في بداية مقطع. ويلاحظ في مثل هذا الإدغام أن إطباق الطاء قد ذهب وهو فضل صوت. والأفضل عدم إذهابه.

د + ط --> طّ

أثرت الطاء المتسمة بملمحي الإطباق والانفجار في الدال المتسمة بالجهر والانفجار تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها نحو: انقدْ طالبا > انقطّالبا ʔun| qud|ṭaa|li|ban > ʔun|qud|ṭaa|li|ban وذلك لأن الإطباق أبدى في السمع من غير المطبق، إضافة إلى أن الدال وقعت ساكنة في نهاية مقطع مما زاد في ضعفها، وتحصنت الطاء بقوة موقعية لأنها وقعت متحركة في بداية مقطع. يقول ابن عصفور: " إذا أدغمت التاء والدال والثاء والذال في شيء مما تقدم أنهن يدغمن فيه قلبت إلى جنسه"(١).

ويذكر سيبويه:" وتصير الدال مع الطاء طاء، وذلك انقطّالبا"(٢).

ط + ت --> تّ

أثرت التاء في الطاء تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها. وهنا يلاحظ أن الأضعف أثر في الأقوى لأن التاء أضعف من الطاء. والتاء هي المقابل المرقق للطاء. فلا فرق بينهما سوى التفخيم والترقيق. ومثل هذا الإدغام – في الأعم الأغلب – لا يقاس عليه وذلك لأن الإطباق قد فضل صوت زيادة على أن الصوت المفخم قادر على التأثير في غيره من الأصوات المجاورة، ومن أمثلة هذا الإدغام: حُطْتَهم ḥaṭ|ta|hum تصير إلى ḥuṭ|ṭuhum ويلاحظ أن الطاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع وقد ضعفت لذلك. في حين وقعت التاء متحركة في بداية مقطع مما زادها قوة. وفي مثل هذا التشكل تحولت الطاء إلى مقابلها المرقق أي أنها فقدت ملمح التفخيم. ويذكر

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٧٠٥

٢) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٦٠

ابن عصفور أن:" إذهاب الإطباق من الطاء مع الدال، لأنهما قد اجتمعا في الشدة، أحسن من إذهابه مع التاء لأنهما مهموسة"(١).

ويذكر سيبويه:" ومما أخلصت فيه الطاء تاء سماعا من العرب قولهم: حتهم، يريدون حُطْتَهم"(٢).

ويبدو أن مثل هذا الإدغام لم يكن واسع الانتشار في البيئات العربية وذلك لأن الذوق العربي لا يتقبله، إضافة إلى قلة الأمثلة الواردة على هذا الإدغام.

ت + ط --> طّ

لقد ورد عند ابن عصفور أن التاء إذا أدغمت في الطاء تحولت إلى جنسها(٣).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام التاء في الطاء يقول الأخير:" وتصير الدال مع الطاء طاء، وذلك: انقطّالبا، وكذلك التاء وهو قولك: انعطّالبا، لأنك لا تجحف بها في الإطباق ولا في غيره"(٤).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش:" وتدغم الدال في الطاء فتصير طاء مع الطاء نحو: أبعدْ طالبا. وكذلك التاء نحو: انعتْ طالبا، لأنك لا تجحف بهما في الإطباق ولا في غيره إلا أن إدغام التاء في الطاء أحسن لأنها مهموسة والطاء مجهورة – على وصف القدماء – "(٥).

ويمكن تفسير مثل هذا الإدغام على النحو الآتي:

أثر صوت الطاء المفخم في صوت التاء المرقق تأثيرا رجعيا فحوله إلى جنسه. أي أنه حوله إلى مقابله المفخم، والمقابل المفخم لصوت التاء هو صوت الطاء. وذلك من أجل تحقيق مماثلة صوتية بين الصوتين المتجاورين في ملمح التفخيم. وليس في ملمح الجهر كما ذهب القدماء. إذ لا فرق بين التاء والطاء إلا في الإطباق. والمطبق أفشى في السمع على حد قول سيبويه(٦).

زيادة على أن التاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع نحو: انعت طالبا ʔin|cat|ṭaa|li|ban فتصير بالإدغام انعطالبا ʔin|caṭ|ṭaa|li|ban

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٠٦/٢

٢) سيبويه: الكتاب، ٤٦٠/٤

٣) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٠٥/٢

٤) سيبويه: الكتاب، ٤٦٠/٤

٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤٦/١٠

٦) سيبويه: الكتاب، ٤٦٠/٤

٢- التاء مع الدال:

كل واحدة منهما تدغم في صاحبتها لأنهما من الحروف الستة التي ذكرها ابن عصفور ولكنه لم يمثل لهما.

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام هذين الصوتين في بعضهما يقول الأخير:"التاء والدال سواء، كل واحد منهما تدغم في صاحبتها حتى تصير التاء دالا والدال تاء، لأنهما من موضع واحد وهما شديدتان، وليس بينهما شيء إلا الجهر والهمس، وذلك قولك: انعدلاما، وانقتلك فتدغم. ولو بينت فقلت: انقد تلك وانعت دلاما لجاز"(١).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش:" والتاء مع الدال يدغم كل واحدة منهما في صاحبتها إلا أن إدغام التاء في الدال أمثل لأن الدال مجهورة فنقول: انعتّ دلامة بالإدغام"(٢).

ويمكن تفسير مثل هذا الإدغام على النحو الآتي:

ت + د ---> دّ

جميع الحقوق محفوظة

تأثر صوت التاء المهموس بصوت الدال المجهور تأثرا رجعيا فحوله إلى جنسه، أو نقول حوله إلى مقابله المجهور، والمقابل المجهور للتاء هو صوت الدال، وذلك لأن الجهر أقوى من الهمس وهو ملمح قوة يمكن الصوت المتصف به من التأثير في غيره من الأصوات. يقول محمد جواد النوري:" فتتحقق بهذه العملية مماثلة صوتية بين الصوتين المتجاورين في ملمحي الجهر والمخرج"(٣). إضافة إلى أن صوت التاء وقع ساكنا في نهاية مقطع. فعمل على إضعافها، في حين وقع صوت الدال متحركا في بداية مقطع فقوى بالحركة وبالموقع. نحو: انعت دلامة > انعدّلامة ʔin|cad|du|laa|mah <ʔin|cat|du|laa|mah:

د + ت ---> تّ

في مثل هذا التشكل نلاحظ أن التاء المهموسة أثرت في الدال المجهورة فحولتها إلى جنسها وهنا أثر الأضعف في الأقوى، وهو على غير القياس. ويبدو أن وقوع الدال ساكنة في نهاية مقطع سبب في هذا الإدغام، لأن السكون يجعل الصوت الملامس له ضعيفا نحو: انقد تلك فتصير بالإدغام: انقتّلك. ʔun|qut|til|ka <ʔun|qud|til|ka

---

١) سيبويه: الكتاب، ص٤٦١

٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤٦/١٠

٣) محمد جواد النوري: من العوامل الصوتية في تشكل البنية العربية، ص٦

الظاء والذال والثاء:

لم يفصل ابن عصفور القول في إدغام هذه الأصوات مع بعضها ولا مع الثلاثة السابقة، وإنما أصدر كلاما مجملا حول بيان هذه الحروف وإدغامها يقول: "إن تبيين الطاء والدال والتاء إذا وقعت قبل الظاء والذال والثاء، أو وقعت الظاء والذال والثاء قبلها، أحسن من تبيين الطاء والدال والتاء إذا وقع بعضها قبل بعض، لأن الظاء وأختيها بعضها أقرب إلى بعض منها إلى الطاء وأختيها، وكذلك الطاء وأختاها بعضها أقرب إلى بعض منها إلى الظاء وأختيها"(١).

أما سيبويه فقد فصل القول في إدغام هذه الحروف في بعضها وفي الثلاثة السابقة – أعني الطاء والدال والتاء – وضرب أمثلة على ذلك. يقول: "وقصة الظاء والذال والثاء كذلك أيضا، وهي مع الذال كالطاء مع الدال لأنها مجهورة مثلها وليس يفرق بينهما إلا الإطباق، وهي مع الثاء بمنزلة الطاء مع التاء وذلك قولك: احفذلك فتدغم، وتدع الإطباق وإن شئت أذهبته. وتقول: احفثابتا وإن شئت أذهبت الإطباق، وإذهابه مع الثاء كإذهابه من الطاء مع التاء"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في إدغام هذه الحروف في بعضها والطاء في أختيها إلا أن ابن يعيش وضح مثل هذا الإدغام يقول: "وأما الظاء والذال والثاء فكذلك يدغم بعضهن في بعض فهي مع الذال كالظاء مع الدال لأنها مجهورة مثلها وليس بينهما إلا الإطباق فتقول: احفظ ذلك وخذ ظالما ويحسن إذهاب الإطباق لتكافئهما في الجهر، والثاء مع الظاء كالطاء مع التاء، تدغم كل واحدة في صاحبتها إلا أن إدغام الثاء في الظاء أحسن فتقول: ابعث ظالما وأيقظ ثابتا بالإدغام، وابعث ذلك، فالثاء والذال منزلة كل واحدة من صاحبتها منزلة الدال من التاء"(٣).

ويمكن تفسير مثل هذا الإدغام على النحو الآتي:

ظ + ذ ---> ذ/ظ ذ

تأثرت الظاء المطبقة في مقابلها المرقق وهو صوت الذال تأثرا رجعيا فحولها إلى مثله. وأدغمت فيه، ولكن هذا الإدغام ليس على الأصل؛ لأن الأضعف أثر في الأقوى، والإدغام يحول الصوت المدغم إلى جنس ما يدغم فيه فزال الإطباق من الظاء وهو فضل صوت، غير أن قرب المخرج والاتفاق في صفة الجهر جوز مثل هذا الإدغام، إضافة إلى أن الظاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع فضعفت بالموقع، في حين وقعت الذال متحركة في بداية مقطع فقويت.

نحو: احفظ ذلك > احفذلك

ʔiḥ|fa|ðaa|li|ka > ʔiḥ|fa|ðaa|li|ka

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٠٤/٢

٢) سيبويه: الكتاب، ٤٦٢/٤

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤٦/١٠

ذ + ظ --> ظ

أثر صوت الظاء المتسم بملمح الإطباق في صوت الذال المتسم بملمح الترقيق تأثيرا رجعيا، فحوله إلى جنسه، وذلك لأن الظاء يتسم بملمح قوة وهو التفخيم(الإطباق) الذي يمكن الصوت المتسم به من التأثير في غيره من الأصوات، إضافة إلى أن الظاء زادت قوته بالموقع حيث وقع متحركا في بداية مقطع، في حين وقع صوت الذال ساكنا في نهاية مقطع مما زاد في ضعفه نحو: خذ ظالما > خظالما xuðˤ|ðˤaa|li|man < xuðˤ|ðaa|li|man.

وقد أدى هذا الإدغام إلى تماثل الصوتين المتجاورين في الصفة والمخرج.

ث + ظ --> ظّ/ث ظ، ظ + ث --> ثّ/ظ ث

أثرت الظاء المتسمة بملمح الجهر والتفخيم في صوت الثاء المجاور لها تأثيرا رجعيا فحولته إلى جنسها، وذلك لأن الظاء أقوى من الثاء. وهذا على أصل الإدغام أن يؤثر الأقوى في الأضعف، والثاء صوت ضعيف مهموس، يقول مكي بن أبي طالب:" والقوي من الحروف إذا تقدمه الضعيف مجاورا له جذبه إلى نفسه وإن كان من مخرجه، ليعمل اللسان عملا واحدا في القوة من جهة واحدة"(١). مكتبة الجامعة الاردنية

إضافة إلى أن الثاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع مما زاد من ضعفها. ووقعت الظاء متحركة في بداية مقطع مما زاد من قوتها نحو: ابعث ظالما > ابعظالما

ʔib|caθˤ|ðˤaa|li|man <ʔib|caθ|ðˤaa|li|nam. فتحقق بهذه العملية مماثلة صوتية بين الصوتين المتجاورين في الصفة والمخرج.

ويجوز أن تقلب الظاء إلى جنس الثاء، ولكن في هذا القلب شيء من الإجحاف لأنه يذهب إطباق الظاء وهو فضل صوت، زيادة على أن الأضعف يؤثر في الأقوى. ويبدو أن مثل هذا الإدغام – في الأعم الأغلب – قليل غير منتشر، ولا يتماشى مع ذوق الناطق العربي. غير أن وقوع الظاء ساكنة في نهاية مقطع يبدو أنه سبب في مثل هذا الإدغام نحو: احفظ ثابتا > احفثابتا ʔih|faθˤ|θaa|bi|tan <ʔih|faðˤ|θaa|bi|tan. ويذهب ابن عصفور إلى أن إذهاب الإطباق هنا أسوأ من إذهابه من الطاء مع الدال(٢).

ث + ذ --> ذّ، ذ + ث --> ثّ

يؤثر كل منهما في الآخر، فيحوله إلى جنسه وذلك لأنهما من حروف الفم وهي أصل الإدغام، غير أن إدغام الثاء في الذال أفضل لأن الذال مجهورة والثاء مهموسة، والمجهور أقوى من المهموس نحو: ابعث ذلك > ابعذلك ʔib|caθ|ðˤaaa|li|ka <ʔib|caθ|ðˤaa|li|ka.

---

١) مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص١٨٠

٢) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٠٦/٢

والتاء هنا قويت بالشدة وضعفت بالهمس والموقعية حيث وقعت ساكنة في نهاية مقطع. أما الصاد فهو حرف قوي على حد قول مكي بن أبي طالب:" الصاد حرف قوي، لأنه حرف مطبق، مستعل، فيه صفير"(١).

ومما زاد في قوة الصاد وقوعها متحركة في بداية مقطع. وقد عزا ابن عصفور هذا الإدغام إلى قرب المخرجين.

ت + س --> سّ / ت س

أثرت السين المتسمة بملمح الصفير في التاء الساكنة المتسمة بملمح الانفجار تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها، نحو ذهبتْ سلمى > ذهبّسلمى ?a|ha|bat|sal|maa> ?a|ha|bas|sal|maa . وقد ضعفت التاء هنا لأنها وقعت ساكنة في نهاية مقطع، في حين قويت السين لأنها وقعت متحركة في بداية مقطع.

ت + ز --> زّ / ت ز

أثر صوت الزاي المتسم بملمحي الجهر والصفير في صوت التاء المتسم بملمح الانفجار تأثيرا رجعيا فحوله إلى جنسه نحو: انعتْ زاهرا > انزّاهرا ?in|cat|zaa|hi|ran > ?in|caz|zaa|hi|ran

وقد ضعفت التاء لأنها وقعت ساكنة في نهاية مقطع.

ط + ص،س،ز --> صّ /ط ص، سّ /ط س، زّ /ط ز

أثرت أصوات الصفير في صوت الطاء المجاور لها، فحولته إلى جنس مجاوره وذلك لأن أصوات الصفير لا تدغم في غيرها. نحو:

اضبطْ صابرا > اضبّصابرا ʔid|bit|saa|bi|ran <ʔid|biṣ|saa|bi|ran

اضبطْ سلمى > اضبّسلمى ʔid|bit|sal|maa <ʔid|bis|sal|maa

اضبطْ زاهرا > اضبزّاهرا ʔid|bit|zaa|hi|ran <ʔid|biz|zaa|hi|ran

ففي المثال الأول أثرت الصاد المتسمة بملمحي الإطباق والصفير تأثيرا رجعيا في صوت الطاء المتسم بملمحي الإطباق والانفجار. وذلك لأن الطاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع.

أما في المثال الثاني: فقد أثر صوت السين المتصف بملمح الصفير في صوت الطاء المجاور له المتسم بملمحي الإطباق والانفجار تأثيرا رجعيا. وهنا اثر الأضعف في الأقوى، ويلاحظ هنا أن التأثير متبادل حيث أثرت الطاء المطبقة في السين تأثيرا تقدميا فأشربتها شيئا من الإطباق. ويجوز في مثل هذا الإدغام زوال الإطباق برمته على حد قول ابن عصفور:

---

١) مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص١٨٩

"وبعض العرب يذهب الإطباق"(١).

ومما ساعد على مثل هذا الإدغام وقوع الطاء ساكنة في نهاية مقطع مما أضعفها. ووقعت السين متحركة في بداية مقطع مما زاد من قوتها.

أما في المثال الأخير فقد أثرت الزاي المتسمة بملمحي الصفير والجهر في صوت الطاء الساكنة فحولتها إلى جنسها، وذلك لأن الطاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع مما زاد في ضعفها، ووقعت الزاي متحركة في بداية مقطع مما زاد في قوتها.

د + ص،س،ز --> صّ /د ص، سّ /د س، زّ /د ز

أثرت أصوات الصاد والسين والزاي المتسمة بالصفير في صوت الدال المتسم بملمحي الانفجار والشدة تأثيرا رجعيا فحول صوت الدال إلى جنس مجاوره الصفيري على النحو الآتي:

انقُدْ صابرا > انقُصّابراً ʔun|qud|ṣaa|bi|ran < ʔun|quṣ|ṣaa|bi|ran ʔ

قَدْ سمعت > قَسّمعت qad|sa|mic|tu < qas|sa|mic|tu

انقُدْ زاهرا > انقُزّاهرا ʔun|qud|zaa|hi|ran < ʔun|quz|zaa|hi|ran ʔ

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وذلك لأن حروف الصفير لا تدغم في غيرها لأنها أقوى في السمع ووقعت متحركة في بداية مقطع، في حين وقعت الدال ساكنة في نهاية مقطع.

ظ + ص،س،ز --> ص /ظ ص، س /ظ س، ز /ظ ز

أثرت أصوات الصفير السابقة في صوت الظاء المجاور لها تأثيرا رجعيا، فحول صوت الظاء المتصف بملمحي الجهر والإطباق إلى صوت صفيري من جنس مجاوره نحو:

احفظْ صَابرا > احفصّابرا ʔih|faṣ|ṣaa|bi|ran <ʔih|faẓ|ṣaa|bi|ran ʔ

احفظْ سَلمى > احفَسّلمى ʔ ih|fas|sal|maa <ʔ ih|faẓ|sal|maa

احفظْ زَاهرا > احفزّاهرا ʔih|faz|zaa|hi|ran <ʔih|faẓ|zaa|hi|ran ʔ

وذلك لأن حروف الصفير أقوى من حروف الإطباق، ولأن الصفيري لا يدغم في غيره، زيادة على أن الظاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع مما زاد في ضعفها. في حين وقعت حروف الصفير متحركة في بداية مقطع مما زاد في قوتها.إضافة إلى أن صوت الصاد يتسم بملمح آخر هو الإطباق، والزاي يتسم بالإضافة إلى الصفير بالجهر. ويلاحظ أن الظاء المطبق أثر في صوتي السين والزاي تأثيرا تقدميا حيث أشربهما شيئا من الإطباق.

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٠٦/٢

ذ + ص،س،ز --> صّ /ذ ص، سّ /ذ س، زّ /ذ ز

أثرت أصوات الصفير في صوت الذال المجاور لها تأثيرا رجعيا، فحول إلى صوت صفيري مماثل لمجاوره على النحو الآتي:

خُذْ صَابرا > خُصَّابرا xuð|saa|bi|ran > xuṣ|ṣaa|bi|ran
خُذْ سَلمى > خُسَّلمى xuð|sal|maa > xus|sal|maa
خُذْ زَاهرا > خُزَّاهرا xuð|zaa|hi|ran > xuz|zaa|hi|ran

وذلك لأن حروف الصفير لا تدغم في غيرها، وهي أقوى من الذال المتسم بالجهر فقط في حين أن صوت الصاد يتسم إضافة إلى ملمح الصفير بملمح الإطباق، وصوت الزاي يتسم بالجهر أيضا، ومما زاد في قوة الصفيريات السابقة وقوعها متحركة في بداية مقطع في حين ضعفت الذال لأنها وقعت ساكنة في نهاية مقطع.

مركز إيداع الرسائل الجامعية
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

ث + ص،س،ز --> صّ /ث ص، سّ /ث س، زّ /ث ز

أثرت أصوات الصفير السابقة في صوت الثاء المجاور لها تأثيرا رجعيا، فحول صوت الثاء المتصف بالضعف لهمسه إلى صوت من جنس مجاوره، وذلك لأن هذه الأصوات أقوى من صوت الثاء لما تتصف به من ملامح قوة. إضافة إلى أن أصوات الصفير وقعت متحركة في بداية مقطع، في حين وقعت الثاء ساكنة في نهاية مقطع نحو:

ابعثْ صَابرا > ابعَّابرا ʔib|caθ|saa|bi|ran > ʔib|cas|saa|bi|ran
ابعثْ سَلمى > ابعَّلمى ʔib|caθ|sal|maa > ʔ ib|cas|sal|maa
ابعثْ زَاهرا > ابعزَّاهرا ʔib|caθ|zaa|hi|ran > ʔib|caz|zaa|hi|ran

ويذهب ابن عصفور إلى أن إدغام الظاء وأختيها والطاء وأختيها في الصفيريات يجوز فيه الإظهار، وذلك لاختلاف المخرجين. يقول: "وتبيانها قبل حروف الصفير أحسن من تبيين بعضها قبل بعض؛ لأن بعضها أقرب إلى بعض في المخرج من حروف الصفير"(١).

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٧٠٤

هـ . حكم الصفيريات في الإدغام:

يذكر ابن عصفور أن حروف الصفير وهي – الصاد والسين والزاي – تدغم في بعضها. يقول:" الصاد والسين والزاي: كل واحدة منهن تدغم في الأخرى لتقاربهن في المخرج واجتماعهن في الصفير، فإذا قلبت الأول منهما إلى جنس الثاني قلبته إلى مقاربه في المخرج وصفيري مثله، فلم يكن في الإدغام إخلال به، وسواء كان الأول متحركا أم ساكنا، إذ إن الإدغام إذا كان الأول ساكنا أحسن منه إذا كان متحركا"(١).

ويذهب سيبويه إلى أن إدغام حروف الصفير بعضها في بعض أكثر من إدغام الظاء وأختيها بعضها في بعض. لانحراف اللسان إلى طرف الثنايا. ولأن أصل الإدغام في حروف اللسان والفم(٢).

ثم شرع ابن عصفور في بيان أحكام هذه الصفيريات في إدغامها مع بعضها على النحو الآتي:

١- الصاد مع السين والزاي

يرى ابن عصفور أن الصاد إذا أدغمت في السين والزاي تحول إلى جنس ما تدغم فيه. يقول: "وإذا أدغمت الصاد في الزاي أو في السين قلبتها حرفا من جنس ما أدغمتها فيه، إلا أنك تبقي الإطباق الذي في الصاد محافظا عليه. وقد يجوز ترك الإطباق، حملا على الأصل في الإدغام، وإذهاب الإطباق منها مع السين أحسن من إذهابه مع الزاي، لأن السين تشاركها بالهمس، ولا تخالفها الصاد بأكثر من الإطباق"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام الصاد في أختيها الزاي والسين. يقول الأخير: "وقصة الصاد مع الزاي والسين، كقصة الطاء والدال والتاء. وهي من السين كالطاء من الدال، لأنها مهموسة مثلها، وليس يفرق بينهما إلا الإطباق، وهي من الزاي كالطاء من التاء، لأن الزاي غير مهموسة، وذلك قولك: افحسالما فتصير سينا وتدع الإطباق على حاله. وإن شئت أذهبته. وتقول: افحزردة. وإن شئت أذهبت الإطباق. وإذهابه مع السن أمثل قليلا لأنها مهموسة مثلها. وكله عربي"(٤).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش: "وإذا أدغمت الصاد فيها الزاي والسين فتصير مع الزاي زايا، ومع السين سينا، وتدع الإطباق على حاله، وإن شئت أذهبته

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٧٠٧،٧٠٦. والمقرب: ص٣٦٧،٣٦٦

٢) ينظر: سيبويه:الكتاب، ٤/٤٦٢

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٧٠٨،٧٠٧

٤) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٦١

وإذهابه مع السين أمثل قليلا لأنها مهموسة مثلها"(١).

ويمكن تفسير هذا التشكل للبنية على النحو الآتي:

ص + س/ز --> س/ز. صفيري مطبق + صفيري مرقق --> صفيري مرقق

أثر كل من صوت السين المتصف بالصفير والهمس وصوت الزاي المتسم بملمحي الصفير والجهر في صوت الصاد المتسم بملمحي الصفير والإطباق تأثيرا رجعيا فحول صوت الصاد إلى جنس مجاوره، أي صار مع السين سينا ومع الزاي زايا نحو:

افحصْ سالما > افحَسّالما ʔif|ḥas|saa|li|man > ʔif|ḥaṣ|saa|li|man

افحصْ زردة > افحزّردة ʔif|ḥaṣ|za| ra|dah > ʔif|ḥaz|za|ra|dah.

وذلك لأن صوت الصاد وقع ساكنا في نهاية مقطع، في حين وقع صوتا السين والزاي متحركين في بداية مقطع. ويلاحظ في مثل هذا الإدغام أن صوت الصاد أثر في الصوتين المجاورين تأثيرا تقدميا، حيث اكتسبا شيئا من إطباق الصاد، فأصبح صوت السين ينطق صوتا بين التفخيم والترقيق، أي بين صوت الصاد والسين وذلك في حال إدغامه مع السين، في حين يصبح الصوت الناتج من إدغام الصاد في الزاي صوت زاي مفخما. في حين ذهب القدماء إلى جواز إذهاب الإطباق، وذلك لأن الصوت المدغم فيه. ويبدو أن في قول القدماء إجحافا؛ وذلك لأن الإطباق صفة قوة تمكن الصوت المتصف بها من التأثير في غيره من الأصوات المجاورة. يقول جواد النوري: "يعد ملمح التفخيم في الصوت صفة قوة فيه تميزه على غيره من ا صوات غير المفخمة، وعلى هذا فإن يوسع الأصوات المفخمة أن تمد نفوذها إلى ما يسبقها ويتبعها من أصوات"(٢).

والناطق العربي لا يستطيع إلا أن يبقي الإطباق في مثل هذا التجاور. أو شيئا منه.

٢- الزاي والسين مع الصاد.

تدغم الزاي والسين في الصاد. يقول ابن عصفور: "إذا أدغمتهما في الصاد قلبتهما صادين البتة؛ لأنه ليس في ذلك إخلال بهما"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام الزاي والسين في الصاد يقول الأخير: "ويصيران مع الصاد صادا ... وذلك قولك: احبصّابرا، وأوجصّابرا "(٤).

---

١) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/١٤٦

٢) A.F.L Beeston ، The Arabic Language to day ،P. 19

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٧٠٨

٤) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٦١، ٤٦٢

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش: "الزاي والصاد تدغم كل واحدة منهما في صاحبتها ويحسن؛ لأن إحداهما للجهر والأخرى للإطباق"(١)

ويلاحظ أن ابن يعيش لم يذكر إدغام السين في الصاد.

ويمكن تفسير مثل هذا التشكل للبنية على النحو الآتي:

ز+ص--> صّ. صفيري مجهور + صفيري مطبق --> صفيري مطبق.

أثر صوت الصاد المتسم بملمحي الإطباق والصفير في صوت الزاي المتصف بملمحي الجهر والصفير تأثيرا رجعيا فحوله إلى جنسه نحو:

أوجزْ صَابراً > أوجِصّابراً ʔaw|ʤiz|ṣaa|bi|ran > ʔaw|ʤiṣ|ṣaa|bi|ran

وذلك لأن صوت الزاي وقع ساكنا في نهاية مقطع. في حين وقع صوت الصاد متحركا في بداية مقطع. فضعف الأول بالسكون والموقع، وقوي الآخر بالحركة والموقع. فضلا على أن الصوت المطبق أقوى من الصوت المجهور وذلك لأن الصوت المجهور لا يمتد تأثيره إلى ما يسبقه ويتبعه من الأصوات. أما المطبق فيمتد نفوذه إلى ما يسبقه ويتبعه من الأصوات. يقول محمد جواد النوري: " إنه في حالة وجود صوت ساكن مفخم في داخل مقطع، فإن كل المقطع يفخم، بل ربما يمتد نفوذ الصوت المفخم إلى المقاطع المجاورة"(٢).

س+ص--> صّ. صفيري مهموس+صفيري مطبق --> صفيري مفخم مضعف.

أثر صوت الصاد المتسم بملمحي الصفير والتفخيم في صوت السين المجاور له تأثيرا رجعيا فحوله إلى جنسه نحو:

احبسْ صَابراً > احبِصّابراً ʔih|bis|ṣaa|bi|ran > ʔih|biṣ|ṣaa|bi|ran. وذلك لأن صوت الصاد أقوى من صوت السين بالتفخيم. فضلا على أن صوت السين وقع ساكنا في نهاية مقطع، في حين وقع صوت الصاد متحركا في بداية مقطع. فضعف الأول وقوي الآخر.

٣- الزاي والسين

تدغم كل واحدة في أختها وذلك لأن الصفيريات تدغم في بعضها. يقول ابن عصفور: "إذا أدغمت السين في الزاي، والزاي في السين قلبت كل واحدة منهما إلى جنس ما يدغم فيه البتة، لأنه ليس في ذلك إخلالا"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إدغام السين في الزاي والزاي في السين يقول

---

١) ابن يعيش: شرح المفصل ١٤٦/١٠

٢) Salman Al-Ani :Arabic phonology, P.30

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٠٨/٢

الأخير:"والزاي والسين بمنزلة التاء والدال نقول: احبزّردة، ورسّلمة فتدغم"(١).

وممـــا يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش:" والزاي مع السين تدغم كل واحدة فـــي صـــاحبتها إلا أن إدغـــام السين في الزاي أحسن فنقول: احبس زردة ورزسلمة لأنهما من الحروف المتكافئة في المنزلة"(٢).

س+ز--> زّ. صفيري مهموس+صفيري مجهور--> صفيري مجهور مضعف

إذا وردت السين والزاي متجاورتين في كلمتين وكانت السين أولا فإن صوت الزاي يؤثر في صوت السين تأثيرا رجعيا فيحوله إلى جنسه نحو:

احبس زردة > احبزردة ʔih|bis|za|ra|dah <ʔih|biz|za|ra|dah.

وذلـــك لأن صـــوت الـــزاي يَفْضُـــلُ صوت السين في ملمح الجهر وهو ملمح قوة يمكن الصوت المتصف به من التأثير في غيره من الأصوات المجاورة. فضلا على أن صوت الزاي وقع متحركا في بداية مقطع مما زاد في قوته، في حين وقع صوت السين ساكنا في نهاية مقطع ممـــا زاد في ضعفه. وهنا تحول صوت السين إلى مقابله المجهور. والمقابل المجهور لصوت السين هو صوت الزاي وقد تحقق عن هذا التحول تماثل الصوتين المتجاورين في صفة الجهر.

ز+س--> سّ. مجهور صفيري+مهموس صفيري--> مهموس صفيري مضعف

أثر صوت السين المتسم بملمح الهمس، وهو ملمح ضعيف في الصوت، في صوت الصاد المتسم بملمح الجهر، وهو فضل صوت، تأثيرا رجعيا فحوله إلى جنسه وذلك نحو:

رزْ سلمة > رسّلمة ruz|sa|la|mah < sus|sa|la|mah

وهـــنا نلاحـــظ أن الأضـــعف أثر في الأقوى، ويعود السبب في ذلك إلى أن الأصل في الإدغـــام أن يدغم الأول في الثاني، فضلا على أن الزاي ضعفت بسبب وقوعها ساكنة في نهاية مقطع، في حين وقعت السين متحركة في بداية مقطع.إضافة إلى أنهما من مخرج واحد. وربما مـــن الأسباب التي جوزت مثل هذا الإدغام أن حروف الصفير لا تدغم في غيرها مما يقاربها فجوزوا إدغامها في بعضها دون النظر إلى القوة أو الضعف في الصوت.

و. حكم الشفويات في الإدغام:

تشترك مجموعة الأصوات الشفوية وهي: الفاء والباء والميم و(الواو) في تقارب المخرج، فالفاء من المخرج الشفوي الأسناني Labio-Dental. والميم والباء والواو من المخرج الشفوي الثنائي Bi-Labial. ولكن تختلف هذه المجموعة في الصفات المميزة لها. وهذه الصفات هي

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤٦٢/٤

٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤٦/١٠

التي تحدد مدى تأثر الصوت أو تأثيره فيما جاوره من أصوات، فلذلك نلاحظ أن من الأصوات لا يدغم في مقاربه ويدغم مقاربه فيه، أو العكس. ومن هذه الأصوات المجموعة السابقة الذكر. وذلك بسبب التباين بينها في الصفات المميزة لكل صوت. وفيما يلي عرض لأحكام الإدغام لكل صوت من هذه المجموعة على حده.

أولا: الفاء

يذهب ابن عصفور إلى أن الفاء لا تدغم في مقاربها لأنها تتسم بالتفشي وهو فضل صوت، وعند إدغامها فيما يقاربها يذهب هذا الملمح المميز لها عن غيرها من الأصوات، وذلك لأن الإدغام يحول الصوت المدغم إلى جنس الصوت المدغم فيه يقول:" الفاء لا تدغم في مقاربها؛ لأن فيها تفشيا، فلو أدغمتها لذهب ذلك التفشي. ويدغم فيها مما يقاربها الباء، فنقول: اذهب في ذلك، لأنه ليس في ذلك إخلال في الباء، بل نقويه بقلبها حرفا متفشيا"(١).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول سيبويه:" والفاء لا تدغم في الباء لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلَى وانحدرت إلى الفم، وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء؛ وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف، فلما صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين. والباء قد تدغم في الفاء للتقارب"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في حكم الفاء يقول الأخير:" الفاء.. لا تدغم في غيرها لأنها من حروف ضم شفر، ففيها تفش يزيله الإدغام. وتدغم الباء في الفاء لتقاربهما في المخرج لأنهما من الشفة، كقولك: اذهب فانظر، فالفاء أقوى من صوتا لما فيها من التفشي"(٣).

ومما يؤكد ما ذهب إليه ابن عصفور قول الإستراباذي:" لم تدغم حروف "صوتي مشفر" فيما ليس فيه صفة المدغم... وفضيلة الفاء التأفيف، وهو صوت يخرج من الفم مع النطق بالفاء"(٤).

غير أن ابن عصفور ذكر أن الفاء تدغم في الباء يقول:"ومن ذلك إدغام الكسائي وحده الفاء من "نخسف بهم"(٥) في الباء وقد تقدم أنها من الحروف التي لا تدغم في مقاربه، ولا يحفظ ذلك من كلامهم. وهو مع ذلك ضعيف القياس، لما فيه من إذهاب التفشي الذي في الفاء"(٦).

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٠٩/٢. والمقرب،ص٣٦٧

٢) سيبويه: الكتاب،٤٤٨/٤

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤٦/١٠

٤) الإستراباذي: شرح الشافية،٢٧٠/٣

٥) سبأ، ٩

٦) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٢٠/٢

ولم يذكر سيبويه مثل هذا الإدغام. أما شارح المفصل فنعته بالشذوذ يقول:" فأما ما حكي عن الكسائي من إدغامه لها في الباء في قوله عز وجل(نخسف بهم الأرض) فشاذ"([1]).

وقد ذكر علماء الدرس الصوتي الحديث هذا الإدغام. فها هو ذا إبراهيم أنيس يقول:" والفاء تدغم في صوت واحد وهو الباء، في مثل واحد في القرآن الكريم هو:(إن نشأ نخسف بهم الأرض) ولم يرو الإدغام هنا إلا عن الكسائي في حين أن باقي القراء أظهروها"([2]).

ويذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أن:" الفاء يدغم في الباء في مثل قوله تعالى:(نخسف بهم)، كما أن الباء تدغم في الفاء كما في قولنا:(اذهب في هذا الطريق)"([3]).

ويمكن تفسير إدغام الفاء في الباء الوارد عند الكسائي، وإدغام الباء في الفاء على النحو الآتي:

ف+ب-->ف ب/بّ. متفش+مجهور انفجاري-->متفش+مجهور انفجاري / انفجاري مجهور مضعف

إذا وقع صوت الفاء مجاورا لصوت الباء، وكان صوت الفاء أولا فالأفضل البيان ليبقى كل صوت منهما محافظا على الصفات المميزة له. وذلك لأن صون الفاء يتسم بملمح خاص وهو ملمح التفشي وهو فضل صوت خاص، والملامح الخاصة يفضل عدم إذهابها، فضلا على تباين صفات الصوتين. فالفاء متفش مهموس احتكاكي وصوت الباء مجهور انفجاري.

أما ما ورد عن الكسائي من إدغام الفاء في الباء فلم أجد له مبررا إلا أن الفاء ضعفت لأنها وقعت ساكنة في نهاية مقطع ولكن هذا الضعف لا يحتم الإدغام. نحو:

نخسفْ بهم > نخسبّهم : nax|sif|bi|him > nax|sib|bi|him.

وقد قام إبراهيم أنيس بتبرير هذا الإدغام بقوله:" ولتبرير هذا الإدغام يمكن أن يقال أن الفاء جهر بها أولا، فأصبح ذلك الصوت الشائع في اللغات الأوروبية والذي يرمز إليه بالرمز (V)، ومثل هذا الصوت إذا ذهبت رخاوته بانحباس الهواء معه ليصبح انفجاريا أشبه الباء كل الشبه وبهذا يمكن الإدغام"([4]).

ويبدو أن هذا التبرير ينطبق على فاء ليست عربية، لأنه لا يوجد في العربية نظير مجهور للفاء كالتي وجدت في اللغات الأوروبية إلا في مستوى النطق الألوفوني للفاء.

ويذكر تمام حسان:" ومع أن هذا الصوت مهموس، يلحقه بعض الجهر في حالات خاصة في اللهجات الحديثة، ومن تلك الحالات الخاصة ما يسمع في لهجة القاهرة من الكلمات التي تتلو

---

١) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٤٦/١٠

٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٠٠

٣) عبد الصبور شاهين: أثر القراءات، ص٢٤٥

٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٠٠

فـيها(ظ أو (Z) أو (Z)،(وهـذا الرمز الأخير للظاء العامية) مثال ذلك: نفزع، أفغاني، أفظع"(١)، ويتضـح من كلام تمام حسان أن الفاء تجهر إذا جاء بعدها صوت مجهور في اللهجات العامية وليسـت في اللسان الفصيح، وهذا يعني أنه لا يقاس عليه في الفصيح من اللغة. ومما يؤكد هذا القول إن الكسائي وحده انفرد في هذا الإدغام.

ب + ف --> فّ. مجهور انفجاري + متفش --> متفش مضعف

أثـر صـوت الفاء المتسم بملمح التفشي في صوت الباء المتسم بملمحي الجهر والانفجار تأثيرا رجعيا فحوله إلى جنسه وذلك نحو:

اذهبْ في > اذهفّي |hab|fii > |haf|fii

وذلـك لأن صوت الباء وقع ساكنا في نهاية مقطع، في حين وقع صوت الفاء متحركا في بدايـة مقطـع. فضـلا على أن صوت الفاء أقرب إلى حروف الفم واللسان – التي هي أصل الإدغـام – مـن صت الباء. وفي مثل هذا التحول همست الباء وانتقلت إلى مخرج الفاء، ليتم التماثل بين الصوتين المتجاورين.

ويجوز في مثل هذا التجاور البيان وذلك، لأن الصوتين مختلفان في الصفات، إضافة إلى أن أصوات الشفة ليست بأصل للإدغام.

أما إبراهيم أنيس فيقول في هذا الإدغام: "أما إدغام الباء في الفاء فأقل شيوعا، لأنه يستلزم أولا قلـب الباء وهي مجهورة، إلى نظيرها المهموس وهو الصوت الشائع في اللغات الأوروبية والـذي يرمز إليه بالرمز(P)، وهو صوت شديد انفجاري مخرجه الشفتان، وإذا لم ينحبس معه الـنفس وأصـابته صفة الرخاوة بأن يسمع له صفير، انقلب إلى صوت قريب الشبه جدا بالفاء، لأنهـا رخـوة مهموسة، وبهذا يتم الإدغام. فعملية الإدغام هنا تبدأ أولا بهمس الباء لتشبه الفاء المهموسـة ثـم يلـي هـذا أن يسمح للهواء معها بالمرور، حيث يُحْدِثُ حفيفا أو صفيرا ككل الأصوات الرخوة. فإذا تم هذا للباء صارت كالفاء في ك الصفات، مخرجا وصفة"(٢).

ويذكر تمام حسان أن الباء قد تأتي مهموسة في اللهجات الحديثة. يقول:" أما في اللهجات الحديـثة فإن صوت الباء قد يأتي مهموسا في وسط الكلام، إذا تلاه صوت مهموس، وفي آخر الكلام إذا سبقه صوت مهموس أو علة طويل مثال ذلك: أبشع، كسب،كتاب، ويتم تفجير الصوت أحيانا من الأنف بدل الشفتين، كحينما تكون الباء في نهاية الكلام كما في المثالين الآخرين. ويتم هذا التفجير الأنفي بإبقاء الشفتين على اتصالهما، ثم فصل الطبق عن الجدار الخلفي للحلق فجأة فيمر الهواء قويا في المجرى الأنفي ويتم التفجير"(٣).

---

١) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص٩٨

٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١٨٩-١٩٠

٣) تمام حسان: مناهج البحث، ص٩٢

ثانيا: الباء

يدغم الباء في الفاء كما مر سابقا، وتدغم أيضا في الميم لأنها من مخرجها، ولكن لا يدغم فيها شيء من مقاربها؛ لأن الذي يقاربها في المخرج الفاء والميم والواو، وهذه الأصوات تخالف الباء في الصفة، فالفاء فيها تفش، والميم فيها غنة، والواو فيها مد ولين.

يقول ابن عصفور:" ثم الباء: وهي تدغم في الفاء والميم، لقربهما منها في المخرج، وذلك نحـو:(اذهب في ذلك) و(اصحب مطرا). ولا يدغم فيها شيء، وسبب ذلك أن الذي يقاربها في المخـرج إنمـا هو الفاء والميم والواو: فأما الفاء فلم تدغم فيها للعلة التي تقدم ذكرها في فصل الفـاء. وأما الميم والواو فلم تدغما في الباء للعلة التي منعت من إدغامهما في الفاء. وأيضا فإن الـنون السـاكنة تقلـب قبل الباء ميما، فإذا كانوا يفرون من النون الساكنة إلى الميم قبل الباء فالأحرى أن يقروها إذا وجدوها"(١).

ويـتفق ابن عصفور مع سيبويه في حكم إدغام الباء مع ما قاربها يذكر الأخير:" الباء قد تدغم في الفاء للتقارب، لأنها قد ضارعت الفاء فقويت على ذلك لكثرة الإدغام في حروف الفم؛ وذلك قولك: اذهب في ذلك؛ فقلبت الباء فاء، كما قلبت الباء ميما في قولك: اصحمّطراً"(٢).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش:" تدغم في الفاء على ما ذكرناه وفي الميم لأنها من الشفة كقولك: اصحبّ مطراً"(٣).

وقد ورد إدغام الباء في الفاء والميم عند الإستراباذي فيقول:" والباء في الميم والفاء نحو: اضرب مالكا أو فاجرا"(٤).

لقد سبق بيان إدغام الباء في الفاء، أما إدغام الباء في الميم فيمكن تفسيره كما يأتي:

ب+م --> مّ. مجهور انفجاري + أنفي مجهور --> أنفي مجهور مضعف

أثـر صـوت المـيم المتسم بملمحي الغنة والجهر في صوت الباء المتسم بملمحي الجهر والانفجار تأثيرا رجعيا فحوله إلى جنسه نحو:

اصحبْ مَطرا > اصحمّطرا ʔ iṣ|ḥam|ma|ta|ran <ʔ iṣ|ḥab|ma|ta|ran

وذلك لأن صوت الميم يتسم بملمح الغنة وهو فضل صوت خاص، فضلا على أن صوت المـيم وقع متحركا في بداية مقطع مما زاد في قوته. في حين وقع صوت الباء ساكنا في نهاية مقطـع فضـعف بموقعه. إضافة إلى أن كلا الصوتين من مخرج واحد. وقد تحقق في مثل هذا الـتحول تجانس الصوتين في المخرج والصفة، حيث انتقل صوت الباء من مخرجه إلى مخرج

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٧١٠، ٧٠٩

٢) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٤٨

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/١٤٧

٤) الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢٨٣

الميم فاكتسب صفة الغنة. يقول إبراهيم أنيس:" أما إدغام الباء في الميم، فيبرره من الناحية الصوتية أن مخرج كل منهما الشفتان، وأنه لا فرق بين الباء والميم إلا في أن الهواء مع الأولى يتخذ مجراه من الفم، ومع الثانية يتخذ مجراه من الأنف، فعملية الإدغام هنا هي مجرد انتقال الصوت الأول من بين أصوات الفم، إلى نظير له بين أصوات الأنف"(١).

الميم والواو:

لا يدغمان في شيء مما يقاربهما. وإنما يدغم فيهما من غير المقارب. فالميم يدغم فيها النون أما الواو فتدغم في الياء ويدغم فيها النون(٢). وقد تم بيان ذلك في أثناء الحديث عن الياء في أحكام النون.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١٨٩

٢) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف،٢/٧١٠

٢. إدغام المتقاربين في كلمة واحدة:

قسم ابن عصفور إدغام المتقاربين في كلمة واحدة إلى ثلاثة أقسام، وهي الممتنع، والجائز، والشاذ، وتناول كل قسم على حدة كما سيأتي:

أ. امتناع الإدغام:

يرى ابن عصفور أن إدغام المتقاربين في كلمة واحدة يمتنع إذا أدى الإدغام إلى اللبس يقول:" فإن اجتمع المتقاربان في كلمة واحدة لم يجز الإدغام، لما في ذلك من اللبس بإدغام المثلين، لأن الإدغام في الكلمة الواحدة لازم. فإذا أدغمت لم يبق ما يُستَدَلُ به على الأصل؛ ألا ترى أنك لو أدغمت النون من(أَنْمُلة) في الميم فقلت:(أَمُّلة) لم يدر: هل الأصل(أَنْمُلة) أو(أَمْمُلَة)"([1]).

وقد مثل على ما ذهب إليه بمسألتين: الأولى: بيان النون الساكنة إذا وقعت قبل الميم أو الواو أو الياء في كلمة واحدة نحو: زُنْم، قِنْواء، وكنية. ولم تخف، لأن الإخفاء يقربها من الإدغام. أما المسألة الأخرى: فإنه لا يوجد في كلام العرب نون ساكنة قبل راء أو لام نحو(عَنْل) و(قَنْر)، في كلمة واحدة، يقول ابن عصفور: "لأنك لو بينت ثقل لقرب النون من الراء واللام، وإن أدغمت التبس بإدغام المثلين"([2]).

ويمكن تفسير ما ذهب إليه ابن عصفور في المسألة الأولى أن الإدغام يؤدي إلى اللبس في أصل الكلمة أو في المعنى الدلالي مثل(زُنْم) فبالإدغام تصبح(زُمَّ) وهنا لا يعرف القارئ أهي في الأصل:(زَمْمَ) أم(زَنْمَ) وكذلك قبل الواو أو الياء.

أما المسألة الثانية: فإن النون من مخرج الراء واللام، واتحاد المخرج يضاهي في الثقل اجتماع المثلين زيادة على أن النون لا تدغم في الصوتين المتحدين معها في المخرج وهما الراء واللام وذلك لاختلاف الملامح المميزة. فالنون تتسم بالغنة وهو ملمح صوت خاص لا يفضل إذهابه، والراء تتصف بالتكرار وصوت اللام جانبي. فلقرب المخرج واختلاف الصفات لم يرد في كلام العرب مثل هذا. وإذا قمت بالإدغام التبس بإدغام المثلين. فلو وجدت كلمة مثل(عَنْل) وأردت الإدغام لقلت(عَلَّ) وهنا يحدث اللبس هل أصلها(عَلْلَ أو عَنْلَ)؟

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧١١/٢

٢) المرجع نفسه، ص٧١١، ٧١٢

ب. جواز الإدغام:

أورد ابـــن عصـــفور حالتين لجواز إدغام المتقاربين في كلمة واحدة: الأولى إذا وقعا في صـــيغة(افتعل) أو إحدى مشتقاتها، وذلك لأن التاء مع ما بعدها شابهت المنفصل لأنه لا يشترط أن يأتي بعدها مثلها أو مقاربها كما لا يلزم ذلك في الكلمتين فأمن التباس إدغام المتقاربين بإدغام المثلين لأن الإظهار يبين الأصل.(١)

وستعالج هذه الحالة عند الحديث عن الإبدال إن شاء الله تعالى.

أمـــا الحالـــة الثانية من جواز الإدغام وهي: أن الإدغام لا يمكن أن يكون من قبيل إدغام المثلين، يقول ابن عصفور: "يجوز الإدغام في المتقاربين، وإن كانا في كلمة واحدة، إذا كان بناء الكلمة مبنيا أن الإدغام لا يمكن أن يكون من قبيل إدغام المثلين. وذلك نحو:(انفعل) من(المَحْو) فإنك تقول فيه(امّحى)، لأنه لا يمكن أن يكون من إدغام المثلين، لأنه ليس في الكلام(افّعَلَ)، فعُلِم أنه(انْمَحَى) في الأصل"(٢).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع رسائل الجامعية

ن + م --> مّ أنفي مجهور + أنفي مجهور --> أنفي مجهور مضعف

وقـــع صوت النون الساكن مجاورا لصوت الميم في كلمة واحدة. مما جعل صوت الميم يؤثر في صوت النون تأثيرا رجعيا فحوله إلى جنسه نحو:

انمحى < امحى: ʔim|ma|haa > ʔin|ma|haa وذلك لقرب المخرجين، فضلا على أن الـــنون وقعت ساكنة في نهاية مقطع، ووقع صوت الميم متحركا في بداية مقطع مما زاد في قـــوة الميم. ومما جوز مثل هذا الإدغام أن كلا الصوتين يتسم بملمح الغنة. فقلب النون ميما لم يؤثـــر لأنهـــا حولـــت إلى أغن مثلها. ففي مثل هذا التحول انتقل صوت النون من مخرجه إلى مخرج الميم فتحقق بهذا الانتقال مماثلة صوتية بين الصوتين المتجاورين في المخرج.

ج. الشاذ من إدغام المتقاربين في كلمة واحدة:

أورد ابـــن عصـــفور ثلاث كلمات شذت عن القياس في إدغام المتقاربين في كلمة واحدة وهـــي: ســـت، ود، وعدان. وعالج كل كلمة منها على حدة. وفيما يلي عرض لما جاء عند ابن عصفور وعند بعض العلماء القدامى لكل كلمة من الكلمات السابقة

١- سِتّ:

يقـــول ابـــن عصفور: "أما سِتّ فأصلها(سِدْسٌ) بدليل قولهم في الجمع أسداس فأبدلوا من

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧١٢/٢

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧١٥/٢

السين تاء، لأن السين مضعفة وليس بينهما حاجز إلا الدال، وهى ليست بحاجز قوي لسكونها وأيضا فإن مخرجها من أقرب المخارج إلى مخرج السين، فكأنه قد اجتمع فيه ثلاث سينات. وكرهوا إدغام الدال في السين، لأنهم لو فعلوا ذلك لقالوا:(سِسٌّ) فيزداد اللفظ سينا. فأبدلوا من السين حرفا يقرب منها ومن الدال، وهو التاء، لأن التاء تقارب الدال في المخرج والسين في الهمس، فقالوا:(سِدْتٌ) فكرهوا أيضا اجتماع الدال الساكنة مع التاء، لما بينهما من التقارب حتى كأنهما مثلان، مع أن الكلمة كثر استعمالها فهي مستدعية للتخفيف من أجل ذلك، فأدغموا الدال في التاء، ليخف اللفظ، فقالوا:(سِتٌّ)"(١).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في تعليل بنية ست. يقول الأخير تحت باب ما كان شاذا مما خففوا على ألسنتهم وليس بمطرد: "فمن ذلك ست، وإنما أصلها سدس. وإنما دعاهم إلى ذلك حيث كانت مما كثر استعماله في كلامهم، أن السين مضاعفة، وليس بينهما حاجز قوي، والحاجز أيضا مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين، فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينا، فتلتقي السينات ولم تكن السين لتدغم في الدال لما ذكرت لك، فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال، لئلا يصيروا إلى أثقل مما فروا منه إذا أدغموا. وذلك الحرف التاء، لأنه قال: سدت، ثم أدغم الدال في التاء"(٢).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش: "قولهم ست أصله سدس، فكثرت الكلمة على ألسنتهم، والسين مضاعفة، ليس بينهما حاجز قوي لسكونه، فكان مخرج الحاجز أيضا أقرب المخارج إلى السين، فصارت كأنها ثلاث سينات، وقد تقدم أن الدال تدغم في السين، والسين لا تدغم في الدال، فلو أدغم على القياس لوجب أن يقال: سس، فيجتمع ثلاث سينات فكرهوا ذلك... فقلبوا السين إلى أشبه الحروف من مخرج الدال وهو التاء؛ لأن التاء والسين مهموستان فصار سدتا ثم أدغموا الدال في التاء لأنهما من مخرج واحد. وقد سبقت الدال التاء وهي ساكنة فثقل إظهارها"(٣).

ويبدو أن الإستراباذي أكثر موضوعية في تعليل هذه البنية يقول: "قولك ست أصله سدس، بدلالة التسديس، وبين الدال والسين تقارب في المخرج؛ لأن لكليهما من طرف اللسان، فلو قلب الدال سينا كما هو القياس اجتمع ثلاث سينات، ولا يجوز قلب السين دالا خوفا من زوال فصيلة الصفير، ومع تقارب الدال والسين في المخرج بينهما تنافر في الصفة؛ لأن الدال مجهورة شديدة والسين مهموسة رخوة، فتقاربهما داع إلى ترك اجتماعهما مظهرين، وكذا تنافرهما وقلب أحدهما إلى الآخر ممتنع، كما مر، فلم يبق إلا قلبهما إلى حرف يناسبهما وهو التاء؛ لأنها من

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٧١٥-٧١٦

٢) سيبويه: الكتاب،٤/٤٨١-٤٨٢

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/١٥٢-١٥٣

ثانيا: الإبدال:

أ. تعريف الإبدال:

قبل أن نتناول حروف العربية التي يقع فيما بينها البدل عند ابن عصفور، نرى أن من الضروري بيان المقصود بهذا المصطلح. فقد ارتبط مصطلح الإبدال في التراث اللغوي بمصطلح آخر شبيه به وهو مصطلح الإعلال غير أن هناك فرقا واضحا بين المصطلحين، فالإعلال، وهو جزء من الإبدال، ويختص بإبدال أحرف العلة ألا وهي الحركات Vowels، أو أنصاف الحركات Semi Vowels.

أما الإبدال مصطلح أعم من الإعلال. لأنه يشتمل على إبدال ما هو معتل وما هو صحيح. فكل إعلال إبدال وليس العكس.

ويعرف الإبدال بأنه: "جعل حرف مكان حرف غيره"(١). أو هو: "جعل حرف مكان آخر مطلقا، فيشمل القلب لأن كلا منهما تغيير في الموضع إلا أن القلب خاص بحروف العلة والهمزة، والإبدال عام"(٢). أو هو: "إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة"(٣). أو هو: "جعل مطلق حرف مكان آخر، فخرج بالإطلاق الإعلال بالقلب، لاختصاصه بحروف العلة"(٤).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

أو هو: "دراسة التغييرات التي تطرأ على أحرف بنية الكلمة، باستثناء ما سماه القدماء بأحرف العلة، ومعها الهمزة"(٥).

ب. حروف البدل عند ابن عصفور:

تناول ابن عصفور، في هذا الباب، حروف البدل لغير إدغام وهي الحروف التي يجمعها قولك: "أحد طويت منهلا" وأضاف إليها في المقرب سبعة أحرف أخرى وهي: السين والصاد والزاي والعين والكاف والفاء والشين، وهذه الأحرف السبعة لم يذكرها سيبويه في حروف البدل(٦).

ويختلف ابن عصفور مع سيبويه في حروف البدل حيث ذكر الأخير في باب حروف

---

١) الإستراباذي: شرح الشافية،٣/ ١٩٧

٢) محمد الخضري: حاشية الخضري، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، سنة ١٩٤٠، ٢/١٩٠

٣) أبو الطيب اللغوي: الإبدال في كلام العرب، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق: سنة ١٩٦٠، ص٩

٤) أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ط١٦، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٩٦٥، ص١٤٣

٥) محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوع الإعلال والإبدال في اللغة العربية،ص٢

٦) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣١٩/١. والمقرب، ص٥١٦

البدل أنها أحد عشر حرفا يقول:" وهي ثمانية أحرف من الحروف الأولى وثلاثة من غيرها"(١)، ويقصد بالحروف الأولى حروف الزيادة والباقية من غير الزيادة.

ويختلف ابن عصفور مع كل من الزمخشري والرضي والإستراباذي في عدد حروف البدل ونوعها، فالزمخشري والرضي يعدانها خمسة عشر حرفا.

ويبدو أن سبب الاختلاف بين العلماء القدامى في عدد حروف البدل يعود إلى الخلط بين الحروف التي تبدل من أجل البدل والحروف التي تبدل من أجل الإدغام، زيادة على أن من العلماء من اعتمد الحروف التي أبدلت بكثرة ومنهم من جمع بين الكثرة والعلة ومنهم من جمع بينها وبين الشاذ والضرورة تتباين عدد الحروف التي للبدل عندهم. وسيتم عرض هذه الأنواع بالتفصيل أن شاء الله تعالى.

١. إبدال الهمزة:

ذكر ابن عصفور أن إبدال الهمزة من خمسة أحرف، يقول: "فأما الهمزة فأبدلت من خمسة أحرف وهي: الألف، والياء، والواو، والهاء، والعين"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع القدماء في إبدال الهمزة من الحروف الخمسة السابقة الذكر(٣).

وقد عالج ابن عصفور إبدال الهمزة من حروف العلة في باب البدل في حين قام بتكرار ذلك في باب الإعلال. لقد خلط القدماء، ومنهم ابن عصفور، بين الهمزة وحروف العلة والمد وقد ربطها القدماء بحروف العلة ويبدو أن التغيير الذي يصيب الهمزة جعلهم يعتقدون بالقرب بينها وبين أحرف العلة فهي تحذف وتقلب وتبدل شأنها في ذلك شأن حروف العلة. زيادة عل أنهم يعتقدون أن هناك قربا مخرجيا بينها وبين حرف الألف، إضافة إلى أن الرسم الكتابي للهمزة جعلهم يظنون أنها شبيهة بحروف العلة(الحركات) أو(أنصاف الحركات). في حين يقرر الدرس الصوتي الحديث أنه لا علاقة صوتية بين الهمزة وحروف العلة، وذلك لأن الهمزة من الصوامت، وحروف العلة والمد عند القدماء يقابلها عند المحدثين الحركات الطويلة أو أنصاف الحركات. وقد أجمل عبد الصبور شاهين الفروق بين الهمزة وحروف العلة على النحو الآتي:

أ. المخرجان متباعدان

ب. الهمزة عنده مهموسة والحركات مجهورة

---

١) سيبويه: الكتاب، ٢٣٧/٤

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٢٠/١. والمقرب: ص٥١٦

٣) ينظر على سبيل المثال: ابن جني: شر الصناعة، ٧٢/١، والإستراباذي: شرح الشافية: ٢٠٣/٣ وابن يعيش: شرح المفصل، ٨/١٠

ج. الهمزة انفجارية والحركات إنطلاقية([1])

وقد أثرت معالجة إبدال الهمزة من حروف العلة في مبحث الإعلال إن شاء الله تعالى. أما إبدال الهمزة من الحرفين الباقيين هو موضع الدراسة هنا.

- **إبدال الهمزة من الهاء**

يذكر ابن عصفور أن الهمزة أبدلت من الهاء في كلمة ماء. يقول: "أبدلت الهمزة من الهاء في(ماء) فأصله(مَوَهٌ) فقلبت الواو ألفا والهاء همزة"([2]).

ويذكر سيبويه أن إبدال الهمزة من الهاء بعد الألف قليل.([3])

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في إبدال الهمزة من الهاء بعد الألف يقول الأخير:"وأما إبدال الهمزة عن الهاء فقولهم "ماء"وأصله "مَوَهٌ" لقولهم "أَمْواه)،فقلبت الواو ألفا، وقلبت الهاء همزة، فصار "ماء"، كما ترى وقد قالوا أيضا في الجمع:"أَمْوَاء"فهذه الهمزة أيضا من هاء "أَمْواه"([4]).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في إبدال الهمزة من الهاء يقول الأخير:"وقوله: وماء شاذ هو شاذ لكنه لازم، وأصله موه، قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم شبه الهاء بحرف اللين لخفائها، فإنها واو أو ياء واقعة طرفا بعد الألف الزائدة، فقلبت ألفا، ثم همزة، وقالوا أيضا في أمواه: أمواء"([5]).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش: "قد أبدلت الهمزة من الهاء وهو قليل غير مطرد قالوا(ماء) وأصله مَوَه فقلبوا الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار في التقدير ماها ثم أبدلوا من الهاء همزة؛ لأن الهاء مشبهة بحروف العلة فقلبت كقلبها فصارت ماء وقولهم في التكبير أمواه وفي التصغير مُوَيْه... وقد قالوا في الجمع أمواء فهذه الهمزة بدل من الهاء في أمواه"([6]).

ويمكن تفسير مثل هذا البدل بأن الهاء متحدة المخرج مع الهمزة، فضلا على أن الناطق العربي أراد أن يقفل المقطع الطويل maah بصوت قوي مثل الهمزة ʔmaa، إضافة إلى أن الهاء وقعت ساكنة في نهاية مقطع، والصوت الذي يقع في نهاية مقطع يكون عرضة للحذف

---

١) ينظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٧٢

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٤٨/١

٣) سيبويه: الكتاب، ٢٤٠/٤

٤) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٠٠/١

٥) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٠٨/٣

٦) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٥/١٠

والـتأثر يقول عبد الصبور شاهين: "إن الصوت يكون أكثر تعرضا للحذف والتأثر حين يكون نهاية مقطع"([1]).

ولعـل السبب الذي جعل الناطق العربي يغلق المقطع الطويل بصامت انفجاري شديد، هو الهمزة، بدلا من الإبقاء عليه مغلقا بصامت احتكاكي هو أن الصوت الانفجاري الشديد أقوى من الصوت الاحتكاكي الرخو على حد قول صاحب الرعاية([2]).

عـلاوة على ذلك، فإن النطق بالصوت الانفجاري قد يكون أسهل على المرء من الصوت الاحتكاكـي، يقـول إبراهيم أنيس: "اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك والالتقاء به التقاء محكمـا، ينحـبس معه النفس، ما يكون مع الأصوات الشديدة، من أن تقف حركته عند مسافة قصـيرة مـن الحنك، ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء كما يحدث في الأصوات الرخوة وليس بغريب بهذا أن تسمع طفلا مصريا يقول في زيت(ديت)"([3]).

ويذكـر ابـن عصفور أن الهمزة أبدلت من الهاء في(أَل) أصله(أهل) فأبدلت الهاء همزة فقـيل(أَأل) ثم أبدلت الهمزة ألفا والدليل على أن الأصل(أهل) عند الإضافة إلى المضمر نقول: أهلك، ولا يقال(أَلك) إلا قليلا جدا نحو قوله: (من مجزوء الكامل)

وانصرْ، على دينِ الصليـ ـبِ، وعابديه، اليومَ، آلك ([4]).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وذكـر أيضا أن الهمزة تبدل من هاء هل في نحو: أل فعلت كذا؟ يريدون هل فعلت كذا؟ وأبدلت أيضا من هاء(هذا) فقالوا: آذا. قال:([5])(من الطويل)

فقالَ فريقٌ: آأذا إذْ نَحَوْتَهُمْ نَعَمْ، وفريقٌ، لَيْمُنُ اللهِ ما نَدْرِي

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في إبدال الهمزة من هاء "أهل" والهاء في "هذا" غير أن ابن يعيش والإستراباذي لم يذكرا إبدالها من الهاء في هذا([6]).

ويمكـن تفسـير مثل هذا البدل الاتحاد المخرجي بين الهمزة والهاء كما مر سابقا، فضلا على أن هذا البدل لم يصل إلى درجة الشيوع لدى الناطقين العرب وإنما هو من قبيل اللهجات.

---

١) عبد الصبور شاهين: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص١٦٩

٢) ينظر: مكي ابن أبي طالب: الرعاية، ص١١٧- ١١٨

٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٣٦

٤) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٤٩/١

٥) نصيب: ديوانه، ص٩٤. والممتع في التصريف، ٣٥١/١. سيبويه: الكتاب،٥٠٣/٣. وابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٠٦/١. والشاهد فيه قلب الهاء همزة ثم فصل بين الهمزتين بالألف

٦) ينظر ابن جني:سر صناعة الإعراب،١٠٠/١-١٠٦.وابن يعيش:شرح المفصل،١٦/١٠والاستراباذي:شرح الشافية،٢٨/٣ .

وربمـــا يكون كثرة استعمال بعض الأدوات مثل همزة الاستفهام جعلهم يقلبون الهاء في هل إلى همـــزة لكثرة الاستعمال. زيادة على أن الناطق العربي في بداية المقطع يكون أكثر قوة فيحتاج إلى صوت يتناسب مع قوته النطقية فلم يجد من الهمزة لتحل محل صوت وهو الهاء.

- **إبدال الهمزة من العين**

تبدل الهمزة من العين في قولهم(أُباب)، وهذا البدل قليل في كتب التراث اللغوي. يقول ابن عصفور: "لم يجئ من ذلك إلا قولهم(أُباب)في قولهم:(عُباب) "(١).

ويخـــتلف ابـــن عصفور مع ابن جني في هذا البدل.ويذهب الأخير إلى أن الهمزة أصلا وليست بدلا يقول:"فأما ما أنشده الأصمعي من قول الراجز: أُبابُ بَحرٍ ضاحكٌ هَزُوقُ

فليســـت الهمـــزة فيه بدلا من عين(عُباب) وإن كان بمعناه، وإنما هو(فُعال) من أَبَّ:إذا تهيأ"(٢).

ويـــتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في إبدال الهمزة من العين، يقول: "وأما قول الشاعر أنشـــده الأصـــمعي: أُبـــاب بحر ضاحك زهوق. فالمراد عُباب فأبدلت الهمزة من العين لقرب مخرجيهما"(٣).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول الإستراباذي: "وقوله: "أباب بحر أشذ" إنما كان أشـــذ إذ لـــم يثبت قلب العين همزة في موضع...وإن قلت: هو بدل من العين فهو وجه، ولكنه غير قوي، ومن قال إنه بدل منه، فلقرب مخرجيهما"(٤).

ويبدو أن سبب هذا البدل يعود إلى ما ذهب إليه القدماء من القرب المخرجي بين الصوتين المبدليـــن. ومن اللافت للنظر أن القرب بين الهمزة والعين ليس في المخرج فقط بل في الرسم الكتابـــي فهي تشبه العين إلا أنها أصغر منها ويبدو أن هذا التقارب الكتابي لم يفارق المحدثين فهـــي في الكتابة الصوتية تشبه العين أيضا إلا أنها تعاكسها في الاتجاه فرمز للهمزة عندهم(ɔ)، أما العين فرمزها عكس رمز الهمزة(c).

٢- إبدال الجيم:

تـــبدل الجـــيم من الياء المشددة والمخففة. يقول ابن عصفور في باب الجيم: "وأما الجيم فأبدلـــت مـــن الـــياء لا غير، مشددة ومخففة. فيبدلون من الياء المشددة جيما مشددة، ومن الياء

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٣٥٢/١

٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٠٦/١

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٦/١٠

٤) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٠٨/٣،٢٠٧

المخففة جيما مخففة"(١).

ويـــتفق ابـــن عصـــفور مع سيبويه في إبدال الجيم من الياء المشددة حيث يقول الأخير: "وأبدلوا الجيم من الياء المشددة في الوقف نحو: عَلِجّ وعَوْفِجّ؛ يريدون: عَلِيٌّ وعَوْفِيٌّ"(٢).

ويذكر في موضع آخر: "وأما ناس من بني سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنهـــا خَفِيَّة، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف، وذلك قولهم: هذا تَمِيمِجّ يريدون: تَمِيمِيٌّ، وهذا عَلِجّ يريدون: عَلِيٌّ "(٣).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن جني: "وإذا كانت – يعني الجيم – بدلا فمن الياء لا غير"(٤).

ويـــتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في هذا الإبدال يقول الأخير: "الجيم تبدل من الياء لا غير لأنهما أختان في الجهر والمخرج إلا أن الجيم شديدة ولولا شدتها لكانت ياء... وأصل هذا الإبدال في الوقف على الياء لخفائها وشبهها بالحركة"(٥).

وممـــا يؤيـــد مـــا ذهب إليه ابن عصفور قول ابن الحاجب: "والجيم من الياء المشددة في الوقف، في نحو: فقيمجّ، هو شاذ، ومن غير المشددة أشذ، ومن الياء المفتوحة أشذ"(٦).

ويعلـــل الإســـتراباذي سبب هذا البدل بقوله: "الجيم والياء أختان في الجهر، إلا أن الجيم شديدة، فإذا شددت الياء صارت قريبة غاية القرب منها، لوسطيتها وسط اللسان، والجيم أبين في الوقف من الياء، فطلب البيان في الوقف؛ إذ عنده يخفى الحرف الموقوف عليه"(٧).

وقد أورد ابن عصفور الشواهد على هذا البدل. ومنها إبدال الجيم من الياء المشددة كقول الراجز:

خالي، عُوَيْفٌ، وأبو عَلِجّ المطعمانِ اللّحمَ، بالعَشِجّ/ من الرجز(٨)

يريد: أبا عليّ والعشيّ. ومن إبدال الجيم من الياء المشددة في غير الوقف كقوله:

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٥٣/١. وينظر: المقرب، ص٥٢٢،٥٢١

٢) سيبويه: الكتاب، ٢٤٠/٤

٣) سيبويه: الكتاب، ١٨٢/٤

٤) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٧٥/١

٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ٥٠/١٠

٦) الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، ٢٢٩/٣

٧) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٨) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٥٣/١. والمقرب، ص٥٢٢. وسيبويه: الكتاب، ١٨٢/٤. وابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٧٥/١. وابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/ ٥٠. والإستراباذي: شرح الشافية، ٢٨٧/٢

كأنّ في أذنابهنّ الشُّوَلِ مِنْ عَبَسِ الصَّيفِ قُرونَ الأُجَلِ / من الرجز(١)

يريد: الأُيُل

ومن إبدال الجيم من الياء المخففة قول الشاعر:

لا هُمَّ، إن كُنْتَ قَبِلْتَ حِجَّتِجْ فلا يزالُ شاحِجٌ يأتيكَ بِجّ / من الرجز(٢)

يريد:(حجتي)(ويأتيك بي).

ويمكن تفسير هذا البدل على النحو الآتي:

الجيم صوت مركب كما وصفه المحدثون وهو صوت مجهور أيضا والياء هنا إما نصف حركة كما في(علي) أو حركة طويلة كما في(بي) وهي في كلتا الحالتين مجهورة. ولكن كلا الصوتين يصدران من المخرج الغاري. فبينهما تقارب في المخرج. علاوة على أن الياء وقعت ساكنة في نهاية مقطع فضعفت بالموقعية. فضلا على أن الياء وقعت في النهاية والناطق العربي يريد أن يقفل المقطع بصوت يظهر في حالة الوقف فأبدل منها أقرب الأصوات إليها وهو صوت الجيم. ومما تجدر الإشارة إليه أن الجيم في كلمة(بج) لم تبدل من الياء كما ذهب القدماء وإنما أبدلت من الكسرة القصيرة. بي > بج bii > bid. أما في علج فأبدلت الجيم من الياء بوصفها نصف حركة. علي > علج caliyy > calid d.

أما إبدال الجيم من الياء المشددة في غير الوقف كما في(الإجل) فلم أجد له تفسيرا سوى القرب المخرجي. al|ʾiy| yal > al|ʾid| dal

علاوة على التتابع بين الحركات وأنصاف الحركات فهو تتابع غير مرغوب فيه.

٣. إبدال الدال:

تبدل الدال من حرفين هما التاء والذال. أما إبدالها من التاء فعلى وجهين: الأول: إبدال مطرد من تاء افتعل ومشتقاتها إذا كانت فاء افتعل زايا أو دالا أو ذالا. والآخر إبدال غير مطرد مكن غير افتعل.(٣)

---

١) الممتع في التصريف، ص٣٥٤. والمقرب: ص٥٢٢. سر صناعة الإعراب، ١/١٧٦. شرح المفصل، ١٠/ ٥٠. شرح الشافية، ٣/٢٢٩. الشول: الأذناب المرتفعة. العبس: ما يبس على هلب الذنب من البول والبعر. الأيل ذكر: الأوعال.

٢) الرجز في: الممتع في التصريف، ٢/٣٥٥. والمقرب، ٥٢٢. سر صناعة الإعراب، ١/١٧٧. شرح الشافية، ٢/٢٨٧. شرح المفصل: ١٠/٥٠. الشاحج: الحمار أو البغل.

٣) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ١/٣٥٦-٣٥٨. والمقرب، ص٥٢٣.

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا البدل يقول الأخير: "وأما الدال فتبدل من التاء في افتعل إذا كانت بعد الزاي في ازدجر ونحوها... والذال إذا كانت بعدها التاء في هذا الباب بمنزلة الزاي"(١).

ولم يذكر سيبويه الدال هنا لأنها من إبدال إدغام.

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن جني: "وأما البدل فإن فاء افتعل إذا كانت زايا قلبت التاء دالا وذلك نحو ازدجر، وازدهى"(٢).

وذكر أيضا: "وقد قلبوا تاء افتعل أيضا مع الذال لغير إدغام دالا... فأما ما ادّكر واذّكر فإبدال إدغام"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في إبدال الدال من تاء افتعل بقول الأخير: "إذا كان فاء افتعل أحد ثلاثة أحرف: الزاي، والدال، والذال؛ قلبت تاء الافتعال دالا، وأدغمت الدال والذال فيها، نحو ادّان وادّكر، وقد يجوز ألا يدغم الذال نحو اذكر"(٤).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في هذا البدل.(٥)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

أ- إبدال الدال من التاء إذا كانت فاء افتعل زايا

ز + ت --> (ز د): مجهور صفيري + مهموس --> مجهور صفيري + مهموس

إذا وقعت الزاي والتاء متجاورتين في داخل بنية واحدة، وكانت هذه البنية على صيغة افتعل أو إحدى مشتقاتها، فإن تاء افتعل تقلب دالا. ويعلل ابن عصفور سبب هذا القلب: "بأن الزاي مجهورة والتاء مهموسة والتاء شديدة والزاي رخوة، فتباعد ما بين الزاي والتاء، فقربوا أحد الحرفين من الآخر، ليقرب النطق بهما، فأبدلوا الدال من التاء؛ لأنها أخت التاء في المخرج والشدة، وأخت الزاي في الجهر"(٦).

وقد نص سيبويه على أن: "الزاي تبدل لها مكان التاء دالا، وذلك قولهم: مزدان في مزتان لأنه ليس شيء أشبه بالزاي من موضعها من الدال وهي مجهورة مثلها"(٧).

ويقول ابن جني في تعليل هذا البدل: "ولكن الزاي لما كانت مجهورة، وكانت التاء

---

١) سيبويه: الكتاب، ٢٣٩/٤-٢٤٠

٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب،١٨٥/١

٣) المرجع نفسه، ص١٨٨،١٨٧

٤) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٢٧/٣

٥) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل،٤٨/١٠، ٤٩

٦) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٥٦/١

٧) سيبويه: الكتاب، ٤٦٧/٤، ٤٦٨

مهموسة، وكانت الدال أخت التاء في المخرج، وأخت الزاي في الجهر، قربوا بعض الصوت من بعض، فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها الزاي، وهي الدال، فقالوا: ازدجر..."(١).

ويمكن تفسير مثل هذا الإبدال ما جاء على شاكلته على النحو الآتي:

أثر صوت الزاي المتسم بملمحي الجهر والصفير في صوت التاء المتسم بملمح الهمس تأثيرا تقدميا فحوله إلى مقابله المجهور، والمقابل المجهور لصوت التاء هو صوت الدال نحو:

ازتان > ازدان. ازتجر > ازدجر. ازتلف > ازدلف.

وذلك لأن صوت الزاي المتسم بملامح قوة أكثر من صوت التاء. فقد تحقق بهذا البدل نوع من التماثل الصوتي بين الصوتين المتجاورين في ملمح الجهر.

ب- إبدال الدال من التاء إذا كانت فاء افتعل ذالا إبدالا صرفياً

إذا وقعت الذال والتاء متجاورتين في داخل بنية واحدة، وكانت هذه البنية على صيغة افتعل أو إحدى مشتقاتها فإن التاء تبدل إلى دال. يذكر ابن عصفور: "وأبدلت – يعني الدال – من تاء افتعل، إذا كانت الفاء ذالا، من غير إدغام فقالوا: اذدكر ومذدكر"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه وابن جني وابن يعيش والإستراباذي في هذا البدل(٣).

ويمكن تفسير مثل هذا البدل على النحو الآتي:

ذ + ت --> (ذ د). مجهور + مهموس --> مجهور + مجهور

أثر صوت الذال المتسم بالجهر في صوت التاء المتسم بالهمس تأثيرا تقدميا فحوله إلى مقابله المجهور، وهو صوت الدال، نحو: اذتكر > اذدكر. وذلك لأن صوت الذال يتسم بملمح الجهر وهو ملمح قوة يمكن الصوت المتسم به من التأثير في غيره مما جاوره من أصوات. وقد تحقق في مثل هذا البدل التماثل بين الصوتين المتجاورين في ملمح الجهر. فقل التنافر بينهما.

ج- إبدال الدال من تاء افتعل إبدال إدغام إذا كانت الفاء ذالا

يجوز في التشكل السابق أحد الشكلين التاليين:

١. إدغام الأول في الثاني: أي إدغام الذال في الدال نحو: اذدكر > ادكر. وهذا جرى على قاعدة الأصل في الإدغام.

٢. إدغام الثاني في الأول، وذلك خلاف الأصل في الإدغام نحو: اذدكر > اذكر.

---

١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/١٨٥، ١٨٦

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ١/٣٥٧. والمقرب، ٥٢٣

٣) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤/٤٦٩. ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/١٨٧. ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/ ٤٩. الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢٢٧

ويعـــود السبب إلى إدغام كل من الذال والدال في بعضهما لأن كل واحة منهما يدغم في صاحبه في الانفصال. يقول سيبويه: "وكذلك تبدل للذال من مكان التاء أشبه الحروف بها لأنهما إذا كانـــتا فـــي حـــرف واحد لزم أن لا يبينا إذ كانا يدغمان منفصلين، فكرهوا هذا الإجحاف، ولـــيكون الإدغام في حرف مثله في الجهر. وذلك قولك: مُدّكِر، كقولك مُطّلِم، ومن قال مظعن قـــال مذكر... وإنما منعهم أن يقولوا مذكر أن كل واحد منهما يدغم في صاحبه في الانفصال، فلم يجز في الحرف الواحد إلا الإدغام"(١).

ويعود السبب في مثل هذا الإدغام إلى أن كلا الصوتين يتسمان بملمح الجهر وهما يخالفان الـــتاء في(اذتكر) إذ أنها مهموسة فبالبدل يتحقق التماثل بين المتجاورين في صفة الجهر. وتبقى الذال محافظة على ملمحها.

د- إبدال الدال من التاء إذا كانت فاء افتعل دالا إبدال إدغام

د + ت --> دّ. مجهور + مهموس --> مجهور مضعف

إذا وردت الـــدال والـــتاء متجاورتين في داخل بنية وكانت هذه البنية على صفة افتعل أو إحـــدى مشتقاتها. فإن التاء تبدل إلى دال، وتدغم الدال المنقلبة عن التاء في الدال الأصلية نحو: دهـــن > ادتهـــن > ادّهـــن وذلك أن صوت الدال المجهور أثر في صوت التاء المهموس تأثيرا تقدميا فحوله إلى جنسه لأن الدال تتسم بالجهر والانفجار في حين تتسم التاء بالهمس.

والـــدال أقوى من التاء فيلتقي مثلان: المثل الأول فاء افتعل، والمثل الثاني الدال المنقلبة عن تاء الافتعال نحو: ادتهن > اددهن فأدغم الأول في الثاني لأن المثلين في كلمة واحدة والأول منهما ساكن. ولم يفصل بينهما شيء فيجب في مثل هذا التجاور الإدغام فتصير إلى:

ادّهن > ?id| da| ha| na

هـــ - إبدال الدال من التاء في غير افتعل إبدالا غير مطرد

تـــبدل الـــدال من التاء بغير اطراد في كلمة(تولج) يقول ابن عصفور: "أبدلا من التاء في غـــير افـــتعل بغـــير اطراد في(تولج) فقالوا:(دولج) فأبدلوا الدال من التاء المبدلة من الواو بأن الأصل(وولج) لأنه من الولوج، ولا تجعل الدال بدلا من الواو، لأنه قد ثبت إبدال التاء من الواو في افتعل"(٢).

وقـــد ورد مـــثل هـــذا الـــبدل عـــند ابـــن جنـــي يقول: "وقد أبدلوا الدال من تاء تولج،

---

١) سيبويه: الكتاب،٤/٤٦٩، ٤٧٠

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف،١/٣٥٨

فقالوا:(دولج)"([1]).

ويـــرى ابـــن يعيش أن طلب التجانس سبب في هذا البدل يقول: "وحملهم طلب التجانس تقريـــب الصـــوت بعضهم على بعض أبدلوا من التاء دالا بغير افتعل وذلك نحو قولهم:(دولج) فـــي(تولـــج) كأنهم أرادوا الدال مهموسة والواو مجهورة فأبدلوا من التاء الدال لأنها أختها في المخرج وأخت الواو في الجهر"([2]).

ويـــتفق ابـــن عصـــفور مع الإستراباذي في إبدال الدال من التاء في تولج يقول الأخير: "والدولج: الكناس من الولوج، فقلبت الواو تاء ثم قلبت التاء دالا"([3]).

ويمكن تفسير مثل هذا البدل على النحو الآتي:

أثـــر صوت الواو بوصفه نصف حركة: المتسم بملمح الجهر، في صوت التاء السابقة له تأثيرا رجعيا وذلك لأن صوت الواو أقوى من صوت التاء المتسم بملمح الهمس.فقلبه إلى مقابله المجهور، والمقابل المجهور لصوت التاء هو صوت الدال. وفي هذا التحول تحققت مماثلة بين الصوتين المتجاورين في صفة الجهر .نحو :تولج < دولج .taw|la|dun < daw|la|dun .

يـــبدو أن الانـــتقال من المهموس إلى المجهور أثقل على الناطق العربي من الانتقال من مجهور إلى آخر. ويبدو أيضا أن الناطق العربي يميل في نطقه إلى أن يبدأ المقطع بصوت قوي لأنه يكون في بداية نشاطه النطقي ومن ثم يندرج إلى الأضعف.

جميع الحقوق محفوظة

و – إبدال الدال من الذال

تـــبدل الدال من الذال في غير افتعل في نحو :ذكر،فقالوا دكر. يقول ابن عصفور:"وأبدلت من الذال في(ذكر) جمع(ذكرة)،فقالوا(دُكَّر)"([4])

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في هذا البدل يقول الأخير:"ومن ذلك قلبهم الذال دالا في ادكر ... تدرجوا من هذا إلى غيره بأن قلبوها دالا في غير بناء افتعل "([5])

وقـــد أبدلـــت الـــدال من الذال في مثل هذا حملا على إبدالها منها في افتعل. وأورد ابن عصفور شاهدا على هذا الإبدال قول ابن مقبل([6]):(من البسيط)

---

١) ابن جني: سر الصناعة ١٨٧/١

٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ٤٩/١٠

٣) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٢٨،٢٢٩/٣

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٣٥٨/١

٥) ابن جني:الخصائص،٣٥١/١. وينظر:سر صناعة الإعراب، ١٨٨/١

٦) ديوانه،ص٨١ الممتع في التصريف،٣٥٩/١. سر صناعة الإعراب،١٨٨/١

يا لَيْتَ لي سَلْوةً تَشْفى النفوس بها مِنْ بَعضِ ما يعتري قلبي، مِن الذِّكرِ

ومثل هذا القلب لا يقاس عليه، ولا يعدو أن يكون عادة لهجية.

ز – إبدال الدال من تاء افتعل بغير اطراد

تبدل الدال من تاء افتعل في غير اطراد مع الجيم وهذا البدل لا يقاس عليه. يقول ابن عصفور:"وقد قلبت تاء افتعل دالا، بغير اطراد، مع الجيم في اجتمعوا واجتيز فقالوا: اجدمعوا واجدز. والأكثر التاء"(١).

وقد أورد سيبويه هذا البدل ورده إلى التقريب بين الصوتين المتجاورين يقول:"***: منها في افتعلوا، حين قالوا اجدمعوا إي اجتمعوا، واجدرءوا، يريد اجترءوا، لما قربها منها في الدال وكان حرفا مجهورا، قربها منها في افتعل لتبدل الدال مكان التاء، وليكون العمل من وجه واحد"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في إبدال الدال من تاء افتعل بغير اطراد يقول الأخير:"وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم في بعض اللغات، قالوا:اجْدَمَعوا في اجتمعوا، واجْدَزّ في اجْتَزّ"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في هذا البدل يقول الأخير:"وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم في بعض اللغات قالوا: اجدمعوا في اجتمعوا، واجدز في اجتز"(٤).

أما الإستراباذي فقد وصف هذا البدل بالشاذ يقول:"وقد شذ قلب تاء الافتعال بعد الجيم؛لأن الجيم وإن كانت مجهورة والتاء مهموسة إلا أنها أقرب إلى التاء من الزاي والذال فيسهل النطق بالتاء بعد الجيم، ويصعب بعد الزاي والذال"(٥).

ويمكن تفسير مثل هذا البدل على النحو التالي:

أثر صوت الجيم المجهور في صوت التاء المجاور له تأثرا تقدميا فحوله إلى مقابله المجهور والمقابل المجهور لصوت التاء هو صوت الدال، نحو: اجتمعوا >اجدمعوا. وذلك لأن صوت الجيم يتسم بملمح الجهر وهو ملمح قوة يمكن الصوت المتسم به من التغير في غيره من الأصوات المجاورة له. وقد تحقق بهذا البدل تماثل الصوتين المتجاورين في ملمح الجهر.

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ١٥٧/١

٢) سيبويه: الكتاب، ٤٧٩/٤

٣) ابن جني: سر الصناعة: ١٨٧/١

٤) ابن يعيش: شرح المفصل، ٤٩/١٠

٥) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٢٨/٣

أمـــا اجـــتز أثر صوت الزاي المضعف المتسم بملمحي الجهر والصفير في صوت التاء المتســـم بملمـــح الهمس تأثيرا رجعيا فحوله إلى مقابله المجهور، وهو صوت الدال، وذلك لأن صوت الزاي يتسم بملامح قوة تجعله قادرا على التأثير في غير من الأصوات المجاورة. فتحقق في هذا التحول تجانس بين الصوتين المتجاورين في ملمح الجهر. ولكن مثل هذا البدل شاذ لأن الـــتاء صـــوت انفجـــاري والزاي صوت احتكاكي. فالتاء أقرب إلى الجيم من الزاي لأن الجيم صوت مركب. زيادة على أن التاء بعيدة المخرج عن مخرج الجيم فلا يصعب اجتماعهما. لأن اللسان يتسرح في أثناء النطق بهما.

٤. إبدال الطاء :

أ- إبدال الطاء من التاء في افتعل:

تـــبدل الطاء من التاء في افتعل ومشتقاتها، إذا كانت فاء افتعل صادا أو ضادا أو طاء أو ظـــاء. يقول ابن عصفور:" وأما الطاء فأبدلت من التاء لا غير. أبدلت بالطراد البتة ولا يجوز غـــير ذلـــك، من تاء افتعل إذا كانت الفاء صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء. فتقول في افتعل من الصـــبر اصطبر، ومن الضرب اضطرب، ومن الظهر اظطهر، ومن الطرد اطرد فتدغم... ولم تـــبدل التاء لأجل الإدغام بل للتباعد الذي بين الطاء والتاء كما فعلت مع الضاد والظاء والصاد، والتـــباعد الـــذي بيـــن التاء وبين هذه الحروف أن التاء منفتحة منسفلة، وهذه الحروف مطبقة مستعلية. فأبدلوا من التاء أختها في المخرج، وأخت هذه الحروف في الاستعلاء والإطباق، وهي الطاء"(١).

غير أن ابن عصفور نفسه عزا إبدال الطاء من التاء إذا كانت فاء افتعل لأجل الإدغام(٢).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إبدال الطاء من تاء افتعل يقول الأخير:" والطاء منها – يعني التاء – في افتعل إذا كانت بعد الضاد في افتعل، نحو اضطهد. وكذلك إذا كانت بعد الصاد في مثل اصطبر، وبعد الظاء في هذا"(٣).

ومـــما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن جني:" وأما البدل فإن تاء افتعل إذا كانت فـــاؤه صـــادا أو ضادا أو طاء أو ظاء، تقلب طاء البتة، وذلك قولك من الصبر: اصطبر، ومن الضرب: اضطرب، ومن الطرد: اطرد، ومن الظهر: اظطهر. وأما اطرد فليس الإبدال فيه من قبل الإدغام، وإنما هو لأن قبلها حرفا مطبقا"(٤).

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٦٠،٣٦١/١

٢) ينظر: ابن عصفور: المقرب، ص٥٢٤

٣) سيبويه: الكتاب، ٢٣٩/٤

٤) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٢١٧/١

ويـــتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في إبدال الطاء من تاء افتعل يقول الأخير:" إذا كان فاء افتعل أحد الحروف المطبقة المستعلية، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء؛ وذلك لأن التاء مهموسة لا إطباق فيها، وهذه الحروف مجهورة مطبقة، فاختاروا حرفا مستعليا من مخرج التاء وهـــو الطاء، فجعلوه مكان التاء؛ لأنه مناسب للتاء في المخرج، والصاد والضاد والطاء والظاء في الإطباق"(١).

وممـــا يؤيـــد مـــا ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش:" قد أبدلت الطاء من التاء إبدالا مطردا وذلك إذا كانت فاء افتعل أحد حروف الإطباق وهي أربعة الصاد والضاد والطاء والظاء نحـــو: اصـــطبر يصـــطبر واضطرب يضطرب، واطرد، واظطلم والأصل اصتبر واضترب والطـــترد واظـــتلم. والعلـــة في هذا الإبدال أن هذه الحروف مستعلية فيها إطباق والتاء حرف مهمـــوس غـــير مستعل فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافيه، فأبدلوا من التاء طاء؛ لأنهما من مخرج واحد، ألا ترى أنه لولا الإطباق في الطاء لكانت دالا، ولولا جهر الدال لكانت تـــاء، فمخـــرج هذه الحروف واحد، إلا أن ثم أحولا تفرق بينهن من الإطباق والجهر والهمس، وفي الطاء إطباق واستعلاء يوافق ما قبلها فيتجانس الصوت ويكون العمل من وجه واحد فيكون أخف عليهم"(٢).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

وشـــبيه بهـــذا الكلام ما ذهب إليه الأزهري في (فصل في إبدال الطاء): "وإنما أبدلت تاء الافـــتعال إثـــر المطـــبق طاء، لاستثقال اجتماع التاء مع الحرف المطبق، لما بينهما من اتفاق المخرج وتباين الصفة، إذ التاء من حروف الهمس، والمطبق من حروف الاستعلاء فأبدلت من التاء حرف استعلاء من مخرج الطبق، واختيرت الطاء لكونها من مخرج التاء"(٣).

ويمكن تفسير مثل هذا الإبدال على النحو الآتي:

ص،ض،ط،ظ + ت --> ص ط، ض ط، ط، ظ ط.

مفخم + مرقق --> مفخم + مفخم مضعف مع الطاء

إذا التقى كل صوت من الأصوات السابقة مع التاء مجاورا له في داخل بنية واحدة وكانت هذه البنية على صيغة افتعل أو إحدى مشتقاتها فإن هذه الأصوات الأربعة تؤثر في صوت التاء تأثيرا تقدميا وتقلبه إلى مقابله المفخم، والمقابل المفخم لصوت التاء هو صوت الطاء على النحو الآتي:

اصتبر > اصطبر

اضترب > اضطرب

---

١) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٢٦/٣

٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ٤٦،٤٧/١٠

٣) الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، القاهرة: المطبعة الأزهرية، ١٣١٣هـ. ٢٩١/٢

اطترد > اطرد

اظتلم > اظطلم

وذلـــك لأن كـــل صوت من الأصوات السابقة يتسم بملمح قوة أو أكثر يجعله قادرا على التأثير في غيره من الأصوات المجاورة، فالصاد تتسم بملمحي الإطباق والصفير، والضاد تتسم بملامح التفخيم والاستطالة والتفشي والجهر والانفجار والطاء تتسم بملمحي الإطباق والانفجار، والظـــاء تتســـم بملمحي الإطباق والجهر. في حين أن صوت التاء يتسم بالترقيق والهمس فهو أضعف من الأصوات السابقة. فلهذا أثرت فيه هذه الأصوات فحولته إلى مقابله المفخم إلا وهو صـــوت الطاء ليتم بذلك نوع من التماثل بين الصوتين المتجاورين في الصفة. وقد عزا سيبويه مـــثل هـــذا البدل " ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد من الحروف، وليكون عملهم على وجه واحد"(١).

ويذكـــر محمـــد جـــواد النوري "أن وقوع المماثلة في هذه الحالة من شأنه أن يحقق بين الصوتين المتجاورين تجانسا فيما سماه القدماء "بالإصعاد" ويحول دون الانتقال من حالة إصعاد إلى حالة تسفل"(٢).

جميع الحقوق محفوظة

وقد نص على هذا سيبويه بقوله:" لما كان يثقل عليهم أن يكونوا في حالة تسفل ثم يصعدون ألسنتهم أرادوا أن يكونوا في حالة استعلاء وألا يعملوا في الإصعاد بعد التسفل، فأرادوا أن تقع ألسنتهم موقعا واحدا"(٣).

ب- إبدال الطاء من تاء الضمير بغير اطراد

تـــبدل الطاء من تاء الضمير بغير اطراد. وقد ذكر ابن عصفور هذا البدل بقوله:" وأبدلت بغير اطراد من تاء الضمير بعد الطاء والصاد، فقالوا فحصط وخبط يريدون: فحصت وخبطت والأكـــثر الـــتاء. والعلـــة في الإبدال، من التباعد بين التاء وبين الصاد والطاء. فقربوا ليسهل النطق"(٤).

وزاد علـــيها فـــي المقرب الضاد والظاء يقول:" وتبدل منها بغير قياس إذا كانت ضميرا وقعـــت بعد هذه الحروف، فقالوا: محصط وحفظط وحضضط خبط، والأصل فحصت وحفظت وحضضت وحبطت وهو أكثر استعمالا"(٥).

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤٦٧/٤

٢) محمد جواد النوري: من العوامل الصوتية في تشكل البنية العربية، ص١٠

٣) سيبويه: الكتاب، ١٣٠/٤

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٦١/١

٥) ابن عصفور: المقرب، ص٥٢٤

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول سيبويه:" أبدلت الطاء من التاء في فعلت إذا كانت بعد هذه الحروف – يعني حروف الإطباق – وهي لغة تميم، قالوا: فحصط برجلك وحصط؛ يريدون حصت وفحصت. والطاء كالصاد فيما ذكرنا"(١).

ويذهب ابن جني إلى أن تاء الضمير ليست بمتصلة بما قبلها اتصال تاء افتعل: ولكنها أشبهتها لأنها تاء الفاعل. وقد أجري ضمير الفاعل في كثير من أحكامه من الفعل مجرى بعض أجزاء الكلمة من الكلمة(٢).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن يعيش:" ومن العرب من يشبه هذا التاء بتاء افتعل ويقول: قبضط وقبط وهي لغة لبعض بني تميم... فلما كان الفاعل قد أجري في هذه المواضع مجرى ما هو من الفعل أجروا التاء التي هي ضمير الفاعل مجرى التاء في افتعل. فإذا الإبدال في اضطرب ونظائره قياسي مطرد، وفي فحصط ونحوه شاذ لا يقاس عليه"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في إبدال الفاء من تاء الضمير بقول الأخير: "وقوله:(شذ في فحصط) هذه لغة بني تميم، وليست بالكثيرة، أعني جعل الضمير طاء إذا كان لام الكلمة صادا أو ضادا، وكذا بعد الطاء والظاء، نحو: فحصط برجلي، وحصط عنه: أي حدت، وأحط وحفط، وإنما قل ذلك لأن تاء الضمير كلمة تامة، فلا تتغير، وأيضا هو كلمة برأسها، فكان القياس ألا تؤثر حروف الإطباق فيها ومن قلبه فلكونه على حرف واحد كالجزء مما قبله، بدليل تشكيل ما قبله، فهو مثل تاء افتعل"(٤).

ويمكن تفسير مثل هذا الإبدال على النحو الآتي:

ص، ض، ط، ظ + ت ص ط، ض ط، ط، ظ ط

اثر أصوات الإطباق السابقة في التاء المجاورة لها تأثيرا تقدميا فحولتها إلى مقابلها المفخم، والمقابل المفخم لصوت التاء هو صوت الطاء، ولكن مثل هذا البدل يبدو أنه غير شائع، لأن التاء ليست من أصل الكلمة، وإنما وجودها عارض، فالأفضل أن تعامل معاملة الكلمتين المنفصلتين.

فحص + ت. وسكون ما قبل التاء ليس تشبيها بتاء افتعل كما ذهب القدماء، وإنما جاء كي لا يجتمع أربعة مقاطع مفتوحة على هذا النحو: fa| ha| sa| tu. لأن العربية تكره توالي المقطع القصيرة على حد قول إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية الذي نص على أن: "اللغة العربية تميل عادة في مقاطعها إلى المقاطع الساكنة وهي التي تنتهي بصوت ساكن ويقل فيها توالي المقاطع

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤/٢٤٠

٢) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/٢٢٠

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/٤٨،٤٧

٤) الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢٢٦، ٢٢٧

المتحركة، خصوصا حين تشتمل على أصوات ميم قصيرة"([1]).

والأفضل في مثل هذا التجاور ألا تقلب التاء إلى طاء، بل يمكن أن تشرب التاء بعض الإطباق مما جاورها دون بدل، وذلك لأن الإطباق ملمح قوة يمكن الصوت المتسم به من التأثير فيما جاوره من الأصوات، كما "أن يوسع الأصوات المفخمة أن تمد نفوذها إلى ما يسبقها ويتبعها من الأصوات"([2]).

بل إنه في حالة وجود "صوت ساكن مفخم في داخل مقطع، فإن كل المقطع يفخم، بل ربما يمتد نفوذ الصوت المفخم إلى المقاطع المجاورة"([3]).

ويبدو أن من أبدل الطاء من تاء الضمير قصد التقريب الصوتي بين الصوتين المتجاورين في الصفة. إلا أن البدل في مثل هذه البنى لا يقاس عليه لأن الصوت أثر في الاسم ولأن تاء الضمير ليست دائمة الاتصال بالفعل، بل وجودها عارض والأفضل عدم الاعتداد بالعارض.

٥. إبدال الياء:

تبدل الياء بوصفها حركة طويلة(كسرة طويلة) أو(نصف حركة) من ثمانية عشر حرفا إبدالا لازما وغير لازم. يقول ابن عصفور: "وأما الياء فتبدل من ثمانية عشر حرفا. وهي الألف والواو والسين والباء والراء والنون واللام والصاد والضاد والميم والعين والكاف والتاء والثاء والجيم والهاء والهمزة"([4]).

ولم يذكر ابن عصفور إبدالها من الواو والألف لأن ذلك من باب القلب. وسأضيف إلى الصوتين السابقين صوت الهمزة لأنه كررها في باب الإعلال، وسأعالجها في مبحث الإعلال إن شاء الله تعالى.

وقد ورد مثل هذا البدل عند سيبويه ولكن بدون تفصيل([5]).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني وابن يعيش والإستراباذي في إبدال الياء من الحروف السابقة([6]).

بعد أن ذكر ابن عصفور الحروف التي تبدل الياء منها شرع ببيان إبدال الياء من كل

---

١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص١٦٢

٢) A. F. L. Beeston, The Arabic Language today, P. 19

٣) Salman AL- Ani, Arabic phonology, P. 30

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٦٨/١. والمقرب، ص٥٢٦

٥) سيبويه: الكتاب، ٢٣٨،٢٣٩/٤

٦) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٧٣١/٢، ٧٣٢. ابن يعيش: شرح المفصل، ٢١/١٠-٢٨.
الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٠٩/٣-٢١٣

حرف من الحروف السابقة على النحو الآتي:

أ- إبدال الياء من السين

يرى ابن عصفور أن الياء تبدل من السين في الشعر من غير لزوم في مثل: سادس وخامس فيقول: سادي وخامي. ومن الشواهد على هذا البدل قول الشاعر:([1]) (من الوافر)

إذا ما عُدَّ أربعةٌ فسالٌ ... فزوجُكِ خامسٌ، وحَمُوكِ سَادي

والدليل على أن مثل هذا البدل يأتي في الضرورة، أن الوزن لا يستقيم بوجود السين في سادي علاوة على أن البدل يكون بين المتقاربين – في الأعم الأغلب – ويلاحظ أن الصوتين المبدلين بينهما تباين في المخرج والصفة. فالياء هنا حركة طويلة مخرجها من الغار والسين صوت ساكن(صامت) مخرجه من الأسنان واللثة. أما من حيث الصفة. فالياء صوت مجهور، والسين صوت مهموس. فالتباين الصوتي بين الصوتين المبدلين جعلنا نعده إبدالا غير لازم.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

ب – إبدال الياء من الباء

تبدل الياء من الباء على غير لزوم في الشعر، يقول ابن عصفور: "وأبدلت من الباء بغير لزوم، في جمع ثعلب وأرنب في الضرورة"([2]).

وقد عزا سيبويه هذا البدل إلى الوقف يقول: "فلما اضطر إلى أن يقف أخر الاسم كره أن يقف حرفا لا يدخله الوقف في هذا الموضع، فأبدل مكانه حرفا يوقف في الجر"([3]).

وقد مثل ابن عصفور على هذا البدل قول الشاعر:([4]) (من البسيط)

---

١) ينسب إلى النابغة الجعدي يهجو ليلى الأخيلية وإلى الحادرة وامرئ القيس. ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٦٨/١، وابن يعيش: شرح المفصل، ٢٤/١٠. والإستراباذي: شرح الشافية، ٢١٣/٣. وينظر أيضا: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٧٤١/٢،

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٦٩/١. وينظر: المقرب،ص٥٢٧

٣) سيبويه: الكتاب، ٢٧٤/٢

٤) ينسب هذا البيت لأبي كاهل اليشكري، وينسب إلى النمر بن كوكب اليشكري. يصف فرخة عقاب تسمى(غبة) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٢٩/١، والمقرب، ص٥٢٧، سيبويه: الكتاب،٢/ ٢٧٢،٢٧٣، وابن جني: سر صناعة الإعراب،٧٤٢/٢، وابن يعيش: شرح المفصل، ٢٤،٢٨/١٠، الإستراباذي: شرح الشافية،٢١٢/٣. والأشاريز: جمع إشرارة وهي القطعة من اللحم يجفف للادخار. تتمرة: تجففه وتيبسه. والخز: قطع من اللحم. ينظر سيبويه: الكتاب، ح رقم ٤، ٢٧٢،٢٧٣/٢. وينظر أيضا ابن جني: سر صناعة الإعراب، حاشية، رقم ٦، ٧٤٢/٢

لها أشاريرُ مِنْ لَحْمٍ تَتَمَّرَه مِن الثّعالي ووَخزٌ مِنْ أَرانِيها

والشـــاهد في البيت السابق في(الثعالي والأراني) حيث أبدل من الباء ياء والأصل الثعالب وأرانبها. والبدل هنا ليس من أجل البدل وإنما ليستقيم الوزن وليحدث الوقف، وذلك لأن التباين بيـــن الصوتين المبدلين واضح، فالباء صوت شفوي انفجاري، والياء هنا بوصفها حركة طويلة صـــوت غـــاري مجهور انطلاقي. ومن اللافت للنظر أن الباء لم تبدل من الياء بوصفها حركة طويلة وإنما أبدلت من الكسرة القصيرة فاجتمعت كسرتان قصيرتان فكونتا الكسرة الطويلة نحو: θa|caa|lib > θa|caa|lii .

ج- إبـــدال الـــياء من الباء والراء، والنون، واللام، والصاد، والضاد، والميم، والدال، والعين، وكاف، والتاء، والجيم والهاء.

تـــبدل الـــياء من الحروف السابقة في اجتماع الأمثال أو في التضعيف وذلك للتخلص من الموضعين.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

فقـــد ذكـــر ابن عصفور أن الياء تبدل من الحروف السابقة لسببين: الأول: التخلص من اجتماع الأمثال. والآخر: التخلص من التضعيف(١).

وقد أشار سيبويه إلى هذا البدل في كتابه تحت عنوان(هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام ياء لكراهـــية التضعيف وليس بمطرد) يقول: "وذلك قولك: تسريت، تظنيت، وتقصيت من القصة، وأمليت، ... وكل هذا التضعيف فيه عربي كثير جيد"(٢).

وذكـــر في موضع آخر"وتبدل – يعني الياء – من مكان الحرف المدغم نحو: قيراط. ألا تراهم قالوا: قريريط. ودينار، ألا تراهم قالوا: دنينر"(٣).

وتحـــدث ابـــن يعيش عن هذا البدل يقول: "قد أبدلت الياء من حروف صالحة العدة على الشذوذ ولا يقاس عليه. من ذلك قولهم:(أمليت الكتاب)، والأصل أمللت، وقالوا:(قصيت أظافري) حكـــاه ابـــن السكيت في قصصت أبدلوا من الصاد الثالثة ياء لثقل التضعيف... وقالوا: تسريت وأصله تسررت فأبدلوا من الراء الثالثة الياء للتضعيف... وقالوا: تظنيت وأصله تظننت فأبدلوا من إحدى نوناته الياء، لثقل التضعيف... وقالوا: ديباج، والأصل دِبّاج... كأنهم كرهوا التضعيف فأبدلوا، وقالوا: قيراط وأصله قِرّاط فأبدلوا من الراء الأولى ياء لثقل التضعيف"(٤).

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ١/٣٦٩-٣٧٣.

٢) سيبويه: الكتاب،٤/٤٢٤.

٣) المرجع نفسه، ص٢٣٩.

٤) ابن يعيش: شرح المفصل،١٠/٢٤-٢٧

كمـــا أشار الشجري إلى هذا في أماليه يقول: "وأما ما حذفوا منه وعوضوا فنحو: تظننت قـــالوا: تظنيت، فعوضوا من النون الياء... وقالوا تسريت من السر، وتقضي من التقضض، ولا أملاه بدلا من أمللته"(١).

وقد تناول السيوطي ذلك في الأشباه والنظائر عندما قال: "إن اجتماع الأشباه مكروه لذلك يفـــر منه إلى القلب، أو الحذف، أو الفصل، فمن الأول: قالوا: في دهدهت الحجر: دهيت قلبوا الهاء الأخيرة ياء، كراهة اجتماع الأمثال... وكذلك: دينار، وديباج، وقيراط، وديماس، وديوان، قلب أحد حرفي التضعيف ياء لذلك"(٢).

وقـــد تـــناول علمـــاء الأصوات المحدثون هذه الظاهرة وأطلقوا عليها مصطلح المخالفة Dissimulation. وهي عكس المماثلة وتعني: "جعل الصوتين المتماثلين غير متماثلين"(٣).

ويذهـــب إبراهـــيم أنـــيس إلى أن المخالفة الصوتية نوع من التطور الذي يتعرض أحيانا للأصوات اللغوية يقول: "من التطورات التي تعرض أحيانا الأصوات اللغوية ما يمكن أن يسمى بالمخالفة، وهي أن الكلمة قد تشمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين"(٤).

ويعـــرفها برتـــيل مالـــبرج بأنها: "التغيير الفونتيكي الذي يؤدي إلى تعميق الفروق بين فونمين يفصل بينهما فونيمات أخرى"(٥).

جميع الحقوق محفوظة
مركز البحوث والدراسات
الرسائل الجامعية

أمـــا رمضان عبد التواب فقد أطلق على هذه الظاهرة مصطلح قانون وعرفه بقوله:" أما قـــانون المخالفـــة فإنه يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من الأصوات العلة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة، والمعروفة في اللاتينية باسم: Liquida وهي: اللام والميم والنون والراء"(٦).

أمـــا محمد جواد النوري فقد كان أكثر وضوحا من سابقيه في تناول هذه الظاهرة، وذلك لأنـــه قـــام بدراســـة المخالفـــة الصوتية وتطبيقها على اللغة العربية قال فيها:" يقصد بالمخالفة الصـــوتية، تلـــك العملية التي يتم بموجبها تغيير أحد الصوتين المتماثلين في الكلام إلى صوت

---

١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية،ص٢١١. ومحمد جواد النوري: من العوامل الصوتية في تشكل البنية العربية، ص٣٠

٢) السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، حيدر أباد الدكن بالهند، سنة١٣٥٩ هـــ، ١٨/١

٣) ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، ط٣، القاهرة: عالم الكتب سنة ١٩٨٣م، ص١٤٧

٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢١٠

٥) برتيل مالبرج: الصوتيات، ترجمة محمد حلمي هليل، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإسلامية، سنة ١٩٩٤،ص١٢٠

٦) رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص٣٧

آخـــر، وذلك من أجل تجنب الصعوبة الناجمة عن تكرار النطق بالصوت الواحد. وتنطبق هذه الظاهـــرة على الصوامت والحركات. فالمخالفة الصوتية هي بمثابة " تعديل يطرأ على الصوت الموجـــود في سلسلة الكلام، بوساطة صوت مجاور. بيد أن هذا التعديل عكسي، يسهم في زيادة مدى الخلاف بين الصوتين المتجاورين"(١).

ومما يؤخذ على القدماء من علماء اللغة، ومنهم ابن عصفور، أنهم لم يولوا هذه الظاهرة مـــا تستحق من العناية والدراسة، بل اكتفوا بالإشارة إليها دون توضيح أو تفسير. أما المحدثون فقـــد تـــناولوها بالدراســـة والتحليل ويبدو أن التأثر بالدراسات الغربية جعلهم يهتمون بمثل هذه الظاهـــرة. وعـــزوا السبب في هذه الظاهرة إلى السهولة والاقتصاد في المجهود العضلي يقول إبراهـــيم أنيس:" والسر في هذا أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما فـــي كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تســـتلزم مجهـــودا عضـــليا، كأصـــوات اللين وأشباهها، وهذا التطور هو إحدى نتائج نظرية السهولة"(٢).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويمكن تفسير إبدال الياء من الأصوات السابقة على النحو الآتي:

دباج	> ديباج		
تسررت	> تسريت		
دنار	> دينار	--> ن + ن	--> ي + ن
أمللت	> أمليت	--> ل + ل	--> ل + ي
قصصت	> قصيت	--> ص + ص	--> ص + ي
تفضض	> تفضيت	--> ض + ض	--> ض + ي
يأتم	> يأتمي	--> م + م	--> م + ي
دماس	> ديماس	--> م + م	--> ي + م
تصدده	> تصديه	--> د + د	--> د + ي
تلععت	> تلعيت	--> ع + ع	--> ع + ي
مكاكيك	> مكاكي	--> ك + ك	--> ي + ك
اتصلت	> اتيصلت	--> ت + ت	--> ي + ت
دياجج	> دياجي	--> ج + ج	--> ج + ي
دهدهت	> دهديت	--> هـ + هـ	--> هـ + ي

---

١) Brosnahan and Malmerg, Introduction to Phonetics, P. 134

٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢١١

في الأمثلة وما جاء على شاكلتها حدثت مخالفة صوتية، بين كل صوتين متماثلين متجاورين وذلك عن طريق قلب أحد الصوتين أي منهما ساكن في نهاية مقطع من البنى السابقة، إلى صوت الياء المتسم بملمحي المد واللين، وهي الكسرة الطويلة أو نصف الحركة، ومن المعلوم أن الياء سواء أكانت كسرة طويلة أ نصف حركة تتسم بالوضوح السمعي. وقد أدى هذا القلب إلى إضفاء الوضوح والانسجام بين الأصوات المتجاورة.

وقد ذكر ابن عصفور أيضا إبدال الياء من نون إنسان الأولى فقالوا: ايسان(١). ويبدو أن مثل هذا البدل لا يعدو كونه لهجة لا يقاس عليه. ويمكن تفسير هذا البدل بأن الياء بوصفها نصف حركة أكثر وضوحا من النون، إضافة إلى التقارب المخرجي بين الصوتين.

ومن إبدال الضرورة ما ذكره ابن عصفور من إبدال الياء من العين في الشعر. واستشهد بقول الشاعر:(٢) (من مشطور الرجز)

ومنهلٍ لَيْسَ له حَوازِقُ ولِضفادي جَمَّةٍ نَقانِقُ

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وعزا ابن عصفور سبب هذا البدل بقوله:" كره أن يسكن العين في موضع الحركة، فأبدل منها ما يكون ساكنا في موضع الجر، وهو الياء"(٣)، ونلاحظ أن مثل هذا البدل غير لازم وذلك للتباعد بين الصوتين المبدلين في المخرج والصفة. وهنا أبدلت الكسرة القصيرة من العين وليس الياء نحو: da|faa|dii < da|faa|dic.

ومن إبدال الضرورة عند ابن عصفور: إبدال الياء من الثاء في الشعر في مثل ثالي أصلها ثالث، واستشهد بقول الراجز:(٤) (من مشطور الرجز)

يَفْديك يا زُرْعَ، أَبي وخَالي وقَدْ مَرَّ يومانِ، وهذا الثّالي

ويبدو أن مثل هذا البدل لا يعدو كونه ضرورة شعرية ليستقيم الوزن، ومما يؤكد هذا أن الصوتين المتبادلين بينهما تباين في الصفة والمخرج، ومن اللافت للنظر أن الياء هنا لم تبدل من الثاء وإنما أبدلت الكسرة القصيرة منها، والنسيج المقطعي يوضح ذلك. نحو: θa|lii < θa|liθ.

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٧١/١

٢) ينظر: المرجع نفسه، ٣٧٦/١. وسيبويه: الكتاب، ٢٧٣/٢. وابن جني: سر صناعة الإعراب، ٧٦٢/٢. وابن يعيش: شرح المفصل، ٢٤/١٠. والإستراباذي: شرح الشافية، ٢١٢/٣

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٧٦/١

٤) ينظر: المرجع نفسه، ٣٧٨/١. وابن جني: سر صناعة الإعراب، ٧٦٤/٢. وابن يعيش: شرح المفصل، ١٠ /٢٨. والإستراباذي: شرح الشافية، ٢١٣/٣

٦. إبدال التاء:

تبدل التاء من ستة أحرف، وهي: الواو، والياء، والسين، والصاد، والطاء، والدال. وقد نص ابن عصفور مع ذلك بقوله:" وأما التاء فأبدلت من ستة أحرف، وهي: الواو، الياء، والسين، والصاد، والطاء، والدال"(١).

ويذكر سيبويه هذا البدل في كتابه فيقول:" وأما التاء فتبدل مكان الواو فاء في اتّعد واتّهم واتّلج وتراث وتجاه ونحو ذلك. ومن الياء في افتعلت من يئست ونحوها. وقد أبدلت من الدال والسين في ست وهذا قليل"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في إبدال التاء من الأحرف السابقة الكر يقول الأخير:" وأما إبدالها فقد أبدلت من ستة أحرف هن: الواو، و الياء، والسين، والصاد، و الطاء، والدال"(٣).

ويختلف ابن عصفور مع ابن يعيش في عدد الحروف التي تُبدل منها التاء. فهي عند الأخير خمسة. فلم يذكر بدل التاء من الطاء وزاد عنده إبدالها من الباء. يقول:" قد أبدلت التاء من خمسة أحرف وهي: الواو والياء والسين والصاد والباء"(٤).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في إبدال التاء من الحروف السابقة، إلا أن الإستراباذي زاد عليه إبدالها من الباء"(٥).

بعد أن أكمل ابن عصفور الأحرف التي تبدل منها التاء، شرع يوضح إبدالها من حرف على حدة، مع الأمثلة الموضحة على النحو الآتي:

أ- إبدال التاء من الواو

يذهب ابن عصفور إلى أن التاء تبدل من الواو إبدالا مطردا وآخر غير مطرد. فمن الأول إبدالها من الواو إذا كانت فاء افتعل أو إحدى مشتقاته. يقول:" وأبدلت باطراد من الواو في افتعل وما تصرف منه، إذا كانت فاؤه واوا نحو: اتّعد واتّزن واتّلج، فهو مُتّعِد ومُتّلِج ومُتّزِن... والسبب في قلب الواو في ذلك تاء أنهم لو لم يفعلوا ذلك لوجب أن يقلبوها ياء إذا انكسر ما قبلها، فيقولوا: ايْتَعد، وايْتَزن، وايْتَلج، وإذا انضم ما قبلها ردت للواو فيقولون: مُوْتَعد... وإذا

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٨٣/١

٢) سيبويه: الكتاب، ٢٣٩/٤

٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٤٥/١

٤) ابن يعيش: شرح المفصل، ٣٦/١٠

٥) ينظر: الإستراباذي، شرح الشافية، ٢١٩/٣-٢٢٢

انفتح ما قبلها قلبت ألفا فيقولون: ياتَعِد. فأبدلوا منها التاء لأنها حرف جَلدٌ لا يتغير لما قبله، وهي مـع ذلـك قريبة المخرج من الواو – على حد قوله – لأنها من أصول الثنايا والواو من الشفة. ومن العرب من يجريها على القلب ولا يبدلها تاء"(١).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إبدال التاء من فاء افتعل. حيث يذكر الأخير في باب ما يلـزم بـدل التاء من هذه الواوات التي تكون في موضع الفاء " وذلك في الافتعال، وذلك قولك مُـتّقد، ومُـتّعد، واتّعد، واتّقد... من قبل أن هذه الواو تضعف ههنا، فتبدل إذا كان قبلها كسرة، وتقـع بعد مضموم، وتقع بعد الياء. فلما كانت هذه الأشياء تكنفها مع الضعف، صارت بمنزلة الـواو فـي أول الكلمـة وبعدها واو، في لزوم البدل لما اجتمع فيها، فأبدلوا حرفا أجلد منها لا يزول. وهذا كان أخف عليهم"(٢).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن جني:"فأما ما تقيس عليه لكثرته فافتعل وما تصـرف مـنه إذا كانـت فاؤه واوا، فإن واوه تقلب تاء، وتدغم في تاء افتعل التي بعدها وذلك نحو:اتّزن أصله اوْتزن، فقلبت الواو تاء، وأدغمت في تاء افتعل، فصار اتّزن... والعلة في قلب هـذه الواو في هذا الموضع تاء أنهم لو لم يقلبوها تاء لوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء فيقولون: ايتزن، وإذا انضم ما قبلها ردت إلى واو فيقولون: مُوْتزِن، وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفا فقـالوا: ياتـزِن فلما كانوا لو لم يقلبوها تاء صائرين من قلبها مرة ياء، ومرة ألفا، ومرة واوا، أرادوا أن يقلبوها حرفا جلدا تتغير أحوال ما قبله وهو باق بحاله، وكانت التاء قريبة المخرج من الواو لأنها من أصول الثنايا، والواو من الشفة، فأبدلوها تاء"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش والإستراباذي في هذا البدل(٤).

ويمكن تفسير هذا البدل على النحو الآتي:

و + ت --> تّ. نصف حركة + انفجاري --> انفجاري مضعف

إذا وردت الـواو بوصفها نصف حركة Semivowel متجاورة مع التاء، في داخل بنية واحدة، وكانت هذه البنية على صيغة "افتعل" أو إحدى مشتقاتها، فإن صوت الواو يتأثر بصوت الـتاء المجاور له مباشرة تأثرا رجعيا، فينقلب إلى تاء، ثم يجري، بعد ذلك، عملية الإدغام في الصوتين المتماثلين نحو:

اوْتَعد > اتْتَعد > اتّعد

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٨٦/١-٣٨٧

٢) سيبويه: الكتاب، ٣٣٤/٤

٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٤٧/١-١٤٨

٤) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ٣٦/١٠-٣٧. وينظر أيضا: الإستراباذي: شرح الشافية، ٨٠/٣-٨٣

اوْتقد > اتْتقد > اتّقد
اوْتزن > اتْتزن > اتّزن

ويعـــود الســـبب في حدوث هذا التأثر الصوتي، فيما نرى، إلى أن صوت الواو بوصفه نصف حركة يتسم بالقصر وقلة الوضوح السمعي، إذا ما قيس بالحركات الصرفة على حد قول كمـــال بشر(١). إضافة إلى ذلك فقد وقع صوت الواو ساكنا في نهاية مقطع نحو iw|ta|ca|ta. نظرا لاستثقال الحركة فيها يقول ابن جني:" والإسكان أكثر في الياء والواو، لاستثقالهم الحركة فيهما"(٢)، علاوة على أن صوت الواو الساكن المتسم بالقصر وقلة الوضوح السمعي، وقع تحت تأثـــير صوت التاء الانفجاري، ومن المعلوم أن ملمح الانفجار يعد بالقياس إلى ملمح الاحتكاك صفة قوة في الصوت المتسم به.

ب – إبدال التاء من الواو إبدالا غير مطرد

تـــبدل الـــتاء من الواو إبدالا غير مطرد في نحو: تجاه، وتراث، وتقية، وتوراه، وتولج، وتخمـــة، وتكأة، وتكلان، وتيقور، وأتلجه، وواو القسم في "تالله"، وتليد، وتترى، وأخت، وبنت، وهنت، وكلتا(٣).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول سيبويه:" وقد أبدلت في أفعلت، وذلك قليل غير مطـــرد، مـــن قـــبل الواو فيها ليس يكون قبلها كسرة تحولها في جميع تصرفها، فهي أقوى في افـــتعل، فمـــن ذلـــك قولهم: أتخمه، وضربه حتى أتكأه، وأتلجه يريد أولجه، وأتهم لأنه التوهم؛ ودعاهم إلى ذلك ما دعاهم إليه في تيقور، لأنها تلك الواو التي تضعف، فأبدلوا أجلد منها، ومع هذا أنها تقع في يفعل ويفعل بعد ضمة. وأما التقية بمنزلة التيقور"(٤).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني وابن يعيش والإستراباذي في هذا البدل(٥).

ويعـــود السبب في مثل هذا البدل إلى أن الواو في بعض الأمثلة السابقة، تحركت بحركة مـــن جنســـها نحو: تجاه، وتراث، وتخمه. أصلها على التوالي: وجاه، ووراث، ووخمة. وهذه الحـــركة زادت الواو ثقلا على حد قول ابن عصفور:" فإذا كانت الواو مضمومة فكأنه قد اجتمع

---

١) ينظر: كمال بشر: علم اللغة العام، الأصوات، ص٥٧

٢) ابن جني: المنصف، ٢٩٣/٢

٣) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٨٣/١-٣٨٥

٤) سيبويه: الكتاب، ٣٣٤/٤. وينظر أيضا: ٣٣٢/٤-٣٣٣

٥) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٤٥/١-١٤٩. وابن يعيش:شرح المفصل، ٣٧/١٠-٤٠. والإستراباذي: شرح الشافية،٨١/٣-٨٢

لك واوان"([1]). علاوة على ذلك، فإن الواو كما ذكر مكي بن أبي طالب "ثقيلة إذا تحركت"، ولكن هذا الثقل يزداد إذا كانت الحركة التي عليها ضمة([2]).

أمـــا هـــنري فليش فقد نص على:" كراهية النطق بالصوامت الضعيفة – الواو والياء – مشكلة بمصوتات من جنسها"([3]).

ففـــي الأمـــثلة السابقة الذكر ثقلت الواو، فأبدلت منها التاء، وذلك لتجنب الثقل الناجم عن الـــنطق بـــالواو المضمومة، إضافة إلى أن الواو بوصفها نصف حركة، وقعت في بداية مقطع، وهـــي ضعيفة، والصوت في بداية المقطع يفترض أن يكون قويا. فكان لا مفر من تغييره وقلبه إلى صامت أجلد وهو صوت التاء.

أما توراه وتولج فأصلهما:"وواراة" و"وولج". فيرى ابن عصفور أن سبب البدل فيهما يعود إلـــى أنهم لو لم يبدلوها تاء لوجب عليهم أن يقلبوها همزة، فهربوا من ثقل الهمزة وثقل اجتماع الواويـــن فـــي بداية الكلمة، إلى إبدال الواو الأولى تاء([4])، فبهذا البدل تخلصوا من ثقل اجتماع الواويـــن في بداية الكلمة من جهة. ومن جهة أخرى تخلصوا من اجتماع الهمزة والواو. ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن جني:" إذا التقت واوان في أول الكلمة، لم يكن من همز الأولى بد"([5]).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

فالـــتاء، فـــي مثل هذه البنى، أخف من الهمزة إذا كان الهمزة حرف ثقيل، فأبدلوا من الواو الأولـــى تاء. علاوة على أن الواو بوصفها نصف حركة، ضعيفة وقعت في بداية مقطع. وبداية المقطع تتطلب حرفا صامتا قويا. فعمدوا إلى قلبه تاء لتقوية المقطع. والناظر إلى المقطع الأول في البنيتين السابقتين يلاحظ تتابعا حركيا نحو: waw|raa|tun و waw|la|ḏun. وهذا التتابع الحركي غير مرغوب فيه وهو مكون من: نصف حركة + حركة طويلة – نصف حركة، وفي المـــثال الثانـــي: من نصف حركة + حركة قصيرة + نصف حركة. وهذا التتابع من شأنه أن يضعف النسيج المقطعي للبنية. يقول عبد الصبور شاهين:" إن العربية كرهت توالي الحركات الكثـــيرة، لأنه يضعف النظام المقطعي من جهة نظريا، ولأنه يجعل النطق ثقيلا من وجهة نظر القدماء"([6]).

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٣٣/١

٢) ينظر: مكّي بن أبي طالب: الرعاية، ص٢٣٥

٣) هنري فليش: العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد، تعريب وتحقيق: عبد الصور شاهين، ط٢، بيروت: دار المشرق، ص٤٦

٤) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٨٣/١

٥) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٩٨/١

٦) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوت للبنية العربية، ص١٧٤

أما ما تبقى من الأمثلة فيبدو أن سبب البدل فيها يعود إلى تقوية المقطع بصامت قوي في بدايته والتخلص من نصف الحركة الضعيفة بذاتها، فأبدلوا منها صوت التاء الانفجاري؛ لأن الانفجار ملمح قوة.

ج- إبدال التاء من الياء إبدالا مطردا

تبدل التاء من الياء في صيغة "افتعل" أو إحدى مشتقاتها إذا كانت فاء افتعل ياء. يقول ابن عصفور:" وأبدلت من الياء، على قياس، في "افتعل" إذا كانت فاؤه ياء، وفيما تصرف منه. فقالوا في "افتعل" من "اليسر": "اتّسر" ومن "اليبس": "اتّبس" والعلة في ذلك ما ذكرناه في الواو"(١).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إبدال التاء من الياء في صيغة افتعل. يقول الأخير: "والياء توافق الواو في افتعل، في أنك تقلبها تاء في افتعل من اليبس، نقول: اتّبس ومُتّبِس. لأنها قد تقلب تاء، ولأنها تضعف ههنا فتقلب واوا لو جاءوا بها على الأصل في مفتعل وافتعل وهي في موضع الواو، وهي أختها في الاعتلال، فأبدلوا مكانها حرفا أجلد منها حيث كان فاء"(٢).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن جني: "وقد فعلوا هذا أيضا في الياء، وأجروها مجرى الواو، فقالوا في افتعل من اليبس واليسر: ايتبس واتّسر، وذلك لأنهم كرهوا انقلابها واوا متى انضم ما قبلها في نحو: موتبس، وألفا في ياتبس، فأجروها مجرى الواو فقالوا اتبس واتسر"(٣).

وقد ورد مثل هذا الإبدال عند الإستراباذي فهو ينص على أن: "الياء وإن كانت أبعد عن التاء من الواو، وإبدالها منها أقل، ولكن شاركت الواو ههنا في لزوم التخالف لو لم تقلب، إذ كنت تقول: ايتسر، وفي المبني للمعلوم أوتسر، وفي المضارع تييسر، وفي لم يسم فاعله يوتسر فأتبعت الياء الواو في وجوب القلب والإدغام، فقيل اتسر"(٤).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في بدل التاء من الياء في افتعل إذا كانت الفاء ياء يقول الأخير:" ومن الياء في نحو اتّسر وهو افتعل من اليُسر أبدلوا من الياء تاء كما أبدلوها من الواو"(٥).

وتفسير مثل هذا الإبدال كتفسير بدل التاء من الواو فلا ضرورة لتكراره.

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٣٨٧/١

٢) سيبويه: الكتاب، ٣٣٨/٤

٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٤٨/١

٤) الإستراباذي: شرح الشافية،٨٣/٣

٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ٤٠/١٠

د- إبدال التاء من الياء على غير اطراد

تبدل التاء من الياء إبدالا غير مطرد في نحو: ثنتان، وكيت، وذيت. يقول ابن عصفور: "وأبدلت من الياء على غير اطراد في قولهم: ثنتان. ويدل على أنها من الياء أنها من ثنيت، لأن الاثنين قد ثني أحدهما صاحبه... وأبدلوها من الياء في "كيت كيت" و"ذيت ذيت" واصلها "كَيَّة وكَيَّة" و"ذَيَّة وذَيَّة". ثم أنهم حذفوا التاء، وأبدلوا من الياء – التي هي لام – تاء"(١).

ويمكن تفسير هذا الإبدال على النحو الآتي:

ثنتان: اصلها ثنيان. ففي هذه البنية وقعت الياء بوصفها نصف حركة تتسم بالضعف في بداية مقطع نحو: θin|yaan ومن المفروض أن يبدأ المقطع بصامت قوي لأنه على ما اعتقد بداية النشاط النطقي لدى المتكلم، فأبدلوا من الياء تاء ليبدأ المقطع بصوت أقوى من نصف الحركة. علاوة على أن إبدال التاء من الياء في مثل هذه البنية يخلص الناطق من الحركة المزدوجة في "yaan" أي في المقطع الأخير من البنية. وذلك لأن نطق الحركات المزدوجة يعد أمرا صعبا. يقول محمد جواد النوري: "ولاشك، أن النطق، أو آلية النطق بهذا النوع من الأصوات يعد أمرا صعبا، ويحتاج إلى جهد عضلي إذا ما قيس بنطق الحركة البسيطة"(٢).

كيت وذيت: أصلهما كَيَّة وذَيَّة. فأبدلت التاء من الياء الثانية بعد حذف التاء ويبدو أن سبب البدل عائد إلى المخالفة الصوتية، حيث عمد الناطق إلى إحداث مخالفة بين الصوتين المتماثلين – وهما نصف الحركة – فأبدل من أحدهما وهي الأخيرة صوت التاء، وفي هذا القلب يتخلص الناطق من التضعيف نحو: kay|ya و ʔay|ya فأصبحتا بعد البدل kay|ta و ʔay|ta علاوة على أن الياء بوصفها نصف حركة ضعيفة وقعت في بداية مقطع. والبداية تتطلب صامتا قويا. فبالإبدال تم تقوية المقطع الثاني من البنيتين. إضافة إلى أن الناطق تخلص من الحركة المزدوجة التي تحتاج إلى جهد عضلي اكثر في نطقها. ومهما يكن من أمر فإن الإبدال حقق سهولة في النطق من ناحية. ومن ناحية أخرى تم به تقوية المقطع الأخير.

هـ – إبدال التاء من السين

أبدلت التاء من السين على غير اطراد في نحو: سدس، والناس، وأكياس، وطس. يقول ابن عصفور في هذا الإبدال:" وأبدلت من السين على غير اطراد في ست في العدد واصله سدس... وقد أبدلوها أيضا من السين في الناس وأكياس، وإنما أبدلت من السين لموافقتها إياها في الهمس، والزيادة، وتجاور المخرج. وأبدلت أيضا في "طس" وإنما جعلت التاء في طست بدلا

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٨٨/١

٢) محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، منشورات القدس المفتوحة: عمان، سنة ١٩٩٦، ص٢١٩

من السين، ولم نجعل أصلا؛ لأن طسا اكثر استعمالا من طست"([1]).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني والإستراباذي في هذا البدل([2]).

يمكن تفسير مثل هذا الإبدال على النحو الآتي:

ست: أصلها سدس

د+س ---> ت

أثـر الصوت الدال المتسم بالجهر والانفجار، في صوت السين المتسم بالهمس والاحتكاك تأثيرا تقدميا، فحوله إلى صوت قريب من الدال في الانفجار، وقريب من السين في الهمس، ألا وهـو صـوت الـتاء. وذلك ليقل الاختلاف بين الصوتين المتجاورين، ومن ثم أثر صوت التاء المـبدل مـن صـوت السـين فـي صـوت الدال، تأثيرا رجعيا فحوله إلى جنسه وأدغم فيه فأصبحت(ست)

سدس > سدت > ست

الناس، وأكياس > النات، وأكيات

يـبدو أن سبب البدل في هاتين البنيتين عائد إلى أن الناطق العربي عمد إلى أقفال المقطع الأخير بصوت انفجاري، أفضل من قفله بصوت احتكاكي صفيري مهموس نحو: ʔan|naat > ʔan|naas وذلـك لأن الناطق العربي أراد أن يقفل مجرى الهواء. فمن الملاحظ أن الأخير بدأ بصامت فيه غنة يليه حركة طويلة وهي إنطلاقية، وختم بصامت صفيري. فأقفل مجرى الهواء بصامت انفجاري وهو صوت التاء. أما أكياس فإن تواصل مجرى الهواء فيها أكثر من السابقة زيادة على أن المقطع الأخير بدأ بنصف حركة، يليه حركة طويلة وختم بصامت صفيري نحو: ʔak|yass فعمـد الناطق إلى إقفال المقطع بصوت انفجاري وهو صوت التاء وذلك لأنه قريب من صوت التاء في أمرين هما: الهمس والمخرج.فأصبحت البنية أكيات. وتجدر الإشارة هنا أن هذا البدل يمثل لهجة عربية قديمة وهي الوتم([3])، ويعد هذا البدل من قبيل الديافونات في الدرس الصوتي الحديث.

أمـا إبدال التاء من السين في "طس" فيعود السبب إلى حدوث مخالفة صوتية بين المثلين المتجاوريـن، وذلك هروبا من التضعيف، فأراد الناطق العربي أن يقوي الخلاف بين الصوتين المتماثلين، فأتى بصوت قريب منهما، وهو صوت التاء، فأبدله من السين الثانية نحو: طسّ > طسـت tass > tast. وذلـك لأن الـنطق بالصوت الانفجاري أسهل من النطق بالصوت

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف،١/٣٩٠،٣٨٩

٢) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب،١/١٥٥-١٥٦. وينظر أيضا:ابن يعيش: شرح المفصل،١٠/٤١،٤٠. وينظر أيضا: الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢٢١،٢٢٠

٣) ينظر: عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ط٤، لجنة البيان العربي، سنة ١٩٥٦. ص١٢١

الاحتكاكي على حد قول إبراهيم أنيس([1]).

و – إبدال التاء من الصاد

تبدل التاء من الصاد في لصت ولصوت، يقول ابن عصفور:" وأبدلت من الصاد في لِصْتٌ ولُصُوت والأصل لِصٌّ ولُصُوص، لأنهما أكثر استعمالا بالصاد من التاء"([2]).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني والإستراباذي وابن يعيش في هذا البدل([3]).

ويبدو أن سبب هذا البدل في مثل هذه البنية يعود إلى المخالفة الصوتية، وذلك هروبا من التضعيف في لِصٌّ، وهروبا من توالي الأمثال في لُصوص. من أجل السهولة في النطق من جهة. ومن جهة أخرى أراد الناطق العربي أن يقفل المقطع الأخير بصوت انفجاري أسهل من أقفاله بصوت احتكاكي صفيري.

ز – إبدال التاء من الطاء

أبدلت التاء من الطاء في فُسْتاط وأستاع. يقول ابن عصفور:" وأبدلت من الطاء في فستاط والأصل فسطاط، بدليل قولهم فساطيط. وفي أَسْتاع ويُسْتِيع والأصل أَسطاع ويُسْطيع"([4]).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في بدل التاء من الطاء يقول الأخير:" وأما قولهم في فُسْطاط: فُسْتاط فالتاء فيه بدل من الطاء... وقالوا استاع يستيع، أي: أطاع يطيع، فالتاء بدل من الطاء لا محالة"([5]).

وقد ورد إبدال التاء من الطاء في فستاط عند الإستراباذي([6]).

ويبدو أن سبب الإبدال في فستاط عائد إلى التخلص من توالي الأمثال. فأبدلوا من الطاء الأولى تاء لأن التاء أخت الطاء في المخرج وهي المقابل المرقق لها.

أما استاع فأبدلت التاء من الطاء وذلك لقرب المخرج بين الصوتين المبدلين من جهة ومن جهة أخرى لتناسب صوت السين في الهمس.

---

١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٣٦

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف،١/٣٩٠

٣) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/١٥٦. والإستراباذي: شرح الشافية،٣/٢٢٢. وابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/٤١

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف،١/٣٩٠

٥) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/١٥٧

٦) ينظر: الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢٢٢

ح – إبدال التاء من الدال

أبدلت التاء من الدال في نحو: تريوت وأصلها دريوت. يقول ابن عصفور:"وأبدلت من الدال في قولهم:"ناقة دريوت" والأصل:"دريوت" أي مذللة، لأنه من الدربة"([1]).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في هذا البدل يقول الأخير:" وقالوا: ناقة تربوت، وأصلها دريوت وهي فعلوت من الدربة، أي هي مذللة، فالتاء بدل من الدال"([2]).

وفي مثل هذا الإبدال عمد الناطق العربي إلى قلب الدال إلى مقابلها المهموس. والمقابل المهموس لصوت الدال هو صوت التاء وذلك لأن الصوت المهموس أخف في النطق من الصوت المجهور على حد قول سيبويه([3]).علاوة على أن التاء أخت الدال في المخرج. فكلاهما من مخرج واحد وهو الأسناني اللثوي Denti Alveolar.

٧. إبدال الميم:

تبدل الميم من أربعة حروف وهي: الواو، والنون، والياء، واللام. يقول ابن عصفور في ذلك:" وأما الميم فأبدلت من أربعة أحرف وهي: الواو، والنون، والياء، واللام"([4]).

أما سيبويه فقد ذكر إبدال الميم من النون والواو يقول: " والميم تكون بدلا من النون في عنبر وشنباء ونحوها، إذا سكنت وبعدها باء، وقد أبدلت من الواو في فم وذلك قليل"([5]).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في إبدال الميم من الأحرف السابقة الذكر. يقول الأخير:" وقد أبدلت الميم من أربعة أحرف، وهي: الواو، والنون، واللام، والباء"([6]).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش والإستراباذي في إبدال الميم من الأحرف السابقة([7]).

بعد أن أجمل ابن عصفور الحروف التي تقلب إلى ميم، شرع ببيان إبدال الميم من كل حرف من الأحرف السابقة على النحو الآتي:

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٩٠/١

٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٥٧/١

٣) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤٥٠/٤

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٩١/١

٥) سيبويه: الكتاب، ٢٤٠/٤

٦) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٤١٣/١

٧) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ٣٣٠/١٠-٣٦٠. وينظر أيضا: الإستراباذي: شرح الشافية، ٢١٥/٣-٢١٨

أ- إبدال الميم من الواو

تبدل الميم من الواو في كلمة "فم". يقول ابن عصفور: " وأبدلت من الواو في قولهم فم، والأصل: فوه، فحذفت الهاء تخفيفا، لما صار الاسم على حرفين الثاني منهما حرف لين، كرهوا حذفه للتنوين، فيجحفوا به فأبدلوا من الواو ميما لقرب الميم من الواو"(١).

وقال سيبويه:" وقد أبدلت من الواو في فم وذلك قليل"(٢).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في إبدال الميم من الواو يقول الأخير:" أما إبدالها من الواو فقولهم فم وأصله فوه، فحذفت الهاء تخفيفا، فلما بقي الاسم علا حرفين الثاني منهما حرف لين، كرهوا حذفه بالتنوين، فيجحفوا به، فأبدلوا من الواو ميما لقرب الميم من الواو، لأنهما شفهيتان، وفي الميم هوي في الفم يضارع امتداد الواو"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش وابن سراج والإستراباذي في إبدال الميم من الواو(٤).

ويبدو أن سبب هذا الإبدال يعود إلى أن الواو بوصفها نصف حركة ضعيفة وقعت في بداية مقطع نحو: fa|wuu، وموقع البداية يتطلب صامتا قويا، علاوة على أن الواو ثقيلة وزاد ثقلها عندما تحركت بحركة من جنسها وهي الضمة القصيرة، فأراد الناطق العربي أن يقوي المقطع الأخير من جهة، ومن جهة أخرى يتخلص من ثقل نطق الواو المتحركة بالضمة القصيرة فعمد إلى إبدال الميم من الواو لأنها أختها في المخرج، علاوة على أنها تتسم بملمح الغنة الذي يشبه إلى حد كبير ملمح اللين.

ب- إبدال الميم من النون

أبدلت الميم من النون في نحو: عمبر وشمباء والبنام وطامة وأصلها على التوالي: عنبر وشنباء والبنان وطانة(٥).

وقد ورد إبدال الميم من النون في عنبر وشنباء عند سيبويه فهو يقول:" تكون بدلا من النون في عنبر وشنباء"(٦).

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٩١/١

٢) سيبويه: الكتاب، ٢٤٠/٤

٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٤١٣/١-٤١٤

٤) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ٣٠/١٠. وابن سراج: الأصول في النحو، ٢٧٣/٣. والإستراباذي: شرح الشافية، ٢١٥/٣

٥) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٩١/١-٣٩٤

٦) سيبويه: الكتاب، ٢٤٠/٤،

ويـــتفق ابن عصفور مع ابن جني وابن يعيش والإستراباذي في إبدال الميم من النون في الكلمات السابقة(١).

ويمكن تفسير مثل هذا الإبدال على النحو الآتي:

عنـــبر وشنباء: أثر صوت الباء المتسم بملمحي الجهر والانفجار في صوت النون المتسم بالجهر والأنفية تأثيرا رجعيا. ولكنه لم يستطع تحويله إلى جنسه وذلك لأن كلا الصوتين يتسمان بملامـــح قـــوة. غير أن النون وقعت ساكنة في نهاية مقطع فضعفت في موقعها. ومع هذا بقيت محافظـــة على ملمح الغنة فيها. فقلبت النون إلى صوت قريب من الصوتين اعني الباء والنون، وهو صوت الميم. لأنه يشترك مع الباء في المخرج ومع النون في الغنة.

أمـــا **البنان وطانة:** فهذا البدل – في الأعم الأغلب – من قبيل الديافونات لأنه لا يوجد ما يبرره سوى أن الميم تشارك النون في الغنة، فأبدلت منها لفرط القرب بينهما.

ج – إبدال الميم من الباء

أبدلـــت الميم من الباء في نحو: مخر، راتم، كثم، نغم. أصلها على التوالي: بخر، راتب، كثب، نغب(٢).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني وابن يعيش والإستراباذي في هذا الإبدال(٣).

ويمكـــن اعتـــبار مـــثل هـــذا الإبدال من قبيل التداخل المخرجي لأن الميم أخت الباء في المخرج وهو من قبيل الديافونات.

د– إبدال الميم من اللام

تـــبدل الميم من لام المعرفة يقول ابن عصفور في ذلك: "وأبدلت من لام التعريف، ومنه قوله عليه السلام:(ليس من أمبر أمصيام في أمسفر)"(٤).

أما ابن جني فقد نعت هذا الإبدال بالشاذ. يقول:" وأما إبدالها من اللام فيروى أن النمر بن تولب حكى، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(ليس من أمبر أمصيام في أمسفر) يريد: ليس من البر الصيام في السفر، فأبدل لام المعرفة ميما. ويقال أن النمر لم يرو عن النبي

---

١) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٤٢٢/١، ٤٢١. وابن يعيش: شرح المفصل، ٣٥/١٠، ٣٤.
والإستراباذي: شرح الشافية، ٢١٧/٣، ٢١٦

٢) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٩٣/١، ٣٩٢

٣) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٤٢٤/١، ٤٢٣. وابن يعيش: شرح المفصل، ٣٦/١٠، ٣٥.
والإستراباذي: شرح الشافية، ٢١٨/٣، ٢١٧

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٩٤/١

صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث، إلا أنه شاذ لا يسوغ القياس عليه"([1]).

ويتفق ابن عصفور مع شارح المفصل في إبدال الميم من لام التعريف، غير أن الأخير نسبها إلى لغة طيىء يقول:" فقد أبدلت من لام التعريف في لغة قوم من العرب، ويقال في لغة طيىء أمرجل في الرجل(وروى النمر بن تولب عن النبي صلى الله عليه وسلم:(ليس من أمبر أمصيام في أمسفر). وقيل أنه لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم سوى هذا الحديث، ومع ذلك فهو شاذ لا يقاس عليه غيره"([2]).

إن مثل هذا الإبدال لا يوجد ما يبرره، فلذلك نعته القدماء بالشاذ، لأنه لا يوجد تقارب بين الصوتين المبدلين لا في الملمح ولا في المخرج، فلا يعدو سوى كونه لهجة أي هم من قبيل الديافونات.

٨. إبدال النون:

أبدلت النون من لام لعل، ومن الهمزة في النسب إلى صنعاء وبهراء. يقول ابن عصفور:" وأما النون فأبدلت من اللام في "لعل" فقالوا "لعنّ" وإنما جعل الأصل لعل لأنه أكثر استعمالا. وأبدلت من الهمزة، في النسب إلى صنعاء وبهراء فقالوا: صنعاني وبهراني"([3]).

ويختلف ابن عصفور مع سيبويه في إبدال النون من الهمزة في فعلان فعلى. فقد ذهب الأول إلى أنها ليست من البدل أما سيبويه فقد عدها من البدل يقول:" والنون تكون بدلا من الهمزة في فعلان وفعلى"([4]).

وقال في باب ما لحقته نون بعد ألف فلم ينصرف في معرفة ولا نكرة:" وذلك نحو: عطشان، وسكران، وعجلان، وأشباهها. وذلك أنهم جعلوا النون حيث جاءت بعد ألف كألف حمراء، لأنها على مثالها في عدة الحروف والتحرك والسكون، وهاتان الزائدتان قد اختص بهما المذكر، ولا تلحقه علامة التأنيث، كما أن حمراء لم تؤنث بناء على المذكر، ولمؤنث سكران بناء على حدة، كما كان لمذكر حمراء بناء على حدة"([5]).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في إبدال النون من لام لعل، ولكنه اختلف معه في إبدالها من الهمزة حيث عدها الأخير في صنعاء وبهراء عند النسب إليهما بدلا من الواو كما ذهب سيبويه، ويعزو السبب في عدم إبدالها من الهمزة لعدم التقارب بينهما. يقول:" صنعاني

---

١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٤٢٣/١

٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ٣٤/١٠

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٩٥/١. والمقرب، ص٥٣٥

٤) سيبويه: الكتاب، ٢٤٠/٤

٥) المرجع نفسه، ٢١٥،٢١٦/٣

وبهراني منسوبان إلى صنعاء وبهراء، فعند سيبويه النون بدل من الواو، لأن القياس صنعاوي، كما نقول في حمراء: حمراوي، وهما متقاربان بما فيهما من الغنة، وأيضا هما بين الشديدة والرخوة، وهما مجهورتان. وقال المبرد: بل أصل همزة فعلاء نون، واستدل عليه برجوعها إلى الأصل في صنعاني وبهراني، والأولى مذهب سيبويه؛ إذ لا مناسبة بين الهمزة والنون"(١).

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في إبدال النون من لام لعل، ولكنه اختلف معه أيضا في إبدالها من الهمزة في صنعاء وبهراء، وعدها الأخير بدلا من الواو، وليس من الهمزة لعدم التقارب(٢).

ويبدو الخلاف واضحا بين ابن عصفور وغيره من العلماء القدامى في حول إبدال النون من الهمزة، فابن عصفور أبدلها من الهمزة المنقلبة عن واو، وغيره من القدماء أبدلها من الواو على الأصل، ورأي القدماء غير ابن عصفور أقرب إلى الصحة لأن النون لا تشترك مع الهمزة في شيء.

يعود السبب في إبدال النون من اللام في لعل إلى القرب المخرجي بين الصوتين، علاوة على أن كلا الصوتين مجهوران. أما إبدالها من الهمزة على رأي ابن عصفور، فلم أجد له ما يسوغه، وذلك للبعد المخرجي بين الصوتين من جهة، ومن جهة أخرى اختلاف الملامح، فالنون صوت مجهور أغن، والهمزة لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس. أما إبدالها من الواو على حد قول سيبويه وابن يعيش والإستراباذي فله ما يبرره، وذلك لأن الواو بوصفه نصف حركة ضعيف وقع في بداية مقطع نحو: بهراوي bah|raa|wiyy. والمفروض أن يكون في بداية المقطع صامت قوي فأبدلوا النون من الواو؛ لأن النون صامت يتسم بالوضوح السمعي. يقول محمد جواد النوري: "فالراء والميم والنون واللام هي أوضح في السمع من غيرها من الصوامت، ولذلك، فإن بعض اللغويين يسمونها(أشباه حركات) وذلك لأنها تلي الحركات Vowels في درجة وضوحها السمعي"(٣).

وقد ذهب إلى هذا إبراهيم أنيس في أثناء حديثه عن اللام والراء والنون. يقول: "إنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، ولهذا أشبهت من هذه الناحية أصوات العين"(٤).

---

١) الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢١٩،٢١٨

٢) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/٣٦

٣) محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص٢٣٥. وينظر أيضا: سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، القاهرة ١٩٨٠، ص٢٦٦. وعبد الغفار هلال: أصوات اللغة العربية، ط٢، القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٩٨٨. ص٢٣٩

٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٦٣.

عــلاوة على أن إبدال النون من الواو في مثل هذه البنية يخلص المقطع الأخير(wiyy). من تتابع صوتي غير مرغوب فيه، وأعني توالي نصف الحركة مع الحركة القصيرة مع نصف الحركة. فقد لجأ الناطق إلى استبدال النون بالواو هروبا من تتابع الحركات(١).

٩. إبدال الهاء:

تبدل الهاء من خمسة أحرف. يقول ابن عصفور في الممتع:"وأما الهاء فأبدلت من خمسة أحرف، وهي الهمزة، والألف والياء، والواو، والتاء"(٢). غير أنه ذكر في المقرب أنها تبدل من أربعة أحرف وأسقط إبدالها من الواو"(٣).

ويــتفق ابن عصفور مع سيبويه في إبدال الهاء من الأحرف الأربعة الواردة في المقرب. يقــول الأخــير:" وأما الهاء فتكون بدلا من التاء التي يؤنث بها الاسم في الوقف؛ كقولك: هذا طلحــة. وقد أبدلت من الهمزة في هَرَقْتُ، وهَمَرْتُ، وهَرَحْتُ الفرس، وأبدلت من الياء في هذه، وذلك في كلامهم قليل. ويقال:إياك وهياك. كما أن تبيين الحركة بالألف قليل؛ إنما جاء في: أنا وَحَيْهلا"(٤).

جميع الحقوق محفوظة

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني في إبدال الهاء من الحروف السابقة. يقول الأخير:" وإذا كانــت بــدلا – يعنــي الهــاء – فمــن خمسة أحرف، وهي: الهمزة، والألف، والياء، والواو، والتاء"(٥).

أما الإستراباذي وشارح المفصل فقد أسقطا إبدالهما من الواو"(٦).

وفيما يأتي بيان كل حرف تبدل منه الهاء على حدة.

<u>أ- إبدال الهاء من الهمزة:</u>

يذهب ابن عصفور إلى أن الهاء تبدل من الهمزة في إياك فقالوا هياك، وطيىء تبدل همزة إن الشرطية هاء مثلهن فعلت فعلت، وتبدل أيضا من همزة إن مع اللام مثل: لهنك أي لأنك ، قد تــبدل من همزة أيا في النداء فقالوا: هيا، وأبدلت أيضا من الهمزة في أرفت، وأرحت، وأخيرا تبدل من همزة الاستفهام مثل هزيد منطلق يريدون أزيد منطلق؟(٧).

---

١) ينظر على سبيل المثال: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٧٥. ومحمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص٣٢٤. ودراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال عي العربية، ص٨.

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٩٧/١

٣) ابن عصفور: المقرب، ٥٣٥

٤) سيبويه، الكتاب: ٢٣٨/٤

٥) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٥٥١/٢

٦) ينظر: الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٢٢/٣. وابن يعيش: شرح المفصل، ٤٢/١٠

٧) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٩٧/١-٤٠٠. بتصرف

تبدل من همزة الاستفهام مثل هزيد منطلق يريدون أزيد منطلق؟(١).

ويـــتفق ابن عصفور مع سيبويه وابن جني والإستراباذي وابن يعيش في إبدال الهاء من الهمزة(٢).

وقد ورد مثل هذا الإبدال عند ابن السكيت حيث قال:" أزفت الماء وهزفته"(٣).

ومما يؤخذ على القدماء ومنهم ابن عصفور عدم تعليل مثل هذا الإبدال، إلا أن ابن يعيش أشـــار في شرح المفصل إلى سبب هذه الإبدال بقوله:" فقد أبدلوها منها إبدالا صالحا على سبيل التخفيف، إذ الهمزة حرف شديد مستفل، والهاء حرف مهموس خفيف، ومخرجاهما متقاربان، إلا أن الهمزة أدخل منها في الحلق"(٤).

ويـــبدو أن ســـبب إبدال الهاء من الهمزة فيما سبق يعود إلى طلب الخفة، فالهمزة صوت ثقـــيل، وهـــو صوت انفجاري ليس بمهموس ولا مجهور، فأبدلوا منها الهاء لأنها صوت خفيف مهموس، علاوة على أن كلا الصوتين من مخرج واحد وهو المخرج الحنجري: Glottal إلا أن الهاء أخرج من الهمزة، فأبدلوا الأدخل إلى الأخرج وهو الأفضل.

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ب- إبدال الهاء من الألف

يذكر ابن عصفور أن الهاء تبدل من الألف في الوقف في مثل هنا فتقول: هنه(٥).

أما سيبويه فقد نعت مثل هذا الإبدال بالقليل يقول:" كما أن تبيين الحركة بالألف قليل؛ إنما جاء في: أنا وحيهلا"(٦).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور ما جاء عند ابن جني، وابن يعيش والإستراباذي(٧).

يتضـــح ممـــا سبق أن القدماء خلطوا بين الهمزة والألف، فلذلك مخرجيهما مع الهاء من أقصى الحلق. وعدوا الألف من الصوامت، في حين أن الدرس الصوتي الحديث أثبت أن الألف هـــي فتحة طويلة لا غير، وفي مثل هذا البدل نلاحظ أن الهاء لم تبدل من الألف على حد قول

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٩٧/١-٤٠٠. بتصرف

٢) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٢٨٣/٤، و١٥٠/٣. وابن جني: سر صناعة الإعراب،٥٥١/٢-٥٥٤.
والإستراباذي: شرح الشافية، ٢٢٢/٣-٢٢٤. وابن يعيش: شرح المفصل،٤٢/١٠

٣) ابن السكيت: الإبدال، تحقيق حسين محمد شرف، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. سنة ١٩٧٨: ص٨٨

٤) ابن يعيش: شرح المفصل، ٤٢/١٠

٥) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٠٠/١

٦) سيبويه: الكتاب،٢٣٨/٤

٧) ينظر: وابن جني: سر صناعة الإعراب،٥٥٥/٢. وابن يعيش: شرح المفصل،٤٣/١٠. والإستراباذي: شرح الشافية، ٢٢٤/٣

القدماء، وإنما أبدلت من جزء من الفتحة الطويلة، والدليل على نذهب إليه النسيج المقطع للبنية، فقد أبدلت من الفتحة القصيرة نحو: hu|naa > hu|nah ومن الملاحظ أن الناطق العربي عمد إلى إقفال المقطع الأخير بصامت في حالة الوقف، بدلا من الإبقاء عليه مفتوحا.

ج- إبدال الهاء من الياء

تـبدل الهاء من الياء في هذي في الوقف والوصل، وتبدل من الياء في هنية تصغير هنة. يقول ابن عصفور:" وأبدلت من الياء في "هذي" فقالوا: "هذه" في الوقف. وقد تبدل أيضا منها في الوصـل... وأبدلـت أيضـا من الياء في تصغير هنة: هُنَيهة. والأصل " هُنَيوة" ثم هنية لأجل الإدغام، ثم أبدلوا من الياء الثانية هاء: فقالوا:"هُنَيهَة""(١).

أما سيبويه فقد ذكر إبدالها من الياء في هذي. يقول:" وأبدلت من الياء في هذي، وذلك في كلامهم قليل"(٢).

ويـتفق ابن عصفور مع ابن جني في إبدال الهاء من الياء يقول الأخير:"قولهم في "هذي هـند"، فالهـاء في هذه بدل من ياء هذي"(٣). وقال في موضع آخر:" ومن إبدال الهاء من الياء قولهم في تصغير"هنة" هنيهة...فالهاء في هنيهة، إبدل من الياء في هنية"(٤).

أما ابن يعيش فقد ذكر إبدال الهاء من الياء في هذه يقول:" وقد أبدلت الهاء من الياء في هذه والأصل هذي"(٥).

ومـن اللافـت أن القدمـاء لم يعللوا سبب هذا الإبدال، وإنما عزوه إلى الوقف. على أن السبب في مثل هذا الإبدال لا يعدو سوى كونه إقفالا للمقطع الأخير في البنية، فالبنية قبل الإبدال كانـت على هذا النحو: هذي haaðii. فأراد الناطق العربي أن يقف، فكره الوقوف على صوت انطلاقي، فأبدل الكسرة القصيرة الثانية هاء، وليس من الياء كما ذهب القدماء.

أما في هنيهة فيبدو أن المخالفة سبب في مثل هذا الإبدال. حيث عمد الناطق العربي إليها للـتخلص من ثقل التضعيف. علاوة على أن الياء بوصفها نصف حركة ضعيفة وقعت في بداية مقطع ومن المفروض أن يبدأ المقطع بصامت قوي، وعلى الرغم من أن صوت الهاء لا يتصف بملامح قوة إلا أنه يبقى أقوى من نصف الحركة. نحو: hu|nay|yah > hu|nay|hah.

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٠٠،٤٠١/١

٢) سيبويه: الكتاب، ٢٣٨/٤

٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٥٥٦/٢

٤) المرجع نفسه، ص٥٥٩،٥٦٠

٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ٤٤،٤٥/١٠

د- إبدال الهاء من الواو

اختلف العلماء القدامى في إبدال الهاء من الواو، فسيبويه كما مر سابقا لم يذكر إبدال الهاء من الواو، ومثله ابن يعيش والإستراباذي. أما ابن عصفور فقد عدها زائدة للوقف يقول:" الوجه عندي أنها زائدة للوقف"(١).

ومع هذا فقد ذكرها من الأحرف التي تبدل منها الهاء يقول:" وأبدلت من الواو في "هناه"، والأصل هناو، فأبدلت الواو هاء"(٢).

وربمـــا يعود السبب في مثل هذا الإبدال، إلى أن الناطق العربي أراد أن يقفل المقطع عند الوقف بصامت، ليس بنصف حركة ليتمكن من الوقوف عليه. نحو: ha|naaw < ha|naah. عـــلاوة على أن الواو بوصفها نصف حركة ضعيفة، وضعفت بموقعها ساكنة في نهاية مقطع، فأراد الناطق العربي أن يقف على صامت فأبدل الهاء من الواو.

هـــ- إبدال الهاء من التاء

تـــبدل الهـــاء مـــن التاء في التأنيث في الاسم، ومن تاء جمع المؤنث السالم. يقول ابن عصـــفور:" وأبدلت من تاء التأنيث في الاسم، في حال الإفراد في الوقف، نحو: طلحهْ وفاطمهْ، وحكى قطرب عن طيّئ أنهم يفعلون ذلك بالتاء من جمع المؤنث السالم، فيقولون: كيف الإخوهْ والخواه، وكيف البَنُونَ والبناهْ"(٣).

أما سيبويه فقد ذكر إبدالها من التاء التي يؤنث بها الاسم في الوقف(٤).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني وابن يعيش والإستراباذي في إبدال الهاء من تاء التأنيث في الاسم في حالة الوقف، ومن تاء جمع المؤنث السالم(٥).

يرى القدماء ومنهم ابن عصفور أن هذا الإبدال لا يكون إلا في الوقف، وذلك يعود، فيما يبدو، إلى أن الأصل في الوقف السكون. يقول ابن يعيش:" فالسكون هو الأصل والأغلب الأكثر لأنه سلب الحركة، وذلك أبلغ في تحصيل غرض الاستراحة"(٦).

وقد نص على هذا علماء الدرس الصوتي الحديث. فها هو ذا، عبد الصبور شاهين ينص

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٠٢/١

٢) المرجع نفسه: ٤٠١/١

٣) المرجع نفسه: ٤٠٢/١

٤) ينظر:سيبويه: الكتاب، ٢٣٨/٤

٥) ينظر: وابن جني: سر صناعة الإعراب،٥٦٣/٢،٥٦٢. وابن يعيش: شرح المفصل،٤٥/١٠. والإستراباذي: شرح الشافية، ٢٢٥/٣

٦) ابن يعيش: شرح المفصل، ٦٧/٩

علـــى أن " الأصـــل والأغلـــب الأكثر في الوقف هو السكون؛ ومقتضى هذا أنه لا يوقف على متحرك، وبعبارة أخرى لا يوقف على مقطع مفتوح"(١).

وهنا أبدل الناطق العربي من التاء الهاء؛ لأنها تشبه التاء في ملمح الهمس، غير أن الهاء احتكاكية، والتاء انفجارية، والاحتكاكي أوضح في السمع من الانفجاري(٢).

١٠. إبدال اللام:

تـــبدل الـــلام مـــن الضـــاد والنون. يقول ابن عصفور:" وأما اللام فأبدلت من الضاد في اضطجع، وأبدلوا اللام من النون، في أُصَيْلان تصغير أُصْلان فقالوا: أُصَيْلانا وأُصَيْلالا"(٣).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في مثل هذا الإبدال، يقول الأخير:" ومثل ذلك قول بعض العـــرب: الطجـــع في اضطجع، أبدلوا اللام مكان الضاد، كراهية التقاء المطبقين، فأبدل مكانها أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف"(٤).

وقـــال أيضـــا:" وقـــد أبدلـــوا اللام من النون، وذلك قليل جدا؛ قالوا: أصيلال، وإنما هو أصيلان"(٥).

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني وابن يعيش والإستراباذي في بدل اللام من الضاد والنون في أصيلان(٦).

ويمكن تفسير مثل هذا الإبدال على النحو الآتي:

ض + ط --> ل + ط

اجتمع في هذه البنية صوتا الضاد والطاء، وهما صوتان يجمع بينهما ملمح التفخيم، فضلا عـــن وقـــوع صـــوت الضاد ساكنا في نهاية مقطع، نحو: اضطجع id|ṭa|ḍ͡ʒa|ca?، مما أدى إلى إضعافه بالسكون. وقد حصل بين هذين الصوتين المتماثلين في ملمح التفخيم تخالف صوتي تمثل فـــي استبدال صوت اللام بصوت الضاد على النحو التالي: الطجع؛ وذلك لأن صوت اللام أكثر وضوحا في السمع من صوت الضاد(٧).

---

١) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٧٣

٢) ينظر: محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص٢٣٥

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٠٣/١

٤) سيبويه: الكتاب، ٤٨٣/٤

٥) المرجع نفسه، ص٢٤٠

٦) ينظر: وابن جني: سر صناعة الإعراب، ٣٢١/١. وابن يعيش: شرح المفصل، ٤٥،٤٦/١٠. والإستراباذي: شرح الشافية، ٢٢٦/٣

٧) ينظر: محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص٣٠٩،٣١٠. ومن العوامل الصوتية في تشكل البنية العربية، ص٢٩

أما أصيلال فيبدو أن سبب الإبدال عائد إلا المخالفة الصوتية، وذلك للتخلص من اجتماع الأمثال نحو: أصيلال > أصيلان ʔu|say|lal > ʔu|say|lan . علاوة على أن كلا الصوتين – أعني اللام والنون – يلتقيان في الملمح المائع Liquid. إضافة إلى أنهما من مخرج واحد.

١١. إبدال الألف:

تبدل الألف من أربعة أحرف. يقول ابن عصفور:" وأما الألف فأبدلت من أربعة أحرف، وهي: الهمزة، والياء، والواو، والنون الخفيفة"(١).

ويتفق ابن عصفور مع سيبويه في إبدال الألف من الأحرف السابقة، غير أن الأخير لم يذكر هنا إبدالها من الهمزة؛ لأنه ذكرها في باب تخفيف الهمزة يقول:" والألف تكون بدلا من الياء والواو... والتنوين في النصب تكون بدلا منه في الوقف والنون الخفيفة، إذا كان ما قبلها مفتوحا نحو رأيت زيدا، واضربا"(٢).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن جني:" أبدلت الألف من أربعة أحرف، وهي: الهمزة، والياء، والواو، والنون الخفيفة"(٣).

وقد ورد إبدال الألف من الأحرف السابقة عند ابن يعيش و الإستراباذي(٤).

ولم يذكر ابن عصفور هنا إبدال الألف من الواو والياء لأنه من باب القلب. وآثرت أن أعالج إبدالها من الهمزة في موضوع الإعلال إن شاء الله تعالى. والذي نذكره هنا إبدال الألف من النون فقط.

<u>أ- إبدال الألف من النون</u>

يبين أبن عصفور أن الألف تبدل من النون في ثلاثة مواضع وهي:

أولا: في الوقف على المنصوب المنون غير المقصور نحو:" رأيت زيدا " وذلك للتعريف بين النون الزائدة على الاسم بعد كماله، والنون التي هي من كمال الاسم.

ثانيا: الوقوف على النون الخفيفة، اللاحقة للأفعال المضارعة للتأكيد، نحو: هل تضربا. تريد هل تضربن؟

ثالثا: الوقف على نون إذن نحو: أزورك إذا. تريد: إذن. وذلك لأن هذه النون تضارع نون الصرف ونون التأكيد في السكون، وما قبلها مفتوح، وكونها قد جاءت بعد

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٠٤/١

٢) سيبويه: الكتاب، ٢٣٨/٤

٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٦٦٤/٢

٤) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ١٦/١٠. والإستراباذي: شرح الشافية، ٢٠٨،٢٠٩/٣

حرفين وهما أقل ما يكون عليه الاسم المتمكن(١).

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني وابن يعيش والإستراباذي في إبدال الألف من النون في المواضع السابقة(٢).

يعود السبب في مثل هذا البدل إلى أن صوتي النون والتنوين وقعا ساكنين في نهاية مقطع نحو: zay|dan، و ʔid|ri|ban، و ʔiʃ|ʃan . علاوة على أن التنوين يتبع الحركات الإعرابية فكما لا يوقف على الإعراب، فكذلك لا يوقف على التنوين. على حد قول ابن يعيش(٣).

ومن اللافت أن التنوين أو النون في الأمثلة السابقة الذكر لم تبدل من الألف – الفتحة الطويلة – على حد قول القدماء. وإنما كل ما جرى هو إطالة الفتحة القصيرة فتحولت إلى فتحة طويلة نحو: zay|daa، ʔid|ri|baa، ʔiʃ|ʃaa . أي النون والتنوين أبدلا من الفتحة القصيرة. وذلك لأن الفتحة الطويلة أوضح في السمع من النون من جهة، ومن جهة أخرى أن النون تشبه الألف – الفتحة الطويلة – من الناحية الصوتية لما فيها من الغنة وما في الفتحة الطويلة من المد. إضافة إلى أن النون والتنوين سبقا بضمة قصيرة فأراد الناطق العربي أن يلتمس الخفة في الوقف، فأطال الحركة القصيرة ليكون عمله في موضع واحد.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١٢. ما لم يذكره سيبويه من حروف الإبدال:

بعد أن انتهى ابن عصفور من ذكر حروف الإبدال الشائع، التي وجدت عند سيبويه وغيره من القدماء، شرع ببيان الأحرف التي لم يذكرها سيبويه في باب إبدال الحروف ويعود السبب في عدم ورود هذه الأحرف عند سيبويه، إلى أن الإبدال في قسم منها يراد به تقريب الحرف من غيره، فذكر في البدل الذي يكون السبب الإدغام؛ لأنه يشبهه مثل: إبدال الصاد من السين إذا كان بعدها أحد حروف الاستعلاء. وقسم آخر يكون الإبدال فيه قليلا جدا فلم يعتبره، لأنه نوع من اللهجات غير المنتشرة. ويبدو أن ابن عصفور ذكرها بعد حروف البدل؛ ليحيط بحروف الإبدال كافة. يقول ابن عصفور: "وزاد بعض النحويين في حروف البدل: السين، والصاد، والزاي، والعين، والكاف، والفاء، والشين"(٤).

ومثل هذا الإبدال لا يعدو كونه – في الأعم الأغلب – من قبيل اللهجات، التي يطلق عليها علماء الدرس الصوتي الحديث ديافونات، فلذلك لم توجد عند جل العلماء القدامى، لأنها سماعية

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٠٦/١-٤٠٩. بتصرف

٢) ينظر: وابن جني: سر صناعة الإعراب،٦٧٥/٢-٦٨٠. وابن يعيش: شرح المفصل،٢١/١٠،٢٠ والإستراباذي: شرح الشافية، ٢٠٩/٣

٣) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ٦٩/٩

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤١٠/١

لا يقاس عليها. ومما يؤخذ على العلماء القدامى أنهم ذكروا هذه الظاهرة النطقية دونما تفسير أو توضيح. وفيما يأتي بيان لكل حرف من هذه الأحرف على حدة وتفسيره تفسيرا يتفق والدرس الصوتي الحديث قدر الإمكان.

أ. إبدال السين:

السين: تبدل السين من الشين في نحو: الشده ومشدوه، فتصير بعد البدل السده ومسدوه. يقول ابن عصفور في ذلك: "فأما السين فأبدلت من الشين في(الشده) و(مشدوه)، فقالوا السّده ومسدوه"(١).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في هذا البدل، يقول الأخير: "السين بدل من الشين في السده والشده، ورجل مشدود ومسدود، والشين أصل، لكونها أكثر تصرفا"(٢).

ويمكن تعليل مثل هذا الإبدال من الناحية الصوتية، بأن السين أخت الشين في الهمس والاحتكاك والصفير، غير أن الشين زادت عليها التفشي، ومثل هذا الإبدال يكون أحيانا من قبيل اللثغة، أو هو من قبيل الديالوفونات.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب. إبدال الصاد:

تبدل الصاد من السين إذا كان بعدها أحد الأصوات الآتية: القاف، الخاء، الطاء، الغين. يقول ابن عصفور في ذلك:"وأما الصاد فتبدل من السين إذا كان بعدها قاف، أو خاء،أو طاء أو غين. فتقول في سقر وسراط وسخر وأسبغ: صقر، صراط، وصخر، وأصبغ. والسبب في ذلك أن القاف والطاء والخاء والغين حروف استعلاء، والسين حرف منسفل، فكرهوا الخروج من تسفل إلى تصعد، فأبدلوا من السين صادا، ليتجانس الحرفان"(٣).

وقد ذكر سيبويه هذا الإبدال في باب ما تقلب فيه السين صاد في بعض اللغات يقول:"تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك نحو: صقت وصبقت، وذلك أنها من أقصى اللسان، وتصعدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى... فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف، ليكون العمل من وجه واحد، وهي الصاد، لأن الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للإطباق... والخاء والغين في منزلة القاف وذلك نحو: صالغ في سالغ، وصلخ في سلخ... وقالوا صاطع في ساطع، لأنها في التصعد مثل القاف وهي أولى بذا من القاف لقرب

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤١٠/١٠

٢) الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٠٣/٣

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤١١/١، ٤١٠

المخرجين والإطباق"([1]).

ويـــتفق ابن عصفور مع ابن جني في إبدال الصاد من السين. يقول: "وإذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء، جاز قلبها صادا"([2]).

وممـــا يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول الإستراباذي: "اعلم أن هذه الحروف – يعني الخـــاء والغين والقاف والطاء– مستعلية، والسين مهموس مستفل، فكرهوا الخروج منه إلى هذه الحـــروف، لثقله، فأبدلوا من السين صادا؛ لأنها توافق السين في الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء، فتجانس الصوت بالقلب"([3]).

ويـــتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في إبدال الصاد من السين إذا كان بعدها أحد الأحرف السابقة الذكر.([4])

ويمكن تعليل مثل هذا الإبدال من الناحية الصوتية بما يأتي:

س + ق، غ، خ، ط --> ص + ق، غ، خ، ط

أثر الأصوات السابقة المتسمة بملمح التفخيم في صوت السين المتسم بملمح الترقيق تأثيرا رجعـــيا فحولته إلى صوت الصاد، وذلك لأنه يشبه صوت السين في الهمس والاحتكاك، وقريب من الأصوات المؤثرة في التفخيم، علاوة على أن صوتي القاف والطاء يتسمان بملمح الانفجار، وصوت الغين يتسم بملمح الجهر. والجهر والانفجار من ملامح القوة التي تمكن الصوت المتسم بهمـــا مـــن التأثير في غيره من الأصوات. وقد وفق ابن عصفور وغيره من القدماء في تفسير سبب هذا الإبدال الذي يقصد إلى طلب الخفة الناجمة من التجانس بين الصوتين المتجاورين في الملمـــح، وذلك ليتخلصوا من الإصعاد، وليكون عملهم من موضع واحد. ومثل هذا الإبدال يعد من قبيل الألوفونات لأنه ناتج عن التأثير السياقي.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

ج. إبدال الشين:

تبدل الشين من صوتي الكاف والجيم. وقد نص ابن عصفور على ذلك بقوله: "وأما الشين فأبدلـــن من كاف المؤنث في نحو: ضربتك فقالوا: ضربتش. وأبدلت من الجيم في مدمج فقالوا: مدمش"([5]).

---

١) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٨٠، ٤٧٩

٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/٢١١، ٢١٢

٣) الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، ٢/٢٣٠

٤) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/٥٢، ٥١

٥) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ١/٤١١

ويتفق ابن عصفور مع ابن جني والإستراباذي في هذا البدل.(١)

ويمكن تعليل مثل هذا البدل صوتيا على النحو الآتي:

الشين من كاف المؤنث هي عادة لهجية كانت سائدة عند بعض القبائل العربية. وقد أصبحت تميز بين المذكر والمؤنث. ومما يدل على أنها لهجة، فإن الصوت الناتج ليس شينا خالصة وإنما مكون من ثلاثة أصوات (T c h) ، وقد أثبت الدرس الصوتي الحديث أن اللغة العربية لا تحتوي بين فونيماتها فونيما مركبا من ثلاثة فونيمات وإنما يحتوي فقط على فونيم الجيم وهو مركب من فونيمين فقط. والتعليل الصوتي لهذه الظاهرة النطقية نص عليه عبد القادر عبد الجليل يقول: "إن صوت الكاف إذا سبقت أو تليت بصوت صائت أمامي ضيق وهو الكسرة، أو نصف متسع كالفتحة وألف المد المتسع، فإنها تجذب الكاف إلى الأمام حيث تخرج وسط الحنك الذي هو موضع الجيم والشين والياء"(٢).

أما إبدال الشين من الجيم فهو ممكن الوقوع في بعض البيئات النطقية لوجود وشائج صوتية بين الصوتين المبدلين، فهما من مخرج واحد، والشين احتكاكية وصوت الجيم مركب من الانفجار والاحتكاك. ومهما يكن من أمر فإن إبدال الشين من الصوتين السابقين هو من قبيل اللهجات الذي يطلق عليه المحدثون مصطلح دياقون.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

د. إبدال الزاي:

تبدل الزاي من الصاد إذا كان بعدها دال أو قاف. يقول ابن عصفور في هذا: "وإما الزاي فأبدلت من الصاد، إذا كان بعدها قاف أو دال. فقالوا مصدق ومصدوقة: مزدق ومزدوقة وإنما تفعل ذلك قبيلة كَلْب"(٣).

وقد تناول سيبويه هذا التغيير في البنية في باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه يقول: "وأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كان بعدها الدال. وذلك نحو: مصدر وأصدر، والتصدير، لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة... فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي، لأنها مجهورة وغير مطبقة ولم يبدلوها زايا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق... وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد"(٤).

---

١) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/٢٠٥، ٢٠٧. والإستراباذي: شرح الشافية، ٣/١٩٩

٢) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص١٣٥

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ١/٤١٢

٤) سيبويه: الكتاب، ٤/٤٧٨، ٤٧٧.

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي وابن يعيش في إبدال الزاي من الصاد الساكنة إذا كان بعدها دال.(١).

ويمكن تفسير مثل هذا الإبدال من الناحية الصوتية كما يأتي:

ص + د --> ز + د.

أثـر صـوت الدال المتسم بالجهر والانفجار في صوت الصاد المتسم بالإطباق والصفير تأثـيرا رجعيا فحوله إلى صوت شبيهه بالصوتين - أعني الدال والصاد - وهن صوت الزاي نحو: مَصْدر > مَزْدر maṣ|dar > maz|dar.

ويمكـن تعليل مثل هذا التغيير الصوتي بأن صوت الزاي شبيه بصوت الصاد في ملمح الصفير والمخرج، وهو يشبه صوت الدال في الجهر والمخرج أيضا.

علاوة على أن صوت الصاد وقع ساكنا في نهاية مقطع، فقد ضعف بالسكون والموقعية. ولكـنه قـاوم وحافظ على ملمح الصفير فلذلك لم يقلب دالا خالصة وليس كما ذهب القدماء إلى القول بعدم قلبه دالا خالصة حفاظا على إطباقه لأن الصوت المبدل لا إطباق فيه، والعلاقة الآتية توضح ذلك:

ز ← ص صفير

جهر

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هـ. إبدال العين:

تـبدل العين من الهمزة في بعض البيئات اللهجية وهي ما أطلق عليها القدماء عنعنة تميم يقول ابن عصفور في هذا الإبدال: "وأما العين فأبدلت من همزة(أن) فقالوا:(عن). وقد أبدلت من همـزة(أن) فقـالوا:(يعجبني عن عبد الله قائم) يريدون: أن عبد الله قائم. وأبدلت من الهمزة في مؤتلي وقالوا: معتلي"(٢).

ويـتفق ابن عصفور مع ابن جني في إبدال العين من الهمزة، وقد نسبها الأخير إلى قبيلة تميم، ويطلق عليها عنعنة تميم.(٣)

وفيما يبدو أن مثل هذا الإبدال يتفق وطبيعة الرجل البدوي الذي يميل إلى الإظهار، على حد قول عبد القادر عبد الجليل.(٤)

ويعـود السـبب في مثل هذا الإبدال إلى أن هناك وشيجة صوتية بين الصوتين المبدلين، وهي التقارب في المخرج، علاوة على أن صوت العين أكثر وضوحا في السمع من الهمزة.

---

١) ينظر: الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/٢٣٢،٢٣١. وابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/٥٤،٥٣

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ١/٤١٣

٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/٢٣٠،٢٢٩

٤) ينظر: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص١٣٢

وقالوا: حدف في حدث، والأصل الثاء، لقولهم في الجمع أحداث، ولم يقولوا أحداف"([1]).

وممـــا يؤيد ما ذهب إليه ابن عصفور قول ابن جني: "وأما البدل فأخبرني أبو علي قراءة علـــيه بإسناده إلى يعقوب أن العرب تقول في العطف:(قام زيد فم عمرو). وكذلك قولهم:(حدف وحدث) والوجه أن تكون الفاء بدلا من الثاء؛ لأنهم قد أجمعوا في الجمع على أحداث، ولم يقولوا أحداف"([2]).

ويتفق ابن عصفور مع الإستراباذي في مثل هذا الإبدال.([3])

ويمكن تعليل مثل هذا الإبدال من الناحية الصوتية أن الصوتين ببينهما تقارب في المخرج علاوة على اتفاقهما في الملامح، فكلاهما مهموس احتكاكي. وهذا الإبدال من قبيل الديافونات.

ز. إبدال الكاف:

أبدلـــت الكـــاف فـــي اللهجات العربية من تاء الضمير المخاطب، وهذا الإبدال من قبيل الديافونات يقول ابن عصفور في هذا الإبدال: "وأبدلت الكاف من تاء ضمير المخاطب في(فعلت فقالوا: فعلك وأنشد سيبويه القصيدة، فقال:(أحسنك والله)، يريد:(أحسنت والله)"([4])

ويتفق ابن عصفور مع ابن يعيش في هذا الإبدال.([5])

ويمكـــن تعليل مثل هذا الإبدال من الناحية الصوتية، أن كلا الصوتين مهموس انفجاري. فالكاف أخت التاء في الهمس والانفجار.

من الملاحظ في هذه الأحرف، موضوع الدراسة، أنها منتشرة – في الأعم في الأغلب – فـــي بيـــئات لهجية ولكن وجد منها إبدالا ناتجا عن التأثر السياقي مثل: إبدال الصاد من السين وإبـــدال الـــزاي من الصاد. مثل هذا يطلق عليه علماء الأصوات(فاريفون) أما ما تبقى فهو من قبيل الديافونات. ومهما يكن، فإن هذا الإبدال يوجد فيه علامة صوتية بين الصوتين المبدلين، أما في الملامح، أو في المخرج.

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤١٤/١

٢) ابن حني: سر صناعة الإعراب، ٢٤٨/١

٣) ينظر: الإستراباذي: شرح الشافية، ٢٠١/٣

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤١٤/١

٥) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/ ٢٨٠، ٢٨١

ثالثا: الإعلال:

أ. تعريف الإعلال:

لم يتعرض ابن عصفور إلى تعريف الإعلال، شأنه في ذلك شأن سيبويه وابن جني، ولكنه اكتفى بذكر أنواعه من قلب، وحذف، ونقل، وبين أحرف الإعلال وهي: الألف، والواو، والياء، وأضاف إليها الهمزة في بعض البنى([1]).

غير أن بعض العلماء القدامى أمثال الإستراباذي، وشارح المفصل، وغيرهما، قاموا ببيان المقصود بهذا المصطلح. فيعرفه الأول بقوله:" الإعلال مختص بتغيير حروف العلة: أي الألف والواو والياء. بالقلب أو الحذف أو الإسكان"([2]).

ويعرفه الثاني بقوله:" معنى الإعلال التغيير والعلة تغيير المعلول عما هو عليه، وسميت هذه الحروف حروف علة لكثرة تغيرها"([3]).

والإعلال، عند المحدثين، لا يختلف كثيرا عما جاء به القدامى: وقد عرفه عبد الصبور شاهين بقوله:" الإعلال ما تتعرض له أصوات العلة من تغيرات، بحلول بعضها محل بعض، وهو ما يسمونه "إعلال بالقلب"، أو بسقوط العلة بكاملها، ويسمونه "إعلال بالحذف"، أو بسقوط بعض عناصر صوت العلة، وهو ما يسمونه "إعلال بالنقل" أو "التسكين" "([4]).

ويعرفه محمد جواد النوري بقوله:" الإعلال نوع من الدراسة الصرفية لما تتعرض له الحركات vowels وأنصاف الحركات semi-vowels – وهي التي أطلق عليها القدماء مصطلح حروف العلة، والهمزة، في بعض البنى اللغوية – من تغييرات تتم بحلول بعضها محل بعض، وهو ما يسمى "الإعلال بالقلب"، أو بسقوط بعض هذه الأصوات، أو تغر موضعها في البنية، وهو ما يسمى "الإعلال بالنقل أو التسكين"، أو بسقوط هذه الأصوات بكاملها من البنية، وهو ما يسمى "الإعلال بالحذف""([5]).

وسنحاول، في هذا الموضوع، بيان العلاقة القائمة، أو التي يمكن أن تقوم، بين قضايا الإعلال التي تعرض لبعض البنى في العربية، من جهة، والدرس الصوتي، الذي يعد رافدا يغذي الدرس الصرفي، من جهة أخرى. وهذا النوع من الدرس اللغوي يعد واحدا من الموضوعات الصرفية الصوتية التي يطلق عليها مصطلح علم الأصوات الصرفي

---

١ ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٢٥/٢. والمقرب، ٥٤٢. بتصرف

٢ الإستراباذي: شرح الشافية، ٦٦/٣-٦٧

٣ ابن يعيش: شرح المفصل، ٥٤/١٠

٤ عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٦٧

٥) محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية،ص٢

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

Morphophonemics. يقـول محمـد جواد النوري:" إن معظم التغيرات التي تعرض للبنى اللغويـة، التـي تطـرأ عليها عمليات الإعلال والإبدال، هي من قبيل التغيرات الفونولوجية أو التغـيرات الوظيفـية Phonological/Functional changes التي تستتبع تعديلا فونيميا في البنـية اللغويـة، والتـي تهدف، منفردة ومجتمعة، إلى توفير قدر من الانسجام بين الأصوات المتجاورة في داخل البنى اللغوية وذلك من أجل تحقيق السهولة في النطق والخفة في الأداء"(١).

وقـد تناول ابن عصفور هذا الموضوع تحت باب "القلب والحذف والنقل"، وصنف المادة المتعلقة بهذا الموضوع حسب ترتيب بنية الكلمة، فبدأ بمعتل الفاء، وعرض كل ما يتعلق به من أقسام الإعلال السابقة، ثم معتل العين، ثم معتل اللام. وقد تم الاتفاق مع الاستاذ المشرف على ترتيـب المـادة العلمية عند عالمنا موضع الدراسة ترتيبا يتناسب مع المعالجة الحديثة للقضايا الصـوتية الصـرفية. فتم جمع ما قاله ابن عصفور في الإعلال بالقلب ثم الإعلال بالحذف ثم الإعلال بالنقل، ثم معالجة هذه الأقوال معالجة حديثة وذلك لأن هذا الترتيب يخلص الباحث من التكرار، وفيما يأتي بيان أقسام الإعلال عند ابن عصفور وهي كالآتي:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب. الإعلال بالقلب:

١. قلب الألف إلى همزة

تـناول ابـن عصفور، هذا الموضوع، في باب البدل، وقد ذكرت في ذلك الباب إلى أن معالجـته إبـدال الهمزة من أحرف العلة، أو العكس، سيكون في موضوع الإعلال، وذلك لأنها اطـردت في هذا الباب من جهة، وللتخلص من التكرار من جهة أخرى. وقد ذكر ابن عصفور الحـالات التـي تقلب فيها الألف التي هي الفتحة الطويلة في الدرس الصوتي الحديث. غير أنه خلط كثيرا في هذه الحالات وخالف جمهور النحاة فيها. فهو يرى أن الهمزة في كساء وبناء إنما هي منقلبة عن ألف وهذا يتنافى مع ما جاء به علماء العربية القدامى، وكذلك يرى أن الهمزة في اسـم الفاعل الأجوف الثلاثي منقلبة عن ألف وهذا أيضا يتنافى مع ما جاء به الدرس الصرفي القديـم إذ أنـه لا يوجـد ألف أصلا حتى تنقلب إلى همزة وإنما الأصل الواو أو الياء قلبتا إلى همـزة. فيقول ابن عصفور في ذلك:"ومن هذا القبيل إبدالها من الواو والياء، إذا وقعتا طرفا بعد ألف زائدة، نحو كساء ورداء، وذلك أن الأصل كساو ورداي فتحركت الواو والياء وقبلهما فتحة، وليس بينها وبينهما حاجز إلا الألف، وهي حاجز غير حصين، لسكونها وزيادتها، والواو والياء محـل التغيير – أعني طرفا – فقلبتا ألفا. فاجتمع ساكنان: الألف المبدلة من الياء أو الواو، مع الألف الزائدة فقلبت همزة"(٢).

---

١) محمد جواد النوري:علم أصوات العربية، ص٣٢٠

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٢٦/١

ويقول في عين اسم الفاعل للفعل الثلاثي الأجوف:" ومن هذا القبيل أيضا، عندي، إبدالهم الهمـــزة من الياء والواو، إذا وقعتا عينين في أسم الفاعل، بعد ألف زائدة، بشرط أن يكون الفعل الـــذي أخذ منه اسم الفاعل قد اعتلت عينه نحو: قائم وبائع. والأصل فيهما قاوم وبايع، فتحركت الـــواو والياء، وقبلهما فتحة، وليس بينها وبينهما حاجز إلا الألف الزائدة، وقد كانت الواو والياء قـــد اعتلـــتا فـــي الفعل في قام وباع، فاعتلتا في اسم الفاعل حملا على الفعل فقلبتا ألفا، فاجتمع ساكنان فأبدل من الثانية همزة"(١).

ويذهب ابن عصفور إلى أن الهمزة تبدل من ألف التأنيث في صحراء وحمراء وغيرهما يقول في ذلك:"ومن قبيل ما أبدلت الهمزة فيه من الألف باطراد، إبدالهم الهمزة من ألف التأنيث في نحو: صحراء وحمراء وأشباههما"(٢).

وهـــذا الذي ذهب إليه يخالف ما جاء عند العلماء القدامى إذ أن أصل الهمزة في المثالين السابقين واو بدليل أنهما يجمعان على صحراوات وحمراوات.

يبدو أن ابن عصفور لم يعد بالزائد فجعله كأنه غير موجود وأعل الواو والياء لتحركهما وانفتاح ما قبل الألف الزائدة. فقلبهما إلى ألف التقت مع الألف الزائدة فقلبت الألف الثانية همزة. وهـــذا في نظرنا، ونظر العلماء القدامى والمحدثين فيه التواء عن الصواب فأحرى به أن يضع هذه الحالات تحت قلب الواو والياء إلى همزة. وسأعالجها تحت هذا العنوان.

غـــير أن ابـــن عصفور اتفق مع القدماء في قلب الألف إلى همزة إذا وقعت الألف وهي الفتحة الطويلة زائدة بعد ألف الجمع، نحو: رسائل في جمع رسالة. يقول ابن عصفور:" وأبدلت باطـــراد من الألف الزائدة، إذا وقعت بعد ألف الجمع، في نحو "رسائل" جمع "رسالة" هروبا من التقاء الساكنين: ألف الجمع وألف رسالة فقلبت همزة، لأن الألف لا تقبل الحركة، والهمزة قريبة المخرج من الألف، وحركت الهمزة بالكسر على أصل التقاء الساكنين"(٣).

إن الألف التي ذكرها ابن عصفور ساكنة ليست حركة طويلة وهي الفتحة الطويلة، ويرى أن هـــذه الحركة قريبة المخرج من الهمزة وهذا يتنافى مع ذهب إليه الدرس الصوتي الحديث إذ أن الهمـــزة صـــوت لا بالمهموس ولا بالمجهور(٤) في حين أن الفتحة الطويلة صوت مجهور عـــلاوة علـــى أن الفـــتحة الطويلة صوت انطلاقي تخرج من منطقة الفم، وبعيدة عن الحنجرة

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٢٧/١-٣٢٨

٢) المرجع نفسه، ٣٣٩/١

٣) المرجع نفسه، ص٣٢٦

٤) ينظر: كمال بشر: علم اللغة العام الأصوات، ص١٤٢، ١١١

والحلق واللهاة، فالمخرجان متباعدان(١).

ويمكن تحليل هذا المثال من الناحية الصوتية والمقطعية على النحو الآتي:

رسال: ra|saa|aal --> رسائل: ra|saa|ʔil

يوضح لنا النسيج المقطعي للبنية السابقة، أن المقطع الأخير فيها بدأ بحركة طويلة، وهي الفتحة الطويلة، وهذه الفتحة هي التي يسميها القدماء ألفا، متلوة بصامت على النحو الآتي: aal: ح ح ص، وهذا المقطع لا تجيزه العربية، لا بل هو غير موجود في أشكال مقاطعها لأن المقطع العربي يجب أن يبدأ بصامت لا حركة، وقد ورد مثل هذا الكلام عند علماءنا القدامى، فها هو ذا صاحب الرعاية ينص على أن الألف – أي الفتحة الطويلة – حرف " لا يبتدأ بها أبدا"(٢). ومن الملاحظ أن الفتحة الطويلة في المقطع المحظور سبقت بفتحة طويلة أيضا، وهذا من شأنه أن يحدث تتابعا للأصوات الانطلاقية على نحو يضعف من تركيب عناصر الكلام على حد قول محمدجواد النوري(٣). ومن اللافت للنظر أن المقطع الأخير aal لا يشكل صورة خفيفة لمكونات المقطع، الذي تشكل فيه الحركة موقع القمة، في حين تشغل طرفيه، أي المطلع والخاتمة، الصوامت(٤). وفي مثل هذا الصدد يقول عبد الصبور شاهين:" إن المقطع مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة، ومن المعلوم أن الصوامت تمثل دائما القواعد، وأن الحركات تمثل دائما القمم، من حيث كانت أعلى الأصوات في درجة الإسماع فتتابع الأصوات الانطلاقية على هذه الصورة لا يشكل المقطع، وهو لذلك يضعف من تركيب عناصر الكلام. ولذلك كان بعض قبائل العرب يكره الحركات الطويلة، ويعمد من أجل تجنبها إلى همزها(٥).

إن كل ما حدث في مثل هذه الحالة، يتمثل في أن الناطق قام بإعادة تشكيل النسيج المقطعي المحظور، أي المقطع الأخير، وذلك بقلب المكون الأول للفتحة الطويلة إلى حرف قوي ليبدأ به المقطع، وهو الهمزة، فأصبح على النحو الآتي: ra|saa|ʔal، ومن ثم أراد الناطق نفسه أن يزيد في قوة المقطع فقلب الفتحة القصيرة المتبقية من الفتحة الطويلة وهي حركة خفيفة إلى كسرة قصيرة، وهي حركة قوية، فأصبحت البنية على هذا النحو: رسائل ra|saa|ʔil، لقد أدى هذا القلب إلى إحداث تخالف بين الأصوات الانطلاقية من شأنه أن يسهل عملية النطق(٦).

---

١) ينظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٧٢. بتصرف.

٢) مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص١٣٤

٣) محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص١٤

٤) محمد جواد النوري: فصول في علم الأصوات، ص١٦٧

٥) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٥٧

٦) ينظر: محمد جواد النوري: دراسة صوتية، ص١٤. بتصرف قليل.

٢. قلب الواو والياء إلى همزة

ذكـــر ابن عصفور الحالات التي تقلب فيها الواو أو الياء إلى همزة. ويمكن تلخيص هذه الحالات على النحو الآتي:

١- أن تتطرف إحداهما بعد ألف زائدة. وقد ذكرها ابن عصفور تحت عنوان قلب الألف إلى همزة، وقد بينا الخلط الذي وقع فيه ابن عصفور فيما سبق.

٢- أن تقع إحداهما عينا لأسم فاعل فعل أعلت فيه. وهذه من المسائل التي خلط فيها ابن عصفور أيضا.

٣- أن تقع إحداهما بعد ألف صيغة منتهى الجموع "مفاعل" وقد كانت مدة زائدة في المفرد.

يقـــول ابن عصفور في الواو:" فإن لم يكن قبل الألف واو ولا ياء، فلا يخلو من أن تكون الـــواو فـــي المفـــرد زائـــدة للمـــد، أو لا تكـــون، فـــإن كانت زائدة قلبت همزة نحو: "حلوبة" و"حلائـــب".وســـبب ذلك أنها اجتمعت ساكنة مع ألف الجمع، ولا أصل لها في الحركة فتحرك، فأبدلـــت همـــزة، لأن الهمزة لا تقبل الحركة"(١). ويقول في الياء:" الياء تبدل همزة باطراد إذا وقعت بعد ألف التي في الجمع الذي لا نظير له في الآحاد، بشرط أن تكون قد زيدت في المفرد للمد، نحو: صحيفة وصحائف وكتيبة وكتائب"(٢).

٤- أن تقع إحداهما ثاني حرفين لينين بينهما ألف مفاعل، سواء أكان اللينان واوين نحـــو: أواول جمع أول، أم ياءين نحو: عيايل، جمع عيل، أم مختلفتين نحو: سياود، جمع سيد. ففـــي هـــذه الأمثلة تقلب كل من الواو والياء الثانية إلى همزة فتصبح الكلمات: أوائل، وعيائل، وســـيائد على الترتيب. وفي هذا يقول ابن عصفور:" فإذا كانت مكسورة أو واقعة موقع حرف مكســـور – يعني الواو – فلا يخلو أن تقع بعد ألف الجمع الذي لا نظير له في الآحاد أو لا تقع فإن وقعت بعدها فلا يخلو أن يكون قبل الألف ياء أو واو، أو لا تكون، فإن كان قبلها واو أو ياء لـــزم قلب الواو همزة إن كانت تلي الطرف،منقول في جمع أول أوائل، وفي جمع سيِّد: سيائد. والأصـــل أواول وسياود، فقلبت الواو همزة، لاستثقال الواوين والألف أو الياء والواو والألف، وبناء الجمع الذي لا نظير له في الآحاد"(٣).

ويقول في الياء:" فإن لم تكن الياء زيدت في المفرد للمد لم تهمز، إلا بشرط أن تكون تلي الطـــرف لفظا أو نية، وبشرط أن يكون ألف الجمع واوا أو ياء، فتقول في جمع "عيِّل" "عيائل" فتهمز لثقل البناء مع اجتماع حروف العلة، وهي الياءان والألف، مع قرب من محل التغيير وهو

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٣٩/١-٣٤٠

٢) المرجع نفسه، ٣٤٣/١

٣) المرجع نفسه، ٣٣٧/١-٣٣٨

الطرف"([1]).

٥- إذا اجتمعت في أول الكلمة واوان متحركان نحو: أواصل وأول. يقول ابن عصفور:" الواو لا يخلو أن تكون أولا، أو غير أول. فإن كانت أولا فلا يخلو أن تكون وحدها أو ينضاف إليها واو أخرى، فإن انضافت إليها أخرى أبدلت الأولى همزة، هروبا من ثقل الواوين، وذلك نحو قولهم في جمع "واصل" "أواصل". أصله"وَواصل"، فقلبت الواو همزة، وكذلك "أوّل" أصله "وُوَل" "([2]).

وفيما يأتي بيان التحليل المقطعي والصوتي للحالات السابقة لبيان أوجه الخلاف بين ابن عصفور والمحدثين من علماء الدرس الصوتي الحديث:

الحالة الأولى:

وقعت في أمثلة هذه الحالة، كل من الواو والياء، وهما نصفا حركة semi-vowel في نهاية مقطع طويل مغلق(ص ح ح ص). وكانتا مسبوقتين بفتحة طويلة، وذلك على النحو التالي:

كساو :ki|saaw، رداي: ri|daay

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن المعلوم أن الواو(w)، والياء(y) تشتركان مع الحركات الصرفة أو الخالصة، الفتحة، والكسرة، والضمة، vowels في الملمح التقاربي Approximant feature.ويقصد بهذا الملمح "اقتراب عضوي نطق من بعضهما دون أن يصل هذا التقارب بينهما حد الاحتكاك. ويطلق بعض اللغويين على هذا النوع من الأصوات مصطلح الصوت المستمر غير الاحتكاكي Frictionless continuant"([3]). غير أن هناك فرقا بين نصفي الحركة: الواو، والياء من جهة، والحركات الأخرى من جهة أخرى، يتمثل في أن ممر الهواء في القناة الصوتية، في أثناء إنتاج الأصوات الأولى، يكون أقل اتساعا من الوضع الذي يكون عليه ذلك الممر في أثناء إنتاج الحركات. ولكن الجامع بين هذين النوعين من الأصوات هو أن مجرى الهواء، في أثناء عملية الإنتاج الصوتي يكون أكثر انفتاحا واتساعا مما هو عليه في أثناء الصوامت الاحتكاكية([4]).

وقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أن "الياء والواو يمثلان المرحلة التي عندها يمكن أن ينتقل الصوت الساكن(أي الصامت) إلى صوت لين(أي حركة) "([5]). وقد ذهب بعض اللغويين إلى أن

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٤٣/١

٢) المرجع نفسه، ٣٣٢/١

٣) محمد جواد النوري: فصول في علم الأصوات، ص٩٤

٤) ينظر: محمد جواد النوري، دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٧

٥) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٤٢

الـــواو والياء "ليستا كسائر الحروف"([1]). ويرى هنري فليش "أنهما صامتان ضعيفان"([2]). بل إن برجشتراسر يعد "الواو بين الحركات الصائتة لا بين الحروف الصامتة"([3]). وهكذا فقد اجتمعت فـــي نهايـــة المقطعيـــن الأخيرين لكلمتي: كساو، ورداي، وما كان على غرارهما من الكلمات أصـــوات يجمع بينهما الملمح الحركي vocalic feature، علاوة على أن المقطعين الأخيرين للكلمتين السابقتين ختمتا بصامت ضعيف، وقد زاد من ضعفه وقوعه ساكنا في نهاية مقطع. وقد قرر بعض اللغويين أن الصوت الذي يقع في نهاية المقطع يكون في وضع اضعف من ذلك الذي يقـــع فـــي بدايته([4]). إضافة إلى ذلك أن المقطع الأخير في المثالين السابقين يتسم بتتابع صوتي غير مرغوب فيه في العربية، وهو توالي حركة الفتحة الطويلة مع نصف الحركة الواو أو الياء aay + aaw، مـــن هـــنا لجأ الناطق إلى استبدال الهمزة بالواو أو الياء وذلك للتخلص من هذا التـــتابع يقـــول عبد الصبور شاهين:" فهو وسيلة للهروب من تتابع الحركات، ومن ثم لتكوين مقطع عربي سليم"([5]).

ويـــرى محمـــد جـــواد النوري أن " المقطع الأخير في أمثلة هذه الحالة، كان يرد، قبل الإعـــلال، على نحو يمكننا أن نتصوره على النحو التالي: saaw: daay: ص ح ح(ص ح). حيث يعبر الرمز(ص ح) عن نصف الحركة، أو نصف الصامت، ولكن هذا المقطع(ص ح ح ص ح) غير موجود في العربية ولهذا فقد أصبح بعد الإعلال، وبعد إغلاقه بالهمزة، على النحو التالي: ص ح ح ص، وهو مقطع موجود في العربية ومعترف به في حالة الوقف"([6]). ويبدو أن السبب الذي جعل الناطق العربي يغلق المقطع السابق بصامت انفجاري شديد، وهو الهمزة، يعود إلـــى أن الصوت الانفجاري الشديد يتمتع بصفة تميزه من الصوت الاحتكاكي الرخو([7]). إضافة إلى ذلك فإن النطق بالصوت الانفجاري قد يكون أسهل على المرء من الصوت الاحتكاكي ،قول إبراهـــيم أنيس:" اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك، والالتقاء به التقاء محكما، ينحبس معه النفس، ما يكون من الأصوات الشديدة، منان تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك، ليكون

---

١ ابن جني: المنصف، ٢٢٤/١،٢٢٣. وينظر أيضا: الإستراباذي: شرح الشافية، ٩٥/٣

٢ هنري فليش: العربية الفصحى، ص٣٩.

٣) برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وعلق عليه رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعي، ١٩٨٢. ص٤٦

٤) ينظر رأى موريس جرامونت في هذا الصدد وذلك في كتاب: عبد الصبور شاهين: اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي،ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٣٤

٥) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٧٥

٦) محمد جواد النوري:دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٨

٧) ينظر: مكي ابن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ط٢، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمان، عمان.١٩٨٤م: ١١٧-١١٨. وينظر أيضا: الإستراباذي:شرح الشافية، ٢٥٧/٣

بيـــنهما مجرى يتسرب منه الهواء كما يحدث في الأصوات الرخوة"([1]).وعلاوة على ذلك، فإن اســـتبدال الناطق الهمزة بالواو أو الياء، يعود فيما يبدو،إلى انم الأصل في الوقف هو السكون. يقـــول ابن يعيش:"فالسكون هو الأصل والأغلب الأكثر لأنه سلب الحركة وذلك أبلغ في تحصيل غرض الاستراحة"([2]).

والعربـــية تكره الوقف على مقطع مفتوح، ولذلك تتجه إلى إقفاله بوسيلة ما على حد قول عـــبد الصـــبور شـــاهين([3]). وهـــذا الإقفال المقطعي موجود في العربية، فقد حدث، في بعض الكلمـــات، إغلاق لمقطعها المفتوح، كما جاء في كتب التراث، وها هو ذا سيبويه ينص على أن الخلـــيل قـــد زعم:" أن بعضهم يقول: رأيت رجلاً فيهمز، وهذه حبلأ... وسمعناهم يقولون: هو يضـــربهأ، فيهمز كل ألف في الوقف فإذا وصلت لم يكن هذا،؛ لأن أخذك في ابتداء صوت آخر يمـــنع الصوت أن يبلغ تلك الغاية في السمع"([4]). وقد جاء مثل هذا القول في لسان العرب، في أثناء حديث ابن منظور عن أنواع الهمزة يقول:" ومنها همزة الوقفة في آخر الفعل، لغة لبعض دون بعـــض، نحـــو قولهم للمرأة: قولي،ء، وللرجلين: قولأ، وللجمع قولؤ، مإذا وصلوا الكلام لم يهمـــزوا ويهمزون "لا" إذا وقفوا عليها"([5]). إضافة إلى ذلك فإن الهمزة تقوم بوظيفة أخرى غير إقفـــال المقطع، وهي تقوية النبر stress، وقد ذهب إلى هذا عبد الصبور شاهين حيث يرى أن للهمـــزة هنا فضلا عن مهمتها كوسيلة لإغلاق المقطع المفتوح، وظيفة أخرى هي تقوية النبر، فعلـــى الرغم من أنه نبر طول، فإن اختتام المقطع المنبور بصوت نبري يمنح النبر قوة أخرى، وهذا يعني أن الناطق شعر بضرورة تقوية النبر الطولي في الكلمة، فقواه بنبر الهمزة([6]). ن كل مـــا حـــدث في هذه الحالة، يمثل قلب الواو والياء إلى صامت انفجاري قوي، وهو الهمزة، كي يتحقق بذلك إغلاق حقيقي للمقطع، عن طريق الصوامت لا أنصافها أو أنصاف الحركات:

كساو : ki|saaw --> كساء: ki|saa?. رداي: ri|daay --> رداء: ri|daa?.

---

١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٢٣٦

٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ٩/٧٦س

٣) ينظر: عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. القاهرة: دار القلم، ١٩٦٦،ص ٧٨،٨١

٤) سيبويه: الكتاب، ٤/١٧٦-١٧٧. وينظر أيضا ابن عصفور: الممتع في التصريف،١/٣٢٥-٣٢٦

٥) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين، القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٨١م، المقدمة ١/ ٢١

٦) ينظر: عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية، ص٨٦-٨٧. وينظر أيضا: برتيل مالبرج: علم الأصوات، تعريب عبد الصبور شاهين: القاهرة: مكتبة الشباب، ص١٩٨

الحالات: الثانية والثالثة والرابعة:

وقعت في هذه الحالات، كل من الواو والياء في بداية مقطع متوسط مغلق(ص ح ح) في حالـــة الوقف، أو مقطع قصير(ص ح) في حالة الوصل، وسبقت هذه الأصوات بمقطع متوسط مفـــتوح(ص ح ح) ومعنى هذا أن نصف الحركة، في أمثلة الحالات الثلاث المختلفة، وقعت بين حـــركة طويلة سابقة وهي الفتحة الطويلة، وحركة قصيرة لاحقة، وهي الكسرة القصيرة، وذلك على هذا النحو:

قاوم: qaa|wim، بايع: baa|yic

حِلاوب: ḥa|laa|wib، صحايف: sa|ḥaa|yif

أواوِل: ʔa|waa|wil، عيايل: ca|yaa|yil، سياود: sa|yaa|wid

يتضح لنا، من خلال استعراض الأمثلة السابقة، أن النسيج المقطعي لها جاء مشتملا على سلســـة طويلة من الأصوات، التي يجمع بينها الملمح الحركي، وفي أثناء النطق بهذا النوع من الأصوات يتسع الممر الهوائي في القناة الصوتية، ولا شك في أن هذا التعاقب الصوتي المؤدي إلى اتساع الممر الهوائي على نحو متواصل في أثناء عملية النطق، نوع من الصعوبة، ولهذا فقد عمد الناطق إلى قلب الصوت الأوسط، في تلك السلاسل الصوتية، وهو الواو والياء، إلى صامت انفجاري نبر قوي وهو الهمزة، بهدف تلافي ذلك النوع من التعاقب الصوتي، وقد أدى ذلك إلى إغلاق القناة الصوتية في مرحلة متوسطة من مراحل انفتاحها على النحو الآتي:

١- في الأمثلة الأربعة الأولى:

قاوم--> قائم، بايع--> بائع، حلاوب--> حلائب، صحايف--> صحائف

aa+wi .. <-- aa+yi....،aa+ʔi....<-- aa|ʔi....(١).

٢- في الأمثلة الثلاثة الأخيرة:

أواول--> أوائل، عيايل--> عيائل، سياود--> سيائد

في هذه الأمثلة، نلاحظ تعاقب صوتي ذا ملمح حركي، على نحو أكثر وأشد مما هو عليه في الأمثلة السابقة:

ʔa|waa|ʔil <--ʔa|waa|wil

ca|yaa|ɔil <-- ca|yaa|yil

sa|yaa|ɔid <-- sa|yaa|wid

وعلى هذا فقد أدى الهمزة في هذه الأمثلة، في مجموعها إلى تحقيق هدفين هما:

---

١) ينظر: محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال، ص٩-١٠. وعلم أصوات العربية، ص٣٢٦

الأول: التخلص من تعاقب الحركات وأنصاف الحركات وتتابعها.

الثاني: نبر بعض المقاطع، وتحويل نبر الطول إلى نبر توتر.([1])

علاوة على أن المقطع الأخير في النبر السابقة جاء مبدوءا بنصف حركة تقوم من الناحية الفونولوجية والوظيفية المقطعية بدور صامت، غير أنها من الناحية الفونامكية، تنقصها خصائص بعض الصوامت كالاحتكاك والانغلاق، فضلا عن كونها، أي نصف الحركة الواو أو الياء، صامتا ضعيفا في ذاتها، وضعيفة في موقعها، حيث جاءت متوسطة بين الحركات، مما أدى إلى زيادة ضعفها. وها هو ذا هنري فليش ينص على أن "كراهة النطق بالصوامت الضعيفة – الواو والياء – مشكلة بمصوتات من جنسها، فلا تنطق الواو مع الضمة(wu) ولا الياء مع الكسرة(yi)، كما لا تنطق الواو مع الكسرة(wi).([2]).

علاوة على ذلك، فإن بداية المقطع، الذي يفترض أن يكون متسما بالقوة، نظرا لاهتمام عضلات الناطق بإصداره، على حد قول جرامونت.([3]) جاء مبدوءا بصامت ضعيف، الأمر الذي أدى إلى ضرورة البحث عن صوت قوي يحل محله، فكان صوت الهمزة النبري. وقد لمح اللغويون العرب القدامى، إلى هذه الظاهرة، فها هو ذا ابن جني ينص على " أنهم إنما يقدمون الأقوى من المتقاربين... فلما اعتزموا النطق بهما قدموا أقواهما، لأمرين: أحدهما أن رتبة الأقوى أبدا أسبق وأعلى؛ والآخر أنهم يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفسا، وأظهر نشاطا، فقدم أثقل الحرفين، وهو أجمل الحالين"([4]).

إضافة إلى ما سبق، فإن تغيير إحدى الواوين، أو الياءين، إلى همزة، في المثالين: أواول، وعيايل، نوع من المخالفة الصوتية Dissimulation، وذلك لتحقيق قدر من الانسجام في مكونات السلسلة الصوتية لبعض البنى اللغوية.

الحالة الأخيرة:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

وَوَاصل: wa|waa|sil، وُوَل: wu|wal

في هذين المثالين، وما جاء على شاكلتهما، وقعت الواو بوصفها نصف حركة ضعيفة في بداية مقطع قصير(ص ح)، ولما كانت الواو ضعيفة في ذاتها، ووقعت في بداية مقطع، يفترض أن يكون قويا، كان لا مفر من تقوية المقطع المبدوء بصامت ضعيف، فعمد الناطق إلى قلبه همزة، لأنها صامت نبري قوي، علاوة على أن الواو ثقيلة إذا تحركت، وفي هذا يقول مكي بن

---

١) محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال، ص١٠

٢) هنري فليش: العربية الفصحى، ص٤٦

٣) ينظر: عبد الصبور شاهين: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص٣٢٤

٤) ابن جني: الخصائص، ٥٥/١

أبي طالب:" وفيها(أي الواو) ثقل إذا تحركت، ولما كانت الواو ثقيلة إذا تحركت، فإنها إذا كانت الحركة التي عليها ضمة، ازدادت ثقلا"(١).

ونص أيضا على أن الواو "إذا ثقلت الحركة التي عليها سارعت إلى أن تبدل منها همزة"(٢)، وقد نص على هذا ابن عصفور بقوله:" وإنما فعلت ذلك لثقل الضمة والكسرة في الواو، وذلك أن الضمة بمنزلة الواو، والكسرة بمنزلة الياء. فإذا كانت الواو مضمومة فكأنه قد اجتمع لك واوان، وإذا كانت مكسورة فكأنه قد اجتمع لك ياء وواو. فكما أن اجتماع الواوين، والياء والواو، مستثقل فكذلك اجتماع الواو والضمة، والواو والكسرة"(٣).

إضافة إلى ذلك فإن الواو، كما ذكر صاحب الرعاية "ثقيلة إذا تحركت، ولكن هذا الثقل يزداد إذا كانت الحركة التي عليها ضمة"(٤). وقد نص هنري فليش على "كراهة النطق بالصوامت الضعيفة – الواو والياء – مشكلة بمصوتات(أي حركات) من جنسها"(٥). وعلاوة على ذلك، فإن اجتماع المثلين المتحركين، في أول الكلمة، كما قرر اللغويون العرب(٦)، مستثقل، ولما كانت الواو أثقل حروف العلة، وكانت الضمة أثقل الحركات، كما قرر اللغويون العرب أيضا(٧). فقد أدى اجتماع واوين في بداية هذه الأمثلة، إلى مضاعفة الاستثقال، مما أدى إلى قلب الواو الأولى إلى همزة، وذلك بهدف إجراء تغيير من شأنه أن يخفف من ثقل اجتماع الواوين في البنية، وها هو ذا سيبويه ينص على هذا بقوله:" إذا التقت الواوان أولا أبدلت الأولى همزة، ولا يكون فيها إلا ذلك، لأنهم لما استثقلوا التي فيها الضمة فأبدلوا... ولم يجعلوا في الواوين إلا البدل لأنهما أثقل من الواو والضمة"(٨).

وقد ذهب ابن جني إلى ذلك أيضا عندما قال بأنه "إذا التقت واوان، في أول الكلمة، لم يكن من همز الأولى بد"(٩). كما نص هو نفسه على ذلك أيضا عندما قال في موضع آخر: "إذا

---

١) مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص٢٠٩

٢) المرجع نفسه، ص٢١٠

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٣٣/١

٤) مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص٢٠٩

٥) هنري فليش: العربية الفصحى، ص٤٧

٦) ينظر، على سبيل المثال: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٣٢/١. والإستراباذي: شرح الشافية، ٣/ ٧٦،١١٤

٧) ينظر، على سبيل المثال: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٥٨٥/٢. والإستراباذي: شرح الشافية، ٧٦/٣، ١٦٦،١٦٧،١٦٨،١٩٤

٨) سيبويه: الكتاب، ٣٣٣/٤

٩) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ٩٨/١

اجتمعت واوان، في أول الكلمة لم يكن من همز الأولى بد"(١). وينص ابن يعيش على أن " إبدال الهمـــزة من الواو الواقعة أولا مشفوعة بأخرى لازمة نحو: أواصل وأواق، والأصل وواصل و وواق، والعلـــة فـــي ذلك أن التضعيف في أوائل الكلمة قليل، وإنما جاء منه ألفاظ يسيرة نحو: ددن... فلما ندر في الحروف الصحاح امتنع في الواو لثقلها، مع أنها تكون معرضة لدخول واو العطـــف، وواو القســـم فيجـــتمع ثلاث واوات، وذلك مستثقل"(٢). ومن ناحية أخرى، فقد جاء المقطعـــان الأولان فـــي المثالين السابقين: waa + wa، و: wu+wa. فيهما تتابع حركي هو: نصـــف حـــركة + حـــركة قصيرة + نصف حركة + حركة طويلة، و: نصف حركة + حركة قصيرة + نصف حركة + حركة قصيرة. وهذا التتابع من شأنه أن يضعف النظام المقطعي من وجهة نظر المحدثين، ويجعل النطق ثقيلا من وجهة نظر القدماء(٣). وذل لأن نصف الحركة في كلا المثالين وقعت في بداية المقطع وهي ضعيفة في ذاتها، ولكي يتجنب الناطق العربي ضعف التركيـــب، وثقل النطق، عمد إلى قلب نصف الحركة(الواو) في المقطع الأول إلى همزة، زيادة على أن استبدال الهمزة من الواو من شأنه أن يحدث مخالفة صوتية بين الأصوات المتجاورة.

وتعـــد المخالفة الصوتية نوعا من التغيير الصوتي في بعض البنى، وذلك من أجل تجنب بذل المجهود العضلي الناجم عن تكرار صوتين متماثلين في كلمة واحدة(٤).

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٣. قلب الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء:

يسير هذا الموضوع من الإعلال، على نحو مغاير لما سبق، أي أن الهمزة، وهي صامت نـــبري قوي، وليس حركة، أو نصف حركة، هي التي تقلب إلى حركة أو نصف حركة. أي أن الحـــركات وأنصـــاف الحـــركات هي التي تؤثر في الصامت، وهو ما يطلق عليه، في الدرس الصوتي الحديث، مصطلح: Vocalization(٥).

وهذا الموضوع يقع ضمن مجالين: الأول: أن تكون في الكلمة همزة واحدة فتقلب إلى أحد الأحرف السابقة. وهذا في جله يقع تحت باب تخفيف الهمزة ولم يذكر له ابن عصفور بابا.

والآخر: هو حال التقاء همزتين في كلمة واحدة، ففي هذه الحالة تكون الهمزة الثانية هي

---

١) ابن جني: المنصف، ٢١٧/١

٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠/١٠

٣) ينظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٧٤

٤) ينظر: رمضان عبد التواب: التطور اللغوي، ص٦٤

٥) برتيل مالبرج: علم الأصوات، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، القاهرة: مكتبة الشباب، سنة ١٩٨٤، ص١٦١. وينظر أيضا: محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢. ص٣٠٢-٣٠٣

موضع الإعلال والقلب. وهذا موضع الدراسة والبحث، لأنه مطرد وقياسي عند العرب.

أما المجال الأول، فهو في معظمه يقع تحت التنوعات اللهجية الذي أطلق عليه المحدثون مصطلح ديافون. وفيما يأتي بيان حالات قلب الهمزة الثانية إلى الحركات، وأنصاف الحركات كما وردت عند ابن عصفور:

١- إذا التقت همزتان، الأولى مضمومة والثانية ساكنة قلبت الثانية إلى واو. يقول ابن عصفور:" فإن انضم إليها همزة أخرى، فلا تخلو أن تكون الثانية ساكنة أو متحركة، فإن كانت ساكنة فإنه يلزم إبدالها واوا، إذا كانت الهمزة الأولى مضمومة. فتقول في "أُفْعِل" من "أتى": "أُوْتِي" وأصله "أُؤْتِي"، إلا أنه رفض الأصل، هروبا من اجتماع الهمزتين، فلزم البدل(١).

٢- إذا التقت همزتان الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، قلبت الثانية إلى ألف مثل: آدم وآمن. أصلهما أأدم و أأمن. يقول ابن عصفور:" فأبدلت – يعني الألف – من الهمزة إذا كان الحرف المفتوح الذي تليه الهمزة الساكنة همزة، التزم قلب الهمزة الساكنة ألفا، نحو "آدم" و"آمن" أصلهما "أَأْدم" و"أَأْمن"، إلا أنه لا ينطق بالأصل، استثقالا للهمزتين في كلمة واحدة"(٢).

٣- إذا التقت همزتان الأولى مكسورة والثانية ساكنة قلب ياء. يقول ابن عصفور:" وأبدلت – يعني الياء – من الهمزة إذا كان الحرف المكسور الذي قبل الهمزة الساكنة همزة أخرى، نحو "إيمان" و"إيتاء" في مصدر "آمن" و"أتى". وأصلهما "إِئْمان" و"إِئْتاء" "(٣).

٤- إذا التقت همزتان الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، قلبت الثانية إلى ياء نحو أيمة. وفي هذا يقول ابن عصفور:" إذا التقت همزتان، وكانت الثانية متحركة بالكسر، قلبت الثانية ياء على اللزوم، نحو قولهم "أَيِمَّة" في جمع "إمام". أصله "أَإِممة"، ثم أدغمت فقلت "أئمة"، ثم أبدلت من الهمزة المكسورة ياء"(٤).

٥- أن تكون الهمزتان مفتوحتين، تقلب الثانية إلى واو، نحو: أَوادِم جمع آدم(٥).

نلاحظ من الحالات السابقة، أن الهمزة لا تخلو أن تكون ساكنة أو متحركة:

١- فإذا كانت الهمزة الأولى متحركة، وهذا هو شأنها دائما، لأنه لا يبتدأ بساكن، والثانية ساكنة، فإن الهمزة الثانية تقلب إلى حركة من جنس حركة سابقتها، وتمثل هذه الحالة أمثلة الحالات الثلاث الواردة عند ابن عصفور وهي: أوتي، وآمن، وإيمان، وأصلها على التتالي: أُأْتي، وأَأْمن، وإِئْمان.

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ١/٣٦٥، والمقرب، ص٥٢٦

٢) المرجع نفسه، ١/٤٠٤، والمقرب، ص٥٣٧

٣) المرجع نفسه، ص٣٧٩، والمقرب، ص٥٣١

٤) المرجع نفسه، ص٣٨٠، والمقرب، ص٥٣١

٥) المرجع نفسه، ص٣٦٥، والمقرب، ص٥٢٦

٢- أمـــا إذا كانـــت الهمـــزتان، الأولى والثانية، متحركتين، فإنهما وردتا عند ابن عصفور على النحو الآتي:

أ- أن تكون الهمزة الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، نحو أَئِمّة، جمع إمام وأصلها: أئمة.

ب- أن تكون الهمزتان مفتوحتين نحو: أوادم جمع آدم، وأصلها أءادم.

غير أن هناك حالة أخرى تلتقي فيها الهمزتان: وهي أن تكون الأولى مضمومة، والثانية مفتوحة، ولكن ابن عصفور لم يذكر هذه الحالة. وقد وردت عند سيبويه في قوله: "وإذا جمعت آدم قلـــت: أوادم كمـــا أنك إذا حقرت قلت: أُوَيدِم"(١)، فأصلها أُأيدِم، فالهمزة الأولى مضمومة، والثانية مفتوحة فقلبت الثانية إلى واو.

وفيما يأتي تفسير هذه الحالات من وجهة نظر الدرس الصوتي الحديث:

١- تقدم لنا أمثلة الحالة الأولى البنى المقطعية والصوتية التالية:

أأمن: ʔa^{a}|man ؛ أُؤتي: ʔu^{u}|tii ؛ إئمان: ʔ i^{i}|maan

نلاحـــظ من خلال الأمثلة السابقة، أن النسيج المقطعي لهذه البنى، استهل بمقطع متوسط مغلـــق(ص ح ص) شغلت كل من الفتحة والضمة والكسرة على التوالي، موقع النواة، في حين شـــغلت فيه الهمزة، موقعي المطلع والخاتمة معا ومن المعلوم أن النطق بصوت الهمزة منفردة يعـــد مـــن أصعب الأصوات، وقد نص على هذا إبراهيم أنيس حين قال: "ولا شك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباسا تاما ثم انفراجه فجأة، عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر، مما يجعلنا نعد الهمزة أشق الأصوات"(٢). كما نص أيضا على أن: "النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية"(٣). وقد نص برجشتراسر على أن: "الهمزة أصـــعب إخراجا من غيرها من الحروف، فينبغي لإخراجها تغليق فم الحنجرة، وهو مفتوح في غيرها، فينقطع الزفير المتواصل الخروج أثناء الكلام"(٤). وقد قرر علماؤنا القدامى هذه الحقيقة، التـــي ذهب إليها المعاصرون، فها هو ذا شيخهم سيبويه ينص على أن: "الهمزة نبرة في الصدر تخـــرج باجـــتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا، فثقل عليهم ذلك، لأنه كالتهوع"(٥). ونص أيضا علـــى أن: " الهمزتيـــن إذا التقـــتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة، فإن أهل التحقيق يخففون أحدهما، ويستثقلون تحقيقهما، كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة. فليس من كلام العرب أن

---

١) سيبويه: الكتاب، ٣/٥٥١

٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٩٠

٣) إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص٧٧

٤) برجشتراسر: التطور النحوي، ص٤٢

٥) سيبويه: الكتاب، ٣/٥٤٨

تلتقـــي همزتان فتحققا"([1]). وقد نص ابن جني على أنه: "إنما لم تجتمع الفاء والعين، ولا العين واللام همزتيـــن لـــثقل الهمزة الواحدة... فكان النطق به تكلفا، فإذا كرهت الهمزة الواحدة فهم باســـتكراه الثنتيـــن ورفضـــهما... أحرى"([2]). وقال ابن يعيش في ثقل الهمزة: " الهمزة حرف مســـتثقل لأنه بعد مخرجها إذ كانت نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، فثقل عليهم إخراجها، لأنه كالـــتهوع، ولذلـــك مال أهل الحجاز إلى تخفيفها، وإذا كان ذلك في الهمزة الواحدة، فإذا اجتمع همـــزتان ازداد الـــثقل ووجب التخفيف فإذا كانتا في كلمة واحدة كان الثقل أبلغ، ووجب إبدال الثانية إلى حرف لين"([3]).

وقـــد ذهب صاحب الرعاية إلى أن العرب لم تحقق همزتين من أصل الكلمة. يقول: "ولم تستعمل العرب همزتين محققتين من أصل الكلمة"([4]). وقال في موضع آخر: "الهمزة حرف ثقيل فغـــيرته العـــرب لثقله"([5]). وقد قام محمد جواد النوري وعلي خليل حمد في دراسة عن جذور الأفعـــال الثلاثية في المعجم الوسيط، باستخدام الحاسوب يقولا فيها: ولم نعثر في دراسة لنا عن جذور الأفعال الثلاثية الواردة في المعجم الوسيط، باستخدام الحاسوب، وعددها(٤٥٤٦ ،علا، إلا علـــى فعـــل ثلاثـــي واحد مهموز الفاء واللام، وهو الفعل(أبأ). ومن ناحية أخرى، فقد بلغ عدد الأفعال الثلاثية المهموزة في المعجم الوسيط(٤٠٧) أفعال، منها(١٥٧) فعلا ثلاثيا مهموز الفاء، و(١٠٥) مهموز العين، و(١٤٥) مهموز اللام([6]).

إن كـــل مـــا حـــدث في أمثلة هذه الحالة، الذي استثقل فيها اجتماع الهمزتين قد تمثل في إحـــداث مخالفـــة بين حرفين متماثلين ثقيلين، بهدف تسهيل النطق، وذلك من أجل التخلص من اجـــتماع الثقيلين، وهما الهمزتان، وتجسد هذا التخالف في قلب الهمزة الثانية إلى حركة قصيرة من جنس الحركة القصيرة السابقة عليها وذلك على النحو الآتي:

أَأْمن: ʔaʔ|man <-- آمن: ʔaa|man

أُؤْتي: ʔuʔ|tii <-- أوتي: ʔuu|tii

إِئْمان: ʔiʔ|maan <-- إيمان: ʔii|maan

---

١) سيبويه: الكتاب، ص٥٤٨-٥٤٩

٢) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/٧١

٣) ابن يعيش: شرح المفصل، ٩/١١٦

٤) مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص١١٩

٥) المرجع نفسه، ص٧٤

٦) محمد جواد النوري، وعلي خليل حمد: جذور الأفعال الثلاثية في المعجم الوسيط، دراسة لغوية إحصائية تحليلية، باستخدام الحاسوب، عمادة البحث العلمي، مركز التوثيق والنشر والمخطوطات – جامعة النجاح الوطنية – نابلس، ١٩٨٩م، ص٣٠-٣٥. بتصرف

وقد ترتب على هذا القلب إعادة تشكيل النسيج المقطعي للبنى السابقة، حيث استبدل الناطق بالمقطع المتوسط المغلق(ص ح ص) مقطعا متوسطا مفتوحا(ص ح ح). ومن الجدير بالذكر أن الهمزة التي تعرضت للقلب، في الأمثلة السابقة لم تقلب إلى ألف، أو واو، أو ياء، كما ذهب ابن عصـــفور وغيره من القدماء، إنما قلبت إلى حركة قصيرة هي الفتحة، والضمة، والكسرة، على التوالـــي، فكونت كل حركة من هذه الحركات مع الحركة السابقة عليها، والمجانسة لها، حركة طويلة، وبعبارة أخرى فقد تم استبدال الحركة القصيرة بالصامت، وهو الهمزة الثانية، ويبدو أن الســـبب الذي أوقع علماءنا القدامى في هذا الوصف غير الدقيق لعملية القلب والإعلال، في هذه الحالـــة، ومـــا شـــابهها، يعود إلى اعتمادهم في التحليل والتفسير والتقعيد، على الشكل الكتابي المحدث للبس، لا على النطق الواقعي للأصوات، على حد قول محمد جواد النوري(١).

٢- وتقدم لنا أمثلة الحالة الثانية البنى المقطعية والصوتية التالية:

أءادم: ʔa|ʔaa|dim ، أئمة: ʔa|ʔim|mat ، أُأيدم: ʔu|ʔay|dim

ففـــي هـــذه الأمثلة استثقل المتكلم النطق بهمزتين متواليتين لا تفصل بينهما سوى حركة قصـــيرة، فعمد إلى التخفيف من ثقل الهمزة المتكررة عن طريق قلب الهمزة الثانية إلى نصف حـــركة، ولـــيس إلى حركة قصيرة كما في أمثلة الحالة الأولى. وقد ترتب عن هذا القلب تعديل منت الحدة الناجمة عن نطق همزتين متواليتين، وكان هذا الصوت هو الواو المتلوة بفتحة، كما في المثالين الأول والثالث، والياء المتلوة بكسرة كما في المثال الثاني. على النحو الآتي:

أءادم: ʔa|ʔaa|dim <-- ʔa | ʔaa|dim أوادم: ʔa|waa|dim

أئمة: ʔa|ʔim|mat <--ʔa|ʔim|mat أيمّة: ʔa|yim|mat

أُأيدم: ʔu|ʔay|dim <--ʔu|ʔay|dim أويدم: ʔu|way|dim

إضافة إلى إحداث مخالفة بين الأصوات المتجاورة، وذلك من أجل الاقتصاد في المجهود العضـــلي، النجم عن نطق همزتين في البنية الواحدة، لا يفصل بينهما سوى حاجز بسيط، وهو الحـــركة القصيرة. فأدى هذا القلب إلى تسهيل النطق من جهة، ومن جهة أخرى إحداث تناسق بين سلسلة الأصوات المتجاورة في البنى السابقة، من حيث الثقل والضعف.

ومـــن اللافـــت أن الهمزة في أمثلة البنى السابقة، وقعت بين حركتين، ففي المثال الأول وقعـــت بين فتحة قصيرة سابقة وفتحة طويلة لاحقة، وفي المثال الثاني وقعت بين فتحة قصيرة سابقة، وكسرة قصيرة لاحقة، وفي المثال الأخير، وقعت بين ضمة قصيرة سابقة، وفتحة قصيرة لاحقـــة، والهمزة بين هذه السلسلة من الأصوات تعد صوتا غريبا لثقله وشدته فعمد الناطق إلى قلـــب هـــذا الصوت، وهو الهمزة، إلى نصف حركة تنسجم مع السلسلة الصوتية المكونة للبنية،

---

١) محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص٣٣٣

وذلك لأن الواو والياء بوصفهما نصفي حركة تشتركان مع الحركات الخالصة في الملمح التقاربي. ومن الجدير بالذكر، أن الناطق العربي، في بعض الأحيان، يعمد إلى السهولة والاقتصاد في المجهود العضلي، دون النظر إلى قوة الصامت أو ضعفه، ففي الأمثلة السابقة قلبت الهمزة، وهي صوت قوي، إلى نصف حركة ضعيفة، علاوة على أن نصف الحركة المنقلبة عن الهمزة، وقعت في بداية مقطع، وقد ذكرنا أكثر من مرة أن بداية المقطع تفترض فيه أن يكون صامتا قويا، ويبدو أن الناطق العربي تخلى عن هذا الافتراض، من أجل السهولة والاقتصاد في المجهود العضلي.

٤. قلب الألف إلى ياء:

يرى ابن عصفور أن الألف تقلب إلى ياء في الحالات الآتية:

١- وقوع الألف بعد كسرة: نحو: شماليل جمع شِمْلال، وسُرَيْبيل تصغير سِرْبال(١).

٢- وقوع الألف بعد ياء التصغير، نحو منير تصغير منار. يقول ابن عصفور "إن كان ثالثا – يعني حرف العلة – فإما أن يكون ياء وإما واوا وإما ألفا، فإن كان ألفا، فإنك تدغم ياء التصغير فيها بعد تصييرها ياء فتقول في تصغير منار وكتاب: منير، وكتيب"(٢).

٣- أن تجتمع الألف مع ألف التثنية فإنك تقلب الألف الأولى إلى ياء. يقول ابن عصفور: "وأما الألف فإنها أبدا ساكنة، ولا يخلو أن تجتمع مع ساكن غيرها أو لا تجتمع، فإن اجتمعت مع ساكن حذفت نحو: "حبلى القوم". إلا أن يكون الساكن ألف التثنية فإنها تقلب ياء ، لا تحذف فتقول في تثنية "حبلى" حبليان ولا يجوز أن نقول حبلان، لئلا يتوهم أنه تثنية "حبل"، خلافا لأهل الكوفة فإنهم يجيزون حذفها فيما زاد عن أربعة أحرف"(٣).

وفيما يأتي تفسير هذه الحالات من وجهة نظر الدرس الصوتي الحديث:

الحالة الأولى:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

١- في حالة الجمع: شِملال: šim|laal --> شماليال: ša|maa|lii|aal

٢- في حالة التصغير: سِربال: sir|baal --> سريبيال: su|ray|bii|aal

نلاحظ من خلال المقاطع السابقة، أن الفتحة الطويلة، وهي التي يسميها التراث اللغوي ألفا وقعت في بداية مقطع، وقد سبقت بكسرة طويلة، وهي التي يسميها التراث اللغوي ياء، وذلك على النحو الآتي:..+lii+aal+، ... + bii+aal، والمقطع الأخير في كلا البنيتين لا تجيزه اللغة

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦١١/٢، والمقرب، ص٤٤٧،٤٦٦،٥٥٥

٢) ابن عصفور: المقرب، ص٤٤٤-٤٤٥

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٠٩/٢

العربية، وذلك لأنه بدأ بحركة، ومن المعروف أن المقطع العربي يجب أن يبدأ بصامت. لذا فقد عمد الناطق إلى إعادة تشكيل النسيج المقطعي بما يتلاءم مع لنظام المقطعي في العربية. فأسقط الفتحة الطويلة من البنية وأبقى الكسرة الطويلة على النحو الآتي:

شماليال: sa|maa|lii|aal --> شماليل: sa|maa|liil

سريبيال: su|ray|bii|aal --> سريبيل: su|ray|biil

فأصبح التشكيل المقطعي من نوع(ص ح ح ص) وهو مقطع طويل مغلق، تعترف به العربية وتقره، ومن اللافت أن الفتحة الطويلة في مثل هذا الإعلال حذفت، ولم تقلب إلى ألف كما ذهب علماؤنا القدامى، ومنهم ابن عصفور، لأن الحذف لا يؤيده التحليل الصوتي، والتشكيل المقطعي، ويبدو أن سبب إسقاط الفتحة الطويلة دون الكسرة الطويلة أن الكسرة حركة متوسطة على حد قول الرضي: "لأن الكسرة ليست في ثقل الضمة، ولا في خفة الفتحة، بل هي تتوسط بينهما"(١).

إضافة إلى أن الكسرة الطويلة، في كلتا البنيتين لها دلالة، ففي البنية الأولى تدل على الجمع، وفي الأخيرة تدل على التصغير. وهي التي أطلق عليها المحدثون مصطلح مورفيم Morpheme الذي يعني: "أصغر وحدة صرفية ذات معنى، أو أصغر وحدة لفظية ذات دلالة، أو أصغر عنصر من عناصر الكلمة له معنى، أو وظيفة نحوية معينة"(٢).

ويذكر محمد جواد النوري أن: "بنى الجمع والتصغير، التي من هذا القبيل، تخلو مما سماه التراث ياء تبادلت المواقع مع الألف، وإنما هي الكسرة الطويلة التي أدت طريقة تشابهها في الكتابة والرسم مع نصف الحركة، الياء، إلى هذا الخلط في الوصف والتصنيف"(٣).

الحالة الثانية:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

كتاب: ki|taab --> كُتياب: ku|tay|aab --> كُتيب: ku|tay|yib

منار: ma|naar --> مُنيار: mu|nay|aar --> مُنيّر: mu|nay|yir

وقعت الفتحة الطويلة(الألف)، على غرار أمثلة الحالة السابقة في بداية من نوع(ح ح ص) ومسبوق بمقطع متوسط مغلق(ص ح ص)، مختوم بنصف الحركة الياء، وهذا المقطع لا تجيزه اللغة العربية لأنه يبدأ بحركة(الفتحة الطويلة)، لذا فقد عمد الناطق إلى إعادة تشكيل البنية المقطعية.

أن كل ما حدث في مثل هذه البنى يتمثل في قلب الجزء الأول من الفتحة الطويلة إلى

---

١) الإستراباذي: شرح الشافية، ١٧٩/٣

٢) محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص٩٨

٣) محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال، ص١٧

نصف حركة وهي الياء، والجزء الثاني إلى كسرة قصيرة ليتم التناسب والانسجام بين نصف الحركة والكسرة. ثم تم تقوية نصف الحركة التي وقعت في نهاية المقطع قبل الأخير ...+ tay، ... + nay وذلك عن طريق تضعيفها بنصف الحركة التي استبدلت بالفتحة. وهذا التضعيف من شأنه أن يصير حرف العلة المشدد حرفا "كالحرف الصحيح"(١).

الحالة الأخيرة:

يقدم لنا مثال هذه الحالة وما جاء على شاكلته البنى المقطعية والصوتية الآتية:

حُبلى: hub|laa --> حُبلان: hub|laa|aan --> حُبليان: hub|la|yaan

وقعت الفتحة الطويلة في المقطع الأخير من صيغة المثنى في بداية مقطع(aan) وهذا المقطع لا تجيزه العربية كما مر سابقا، ومع ذلك فإن الفتحة الطويلة تدل على مورفيم التثنية، فوجودها له دلالة، فعمد الناطق إلى إعادة تشكيل النسيج المقطعي للبنية بحيث يصبح المقطع مما تجيزه العربية من جهة، ومن جهة أخرى، الإبقاء على مورفيم التثنية فقلب الجزء الثاني من الفتحة الطويلة في المقطع قبل الأخير، وضمها إلى المقطع الأخير ليصبح المقطع الأخير من المقاطع المعمول بها في اللغة العربية، فأصبح مقطعا طويلا مغلقا(ص ح ح ص)، وصار المقطع قبل الأخير مقطعا قصيرا. وبهذا لم تقلب الألف إلى ياء كما ذهب ابن عصفور، وإنما بقيت الألف على حالها، وإنما قلبت الفتحة القصيرة التي قبل مورفيم التثنية إلى نصف حركة ليبتدئ بها المقطع الأخير.

٥. قلب الألف إلى واو:

يذكر ابن عصفور أن الألف تغلب واوا إذا وقعت بعد ضمة في حالتي البناء للمفعول والتصغير. يقول ابن عصفور في حالة المبني للمفعول:" وإن لم تجتمع مع ساكن – يعني الألف– فلا يخلو أن تكون الحركة التي قبلها فتحة أو ضمة أو كسرة... وإن كانت ضمة قلبت واوا نحو(ضارب) إذا بنيته للمفعول فإنك تقول فيه(ضورب)"(٢).

ويقول في حالة التصغير:"وإن كان ثانيا – يعني حرف العلة– فعلت به ما تفعل بالصحيح، إلا أنك تقلب الألف واوا فتقول في تصغير ضارب: ضُوَيْرِب"(٣).

تقدم لنا أمثلة الحالتين السابقتين البنى المقطعية والصوتية الآتية:

١- في حالة البناء للمفعول:

ضارَب: daa|ra|ba --> ضُارب: du|aa|ri|ba --> ضُورِب: duu|ri|ba

---

١) الإستراباذي: شرح الشافية، ٣/١٩٢، ٧٨

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٦١٠-٦١١

٣) ابن عصفور: المقرب، ٤٤٥

نلاحظ من خلال التحليل المقطعي و الصوتي للبنية السابقة أن الفتحة الطويلة في حالة البناء للمفعول وقعت في مقطع مستقل، فترتب على ذلك تتابع مقطعي على هذا النحو: ص ح+ح ح+ص ح... ولكن المقطع الأوسط، في هذه البنية، مكون من حركة طويلة، وهذا المقطع لا تجيزه اللغة العربية، لأن المقطع العربي كما هو معروف يجب أن يبدأ بصامت من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن يشغل المقطع والخاتمة بصامت في حين تشغل الحركة موضع النواة أو القمة. فعمد الناطق إلى إعادة التشكيل المقطعي للبنية عن طريق إسقاط جزء من الفتحة الطويلة، و الجزء الآخر قلب إلى ضمة قصيرة كونت من الفتحة القصيرة السابقة عليها ضمة طويلة، ولقد أدى هذا التفاعل الصوتي الناتج عن تأثر الفتحة بالضمة السابقة عليها فحولته إلى حركة من جنسها، وأسقط الجزء الآخر منها، أدى إلى إعادة تشكيل النسيج المقطعي للبنية، فبعد أن كانت مؤلفة من أربعة مقاطع في حالة الوصل وهي: ص ح+ح ح+ص ح+ص ح. وثلاثة مقاطع في حالة الوصل وهي: ص ح ح+ص ح+ص ح. ومقطعين في حالة الوقف وهما: ص ح ح+ص ح ص.(١)

٢- في حالة التصغير:

ضارِب: daa|rib --> ضُوَيْرِب: du|way|rib <-- ضُوَيْرِب: du|aa|rib

وقعت الفتحة الطويلة، وهي التي يسميها القدماء ألفا في هذا المثال، في مقطع مستقل بعد ضمة فاء الكلمة المصغرة، مترتب عن ذلك تتابع مقطعي على النحو الآتي:

ص ح + ح ح + ص ح ص. والمقطع الأوسط، كما مر سابقا، لا تجيزه العربية، فعمد النطق إلى قلب الجزء الأول من الفتحة الطويلة إلى نصف حركة وهي الواو لتشغل مطلع المقطع. وأبقى الجزء الأخير مكونا من مورفيم التصغير(y) حركة مزدوجة(ay). ومن اللافت أن ما ذهب إليه ابن عصفور وغيره من القدماء، من قلب الألف إلى واو، لا يتلاءم والتحليل الصوتي الحديث. ففي هذا المثال وما جاء على شاكلته، قلب الجزء الأول من الفتحة الطويلة إلى واو، ولم تقلب الألف(٢).

٦. قلب الواو ياء:

ذكر ابن عصفور الحالات التي تقلب فيها الواو ياء في أثناء كتابيه: الممتع والمقرب، وقد حاولت جمع هذه الحالات ليسهل تحليلها من الناحية الصوتية، بما يتلاءم والدرس الصوتي الحديث، وهذه الحالات هي:

١- وقوع الواو ساكنة بعد كسرة، وفي هذا يقول ابن عصفور: " أن تقع - يعني

---

١) ينظر: محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال، ص ٢٢. بتصرف

٢) ينظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٥٤. ومحمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٢. بتصرف

الـــواو – ســـاكنة بعـــد كســـرة، فإنها تقلب ياء، نحو: "ميزان" و"ميعاد"، والأصل فيهما مِوْزان ومِوْعاد، لأنهما من الوَزْن والوَعْد، فقلبت الواو ياء لسكونها، وانكسار ما قبلها"([1]).

٢- وقـــوع الواو بعد كسرة في الاسم والفعل في فعل وفعال. يقول ابن عصفور في الأولـــى: "وإن كان على فعل من الواو، بكسر الفاء وفتح العين، جمعا لما قلبت فيه الواو ياء أو ألفا، فإن الواو تنقلب فيه ياء لانكسار ما قبلها، مع أنهم أرادوا أن تعتل في الجمع كما اعتلت في المفـــرد. وذلك نحو: قامة وقِيَم، وديمة ودِيَم وقيمة وقِيَم. والأصل قوم ودوم لأنهما من قام يقوم ودام يدوم"([2]).

ويقول في فعال: "إذا كان مصدرا لفعل معتل بالواو، أو جمعا لمفرد عينه واو وقد سكنت الـــواو في مفرده، أو اعتلت بقلبها ألفا، فإنك تقلب الواو ياء. وذلك نحو: قام قيام، وسوط سياط، ودار ديار. والأصل قوام وسواط ودوار"([3]).

أمـــا في الفعل فيقول ابن عصفور: "فإن كان الفعل على فعل من ذوات الواو قلبت الواو يـــاء، نحـــو: شَـــقِيَ ورَضِـــيَ، لأن الواو وقبلها كسرة، بمنزلة الواو والياء، لأن الكسرة بعض الياء"([4]).

جميع الحقوق محفوظة

٣- وقـــوع الواو والياء متصلتين في كلمة واحدة، شريطة كون أولهما ساكنا، نحو: ســـيد وميـــت وطـــي وريا. يقول ابن عصفور: "فإن كان الساكن مخالفا للام، أعني بأن يكون أحدهما واوا والآخر ياء، قلبت الواو ياء تقدمت أو تأخرت، وأدغمت الياء في الياء"([5])

٤- إذا كانت الواو لاما لصيغة فُعْلى. وفي هذا يقول ابن عصفور: " أن يكون الاسم علـــى وزن فعلى وتكون لامه واوا، فإن العرب تبدل من الواو ياء في الاسم، وذلك نحو: العُليا والدُنْـــيا والأصل فيهما الدنوى والعلوى، فقلبت الواو ياء، والدليل على ذلك أن الدنيا من الدنو، والعليا من علوت"([6]).

٥- إذا كانـــت الـــواو لاما في صيغة فعول جمعا. يقول ابن عصفور: "في "فُعُول" جمعـــا فإنـــه يلزم قلب الواو الثانية ياء، ثم تقلب الأولى ياء لإدغامها في الياء، ثم تقلب الضمة كسرة لتصبح الياء، وذلك عُصِيّ ودُلِيّ. والسبب في ذلك ثقل الجمعية"([7]).

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٣٦/٢. والمقرب، ص٥٤٣

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٧١/٢

٣) المرجع نفسه، ص٤٩٥

٤) المرجع نفسه، ص٥٢٣،٥٢٢

٥) المرجع نفسه، ص٥٤٩. وينظر أيضا: ص ٥٢٣،٥٠٦،٤٩٩،٤٢٩،٥٩٢

٦) المرجع نفسه، ٥٤٤/٢

٧) المرجع نفسه، ص٥٥١

٦- وقــوع الواو لاما في صيغة اسم المفعول الذي ماضيه على وزن "فعل". يقول ابن عصفور: "ولا يحفظ قلب واو "مفعول" ياء، إلا أن يدغم نحو: "مرمي" "(١).

٧- وقــوع الواو متطرفة رابعة فصاعدا نحو: أغزيت، وذهب ابن عصفور إلى أن سـبب هذا القلب يعود إلى الحمل على ما حصل فيه إعلال سابق. يقول: "إن الفعل إذا لزم فيه إعــلال فــي بعض المواضع، حملت سائر المواضع على ذلك، وإن لم يكن فيها موجب نحو: أغزيت، قلبت فيه الواو ياء حملا على يغزي، وإن لم يكن في أغزيت ما في يغزي من انكسار ما قبل الواو المتطرفة"(٢).

وفيما يأتي تفسير هذه الحالات بما يتلاءم والنظرة الصوتية الحديثة:

الحالة الأولى:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

مِوْزان: miw|zaan --> ميزان: mii|zaan

مِوْعاد: miw|caad --> ميعاد: mii|caad

ففي هذين المثالين، وما جاء على شاكلتهما، وقعت الواو بوصفها نصف حركة ضعيفة في ذاتهــا، وقعــت في نهاية مقطع مما زاد من ضعفها، علاوة على أن الواو سبقت بكسرة قصيرة فكونــت معها حركة مزدوجة، مكونة من الكسرة القصيرة، ونصف الحركة الواو(iw). وقد مر ســابقا أن النطق في مثل هذه الحركات يعد أمرا صعبا، فلجأ الناطق إلى التخلص منها بتحويلها إلى حركة بسيطة.

إن كــل مــا حدث في أمثلة هذه الحالة يتمثل في حل الحركة المزدوجة عن طريق قلب نصــف الحــركة الواو، التي أضعفها موقعها في نهاية مقطع ساكنة، والتي عدها ابن عصفور، وغيره من العلماء القدامى، أثقل حروف العلة. يقول ابن عصفور: "الواو أثقل من الياء"(٣). وقد ذهــب إلــى مــثل هذا الرضي فهو يقول: "الواو أثقل حروف العلة"(٤). تقول لقد قلبت نصف الحــركة إلــى كسرة قصيرة كونت مع الكسرة السابقة عليها، حركة بسيطة طويلة، هي الكسرة الطويلــة(ii) التــي تعد أخف من الحركة المركبة. وقد ترتب على هذا التحول الصوتي تغيير مقطعي حيث أصبح المقطع المتوسط المغلق، مقطعا متوسطا مفتوحا: ص ح ص --> ص ح ح، وقــد احدث هذا التحول تجانسا بين الأصوات المتجاورة. وعلى هذا فإن الآلية التي حكمت عملــية التحول الصوتي، في هذا النوع من الأمثلة تمثلت في تأثر الواو الضعيفة الواقعة ساكنة

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ص٤٥٩،٦٠٥

٢) المرجع نفسه، ص٥٢٢،٥٣٩،٥٤٠

٣) المرجع نفسه، ٤٦١/٢

٤) الإستراباذي: شرح الشافية، ٧٦/٣

في خاتمة المقطع بالكسرة القصيرة الواقعة في نواة المقطع، تأثرا تقدميا أدى إلى قلب الواو إلى حركة مماثلة للحركة القصيرة السابقة عليها، وهي الكسرة القصيرة. وهذا يخالف ما ذهب إليه القدماء من قلب الواو ياء. فالواو في هذه الأمثلة لم تقلب ياء، وغنما قلبت كسرة قصيرة. ويبدو أن طريقة الكتابة التي لم تفرق بين الياء بوصفها نصف حركة، والياء التي بوصفها كسرة طويلة. وقد نص على هذا عبد الصبور شاهين بقوله: "في مثل موزان: فإن قلب الواو ياء ليس إلا وهما، جسدته الكتابة العربية في كلمة: ميزان – والواقع أن اللغة العربية لما كانت تكره تتابع الكسرة والضمة، فقد أسقطت عنصر الضمة، وعوضت مكانه كسرة قصيرة، تصبح بالإضافة إلى سابقتها كسرة طويلة"(١).

الحالة الثانية:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

قِوَم: qi|wam --> قِيَم: qi|yam

سِواط: si|waat --> سِياط: si|yaat

رَضِوَ: ra|di|wa --> رَضِيَ: ra|di|ya

ففي هذه الأمثلة، وما جاء على شاكلتها، وقعت الكسرة، وهي حركة قصيرة، في نهاية مقطع، متلوة بمقطع آخر مبدوء بواو، وهي نصف حركة. وهذا يتطلب انتقالا مباشرا بين منطقة نطق الكسرة وهي منطقة أمامية، وقد بين محمد جواد النوري كيفية النطق بهذه الحركة بقوله: "يرتفع في أثناء النطق بها الجزء الأمامي من اللسان تجاه منطقة الغار، دون أن يؤدي هذا الارتفاع إلى إعاقة في مجرى الهواء الصادر من الرئتين"(٢). إلى منطقة نطق نصف الحركة، الواو، وهي منطقة خلفية. يقول محمد جواد النوري: "عند النطق بهذا الصوت، يقترب مؤخر اللسان تجاه الطبق اقترابا يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور دون إحداث احتكاك مسموع"(٣). وهذا الانتقال المباشر يوقع الناطق في مشقة وتكلف. وقد نص على هذا فليش بقوله: "عندما تلتقي الواو بالكسرة قد يحدث أن ترى نوعا من تكلف النطق وثقله، فلكي ننطق بالواو تستدير الشفتان، ولكي تنطق بالكسرة يحدث العكس فتنفرجان"(٤).

---

١) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٨٩. ومحمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص٣٣٦

٢) محمد جواد النوري: فصول في علم الأصوات، ص٢٥٠. وعلم أصوات العربية، ص١٩٣

٣) محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص١٦٥

٤) هنري فليش: العربية الفصحى، ص٢٠٤

الشكل التالي يبين طريقة الانتقال من منطقة أمامية إلى منطقة خلفية:

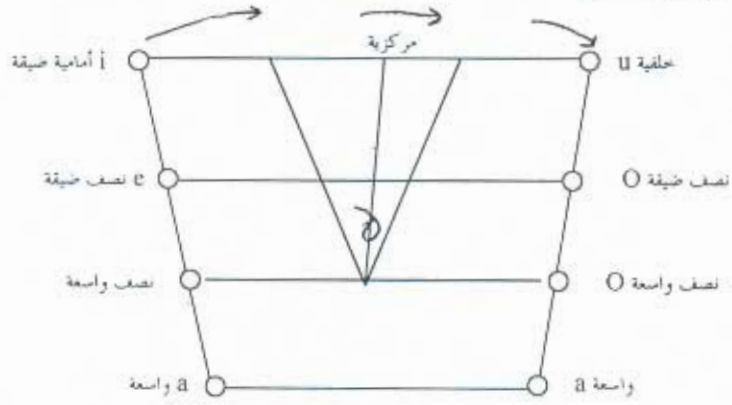

(1)

نلاحظ من الشكل السابق أن النطق يحتاج إلى أن ينتقل في أثناء نطقه من منطقة أمامية إلى منطقة خلفية، وهذا فيه ثقل وتكلف، علاوة على أنه يريد أن ينتقل بين متخالفين، لذا فقد عمد الناطق العربي، إلى إحداث مخالفة بين الصوتين المتجاورين عن طريق قلب الواو (نصف الحركة) إلى نصف حركة من جنس الكسرة وهي الياء، ليتم التماثل والانسجام بين الأصوات المتجاورة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الحالة الثالثة:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

طوي: tawy --> طيّ: tayy

سيود: sai|wid --> سيّد: say|yid

رَوْيان: raw|yaan --> ريّان: ray|yaan

ففي هذه الأمثلة، وما جاء على شاكلتها، وقعت الواو والياء، بوصفهما نصفي حركة، متجاورتين، ودونما فاصل بينهما، داخل مقطع طويل مضاعف الإغلاق(ص ح ص ص) كما في المثال الأول(طوي) tawy. هذا في حالة الوقف. أما في حالة الوصل فإنهما يقعان متجاورين أيضا ولكنهما في مقطعين منفصلين، أحدهما في نهاية مقطع متوسط مغلق(ص ح ص) taw، والآخر في بداية مقطع متوسط مغلق(wan).

إن كل ما حدث في المثال الأول يتمثل في تأثير الياء في الواو تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها، سواء أكانت في حالة الوصل أم في حالة الوقف. ففي الحالة الأولى فقد أثرت الياء في الواو تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها، فنتج عن هذا التحول مماثلة بين الصوتين المتجاورين. أما في حالة الوقف فقد عمد الناطق إلى إغلاق المقطع بنصف حركة مضعفة من شأنها أن تقوي

1) الحركات المعيارية عند دانيال جونز (بهذا الشكل توصل جونز إلى وضع تسع حركات معيارية).

نصـــف الحـــركة الضعيفة في ذاتها وفي موقعها، وليكون العمل من وجه واحد، يقول سيبويه: "مكـــان العمل من وجه واحد أخف عليهم، كما أن رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم في الإدغام؛ وكما أنهم إذا أدنوا الحرف من الحرف كان أخف عليهم"(١).

أمـــا في المثال الثاني فقد أثرت الياء في الواو تأثيرا تقدميا فحولتها إلى جنسها، في حين أثـــرت الـــياء في الواو في المثال الثالث تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها أيضا. وذلك من أجل إحداث نوع من التجانس والتماثل بين الأصوات المتجاورة، ومن ناحية أخرى، فإن الواو والياء، وهما صامتان ضعيفان، يستثقل اجتماعهما معا، وقد نص على هذا ابن عصفور بقوله: "يكرهون اجتماع الياء والواو، حتى يقلبون الواو إلى ياء، تقدمت أو تأخرت فيقولون "طويت طيا" والأصل "طويا"، ويقولون "سيد" والأصل "سيود" "(٢).

مـــن اللافت أن الذي حدث في عملية القلب الصوتي، ثم الإدغام، هو قلب الواو إلى ياء، ولـــيس العكـــس، ثم إدغام الياءين معا، ويعود السبب في ذلك إلى أن الياء والواو اللتين يستثقل اجـــتماعهما، ليستا بأثقل من اجتماع الواوين، أو الواو المضعفة. يقول الرضي: "قلب الواو إلى يـــاء سواء تقدمت الواو أو تأخرت، وإن كان القياس في إدغام المتقاربين قلب الأول إلى الثاني وإنما فعل ذلك ليحصل التخفيف المقصود، لأن الواو والياء ليستا بأثقل من الواو المضعفة(٣).

كما يعود ذلك أيضا إلى خفة الياء. يقول ابن عصفور: "الياء أخف من الواو"(٤).

الحالة الرابعة:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

دنوا: dun|waa <-- دنيا: dun|yaa

علوى: cul|waa <-- عليا: cul|yaa

في هذه الحالة الأمثلة وما جاء على شاكلتها، انقلبت الواو الواقعة في بداية مقطع متوسط مفـــتوح،(ص ح ح) إلى ياء، ويبدو أن السبب في هذا القلب يعود إلى أن الياء أخف من الواو، وأيسر في النطق منها. وقد نص على هذا عبد الصبور شاهين يقول: "فقد قلبت الواو ياء، نظرا لأن الياء أيسر نطقا من الواو. وبخاصة في نهاية الكلمة"(٥).

---

١) سيبويه: الكتاب، ٣٣٥/٤

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٣٤/١

٣) الإستراباذي: شرح الشافية، ١٠٤/٣

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٥٢،٥٤٥/٢

٥) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٠٩

الحالتان: الخامسة والسادسة:

تقدم لنا أمثلة هاتين الحالتين البنى المقطعية والصوتية الآتية:

عصوو: cu|suuw --> عصوي: cu|suuy --> عصى: ci|siyy

مرضوو: mar|duuw --> مرضوي: mar|duuy --> مرضي: mar|diyy

اجتمعت في المقطع الأخير من البنية، وهو مقطع طويل مغلق(suuw) و(duuw). حركة الضمة الطويلة ونصف الحركة، وهي الواضح، وهذا يعني أن المقطع الأخير ختم بتتابع حركي من شأنه أن يضعف النسيج المقطعي، إضافة إلى أن اجتماع الضمة والواو يعد أمرا مستثقلا على حد قول ابن عصفور.([1]) لذا فقد عمد الناطق إلى إحداث مخالفة صوتية تمثلت في قلب الواو التي وصفها القدماء بأنها أثقل حروف العلة، إلى ياء التي تعد أخف منها،والواو ثقيلة بنفسها وزاد في ثقلها وقوعها مسبوقة بالضم. وقد نص ابن عصفور على أن: "الضمة بمنزلة الواو، فإن كانت الواو مضمومة فكأنه قد اجتمع لك واوين"([2]). فأصبحت البنيتان عصوي ومرضوي.

جميع الحقوق محفوظة

وبعد ذلك أثرت الياء بوصفها نصف حركة في الضمة الطويلة فقسمتها إلى قسمين: الأول كسرة قصيرة، والثاني نصف حركة مجانسة لها، وهي(y). وبعد ذلك تم إدغام الياءين معا، مما أدى إلى تقوية المقطع بالتضعيف عن طريق إغلاقه بصامتين ضعيفين. فتحقق نوع من التجانس الصوتي وقد قلبت الضمة التي ختم فيها المقطع الأول في كلمة(عصي) إلى كسرة وذلك من أجل إحداث تناغم بين الحركات المتجاورة. ويقصد بالتناغم الحركي: "التوافق بين حركات كلمة واحدة في سمة واحدة، كأن تقول كلها أمامية، أو حركات خلفية، قد يكون التناغم كليا، وجزئيا"([3]).

الحالة الأخيرة:

يمثل لنا مثال هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

أغزوت: ʔaɣzawt|ʔaɣzayt: أغزيت

وقعت الواو في هذه الكلمة، وما كان على غرارها في خاتمة مقطع مستثقل في النطق، في حالة الوقف، وهو المقطع الطويل المضاعف الإغلاق(ص ح ص ص).

وقد زاد ثقل هذا المقطع لاشتماله على الحركة المزدوجة(aw) ذلك أن الواو كما نص ابن

---

١) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٣٨/٣٣٣،٢/١

٢) ابن عصفور: المرجع نفسه، ٣٣٣/١٠

٣) محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في اللغة، ص٢١

عصـــفور وغيره من القدماء أثقل حروف العلة، ولهذا فقد عمد الناطق إلى إجراء تعديل صوتي من شأنه أن يخفف من صعوبة النطق بهذا المقطع المشتمل على الحركة المزدوجة الواوية على حد قول جواد النوري.([1]) وذلك عن طريق قلب الواو الثقيلة إلى نصف حركة أخف منها وهي الـياء التـي ذكـرنا أنهـا أيسـر نطقا من الواو، وقد ترتب على ما سـبق استبدال الحركة المزدوجة(ay) بالحركة المزدوجة(aw) ومن الأدلة على صعوبة النطق بالحركة المزدوجة، أن البيـئات اللهجية تميل إلى قلة مثل هذه الحركات، تستبدل بها حركة بسيطة طويلة مماثلة (ee). فينطقون هذه الكلمة وأمثالها على النحـو الآتي: أغـزيت: zeet| a . ويذكر محمد جواد الـنوري السـبب في تخلص معظم الناطقين باللهجات العربية، من الحركات المزدوجة بقوله:" يعـود السبب إلى الطبيعة الانتقالية التي يقوم بها اللسان في أثناء إنتاج هذا النوع من الحركات. فاللسـان فـي أثناء النطق بهذه الحركة، ينتقل من موضع نطق حركة، إلى موضع نطق حركة أخرى، في فترة زمنية لا تكفي إلا لنطق صوت واحد فقط"([2]).

جميع الحقوق محفوظة

٧. قلب الياء واو:

ذكر ابن عصفور أن الياء تقلب إلى واو في الحالات الآتية:

١- إذا وقعـت الياء ساكنة بعض ضمة يقول ابن عصفور:"أن تقع ساكنة بعد ضمة فإنهـا تقلـب واوا، نحو:(موقن) أصله(ميقن)، لأنه من اليقين، فقلبت واوا لسكونها وانضمام ما قبلها"([3]).

٢- أن تقع الياء عينا لصيغة(فُعْلى) في الاسم. وفي هذا يقول ابن عصفور:" فُعلى مما عينه ياء فإنه لا يخلو أن يكون اسما أو صفة. فإن كان اسما قلبت واوا نحو: طوبى"([4]).

٣- إذا وقعـت لامـا لصيغة(فُعَل) نحو(لقضوَ الرجل). يقول ابن عصفور:" أصله لقضي فقلبت الياء واوا، لانضمام ما قبلها، لأن الياء وقبلها الضمة بمنزلة الياء والواو، فكما أن اجتماع الياء والواو ثقيل، فكذلك الياء إذا كانت قبلها ضمة، ولا سيما والياء في محل تغيير وهو الطرف"([5]). وقال أيضا:" إذا كان الفعل على(فَعُل) بضم العين... من ذوات الياء فإنه يصنع به ما ذكرنا من قلب الياء واوا، لما تقدم من ذكر ثقل الياء وقبلها ضمة نحو: لقضو الرجل"([6]).

---

١) ينظر: محمد جواد النوري، المرجع نفسه والصفحة نفسها. وعلم الأصوات العربية، ص٣٣٩

٢) محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص٢٢٤

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٣٦/٢ – ٣٣٧.و ٤٩٢،٤٩٣

٤) المرجع نفسه، ص٤٩٣

٥) المرجع نفسه، ص٥١٩

٦) المرجع نفسه، ٥٢١/٢

٤- إذا وقعت لاما لاسم على وزن فُعْلى. يقول ابن عصفور:" أن يكون الاسم على وزن فَعْلى مما لامه ياء، وذلك قولهم شَرْوى وتَقْوى وفَتْوى فإن العرب تبدل من الياء واوا في الاسم، والصفة تترك على حالها نحو: خَزْيا وصَدْيا، وإنما فعلوا ذلك تفرقة بين الاسم والصفة. وقلبوا الياء واوا في الاسم دون الصفة، لأن الاسم أخف من الصفة، لأن الصفة تشبه الفعل، والواو أثقل من الياء فلما عزموا على إبدال الياء واوا جعلوا ذلك في الاسم لخفته، فكان عنده من أجل ذلك، أحمل للثقل"(١).

وقال أيضا:"الشَّرْوى من شَرَيْت، والتَّقْوى من وَقَيْت، والفَتْوى من ذوات الياء بدليل قولهم: الفُتْيا بالياء"(٢).

وفيما يأتي تفسير هذه الحالات بما يتلاءم والدرس الصوتي الحديث:

الحالة الأولى والثانية:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

تقدم لنا أمثلة هاتين الحالتين البنى المقطعية والصوتية الآتية:

مُيْقن: muy |qin--> موقن: muu|qin

طُيْبى: tuy|baa--> طوبى: tuu|baa

وقعت الياء وهي نصف حركة في هاتين الحالتين في نهاية مقطع متوسط مغلق(ص ح ص) وقد سبقت بضمة قصيرة، فألقت معها حركة مزدوجة(uy). وقد ذكرنا أكثر من مرة أن هذه الحركة ثقيلة؛ لأن الناطق يحتاج في أثناء إنتاجها إلى تغيرات في المخرج، وفي انتقال اللسان، واستدارة الشفتين وضمهما، علاوة على أن نصف الحركة الياء ضعيفة في ذاتها، وزاد ضعفها بأنها وقعت ساكنة في نهاية مقطع. لذلك فقد عمد الناطق العربي إلى حل هذه الحركة المركبة عن طريق قلب نصف الحركة الياء إلى ضمة قصيرة كونت مع الضمة القصيرة السابقة عليها ضمة طويلة، أي أن الضمة القصيرة أثرت في الياء تأثيرا تقدميا فحولتها إلى جنسها، وذلك من أجل إحداث تجانس بين الصوتين المتجاورين. وقد ترتب على هذا التماثل تغيرا في النسيج المقطعي للبنية. حيث أصبح المقطع الأول مقطعا متوسطا مفتوحا(ص ح ح). من الجدير بالذكر هنا أن الياء لم تقلب إلى واو، كما ذكر ابن عصفور، وغيره من القدماء. وإنما قلبت إلى ضمة قصيرة كونت مع الضمة السابقة عليها ضمة طويلة. فتحولت الحركة المركبة إلى حركة بسيطة، وهي الضمة الطويلة، التي تعد أخف النطق، من الحركة المركبة.

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ص٥٤٢

٢) المرجع نفسه، ص٥٤٣

الحالة الثالثة:

يقدم لنا مثال هذه الحالة البنية المقطعية والصوتية الآتية:

قَضُيَ: qa|du|ya --> قَضِوَ: qa|di|wa

وقعت الياء في هذه الحالة، في بداية مقطع، ومسبوقة بمقطع منته بضمة قصيرة، ومن المعلوم أن بداية المقطع تحتاج إلى صوت قوي، ولهذا فقد عمد الناطق إلى قلب نصف الحركة الضعيفة وهي الياء إلى نصف حركة أقوى منها وهي الواو، والواو وإن كانت نصف حركة إلا أنها أقوى من الياء لأنها قريبة من الضمة الطويلة التي تعد أثقل الحركات. ويبدو أن الضمة القصيرة أثرت في صوت الياء تأثيرا تقدميا، فحولتها إلى نصف حركة قريبة من الضمة القصيرة، وهي نصف الحركة الواو. وقد أدى هذا التحول إلى إحداث تماثل بين الأصوات المتجاورة.

الحالة الأخيرة:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

شريا: sar|yaa --> شروى: sar|waa

تقيا: tuq|yaa --> تقوى: taq|waa

فتيا: fat|yaa --> فتوى: fat|waa

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع رسائل الجامعة الأردنية
رسائل الجامعية

في هذه الأمثلة، وما جاء على شاكلتها، وقعت الياء بوصفها نصف حركة ضعيفة في بداية مقطع متوسط مفتوح(ص ح ح). ومن المفترض أن يبدأ المقطع بصامت قوي، فعمد الناطق إلى تقوية المقطع عن طريق قلب نصف الحركة الياء إلى نصف حركة أقوى منها، وهي الواو، علاوة على أن الناطق أراد أن يحجز عمود الهواء الخارج من الرئتين عن طريق استدارة الشفتين عند النطق بنصف الحركة الواو.

٨. قلب الواو والياء ألفا:

ذكر ابن عصفور ن الواو والياء تقلبان إلى ألف في الحالات الآتية:

١- وقوع أي منهما ساكنة بعد فتحة في مضارع افتعل. وقد نص ابن عصفور على هذا بقوله: " أن تقع الواو ساكنة بعد فتحة في مضارع افتعل فإنها تقلب ألفا نحو: ياتعد، أصله يوتعد لأنه من الوعد، فقلبت الواو ألفا لأنها تقلب ياء بعد الكسرة في ايتعد، وتثبت بعد الضمة في موتعد. فلما كانت بعد الكسرة والضمة على حسبهما كانت بعد الفتحة على حسبها، فقلبت ألفا بالحمل"(١). وقال في الياء: "أن تقع ساكنة بعد فتحة في مضارع افتعل نحو: يائس من

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٣٦/٢

الـيأس أصـله ييئس، فقلبت الواو ألفا، للعلة التي قلبت الواو في ياتعد ألفا. أعني: الحمل على ايتأس وموتئس"(١).

ويـتفق ابن عصفور مع سيبويه في هذا القلب. يقول الأخير: "وأما ناس من العرب فإنهم جعلوها بمنزلة واو قال، فجعلوها تابعة حيث كانت ساكنة لكونها وكانت معتلة، فقالوا: ايتعد كما قالوا: قيل، وقالوا: ياتعد، كما قالوا: قال، وقالوا: موتعد، كما قالوا: قُوَل"(٢).

وقـال فـي الـياء: "والـياء توافق الواو في افتعل... وقد قالوا ياتَئِس وياتَبِس، فجعلوها بمنزلتها. إذ صارت بمنزلتها في التاء"(٣).

٢- أن تقـع أي مـنهما مـتحركة وما قبلها مفتوح، ويتم ذلك في الكلمات الجوفاء والناقصـة. وفي هذا يقول ابن عصفور: "أن تقع عين الفعل المجرد واوا أو ياء، فإن كانت من ذوات الواو فإن الفعل يكون على فعل وفعل وفعل، بضم العين وفتحها وكسرها. فـ "فعل": قام، و"فعـل": طـال، و"فعل": خاف. ومن ذوات الياء على "فَعَل" وفَعِل". بفتح العين وكسرها، ولا يجوز الضم استثقالا في الياء. ففَعل باع، وفَعِل كاد. وسبب اعتلال هذه الأفعال، في فَعُلَ وفَعِلَ، استثقالا للضمة في الواو، والكسرة في الواو والياء. ولتجانس حركة العين حركة الفاء، أما(فَعَل) فقلبت الواو والياء فيها ألفا، لاستثقال حرف العلة من جهة، واستثقال اجتماع المثلين، وهما فتحة الفـاء وفتحة العين من جهة أخرى. فقلبوا الواو والياء ألفا لخفة الألف، ولتكون العين حرفا من جنس حركة الفاء"(٤).

ويدخـل تحت هذه القاعدة الفعل المزيد، شرط أن يكون ما قبل حرف العلة متحركا نحو: انقـاد واخـتار، يقول ابن عصفور: "فإن وقعت الواو والياء عينا في فعل، على أزيد من ثلاثة أحرف، فإنه لا يخلو أن يكون ما قبل حرف العلة ساكنا، أو متحركا. فإن كان متحركا وذلك في انفعل وافتعل نحو: انقاد واقتاد واختار؛ فإنك تعامل ما بعد الساكن معاملة فعل على ثلاثة أحرف وذلـك أن الأصـل "انقَوَدَ واقتَوَدَ واختَيَرَ"، فعاملت قاد من انقاد وتاد من اقتاد وتار من اختار، معاملة قال وباع، فأعللت كما أعللتهما"(٥).

ويدخـل تحت هذه القاعدة الاسم الثلاثي الذي على وزن الفعل نحو: باب ودار، يقول ابن عصـفور فـي هذا: "فإن وقعت الواو والياء عينين في اسم على ثلاثة أحرف، فإنه لا يخلو أن يكـون علـى وزن من أوزان الأفعال أو لا يكون: فإن كان على وزن من أوزان الأفعال أعل

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ص٤٣٧

٢) سيبويه: الكتاب، ٣٣٤/٤

٣) المرجع نفسه، ص٣٣٨-٣٣٩

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٣٨/٢

٥) المرجع نفسه، ٤٧٣/٢

الفعل، فقلبت الواو والياء ألفا نحو: "باب" و"دار" و"ساق" فإنها في الأصل "بَوَبٌ" و"دَوَرٌ" و"سَوَقٌ" علـــى وزن "فَعَـــلٌ". فاستثقل حرف العلة واجتماع المثلين – أعني الفتحتين – فقلب حرف العلة ألفا"(١).

ويدخل تحت هذه القاعد أيضا الاسم المزيد – ونعني به – مصدر الفعل المعتل العين في الثلاثي نحو إقامة مصدر أقام واستقامة مصدر استقام(٢).

ويقول ابن عصفور في معتل اللام: "وإن كان الفعل على وزن فعل بفتح العين فإنك تقلب حـــرف العلة ألفا – ياء كانت أو واوا – نحو غزا ورمى. من الغزو والرمي. والسبب في ذلك ثقـــل اجـــتماع المثليـــن، أعني فتحة اللام، مع ثقل الياء أو الواو، فقلبت الياء والواو ألفين لخفة الألف، ولأنها لا تتحرك فيزول اجتماع المثلين، ولأنه ليس للواو والياء ما يقلبان إليه، أقرب من الألف لاجتماعهما معا في أن الجميع حروف علة ولين"(٣).

ويدخـــل تحت هذه القاعدة الفعل المضارع الذي يأتي على وزن "يَفْعَلُ" من الفعل الماضي الـــذي علـــى وزن "فَعِلَ". وفي هذا يقول ابن عصفور: "أما حكم المضارع من هذه الأفعال فإن الماضـــي... إن كـــان علـــى فَعِلَ فإنه يأتي مضارعه على يفعل، فتحرك حرف العلة، وما قبله مفتوح، فينقلب ألفا نحو يرضى على قياس الصحيح(٤).

ويدخـــل تحت هذه القاعدة الفعل المضارع المبني للمجهول. يقول ابن عصفور: "وما كان مـــن ذلك لما لم يسم فاعله فإن مضارعه أبدا يأتي على(يُفعَل)، بفتح العين وضم أو الفعل نحو: يرضى ويغزى على قياس الصحيح، ثم يقلب حرف العلة ألفا، لتحركه وانفتاح ما قبله"(٥).

ويمكن تفسير هذه الحالات من الناحية الصوتية على النحو الآتي:

الحالة الأولى:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالات البنى الصوتية والمقطعية الآتية:

يَوْتَعِد: yaw|ta|cid --> يا تعد: yaa|ta|cid

يِيْتَئِس: yay|ta| is --> ياتئس: yaa|ta| is

وقعـــت كل من الواو والياء بوصفهما نصفي حركة ضعيفين في ذاتهما. أقول وقعت في نهايـــة مقطـــع متوسط مغلق، فقد ضعفا بالموقعية، وقد سبقا بفتحة قصيرة كونت معهما حركة مـــزدوجة، فأراد الناطق أن يتخلص من مثل هذه الحركات، لأنه كما مر سابقا، يعد النطق بمثل

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ص٤٦٣

٢) ينظر: المرجع نفسه، ص٤٩٠. بتصرف

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٥٢٣/٢

٤) المرجع نفسه، ص٥٣٠

٥) المرجع نفسه، ص٥٣٢

هـذه الحـركات صـعبا، للطبـيعة الانتقالية الناتجة عن نطقها. فقد وقعت كل من الواو والياء الساكنتين الضعيفتين تحت تأثير الفتحة القصيرة السابقة عليهما. فحولتهما إلى جنسها، فكونت مع الحركة السابقة عليها، حركة طويلة، وهي الفتحة الطويلة المكونة من الفتحة القصيرة المبدلة من نصف الحركة والفتحة القصيرة السابقة عليها.

فكونـتا الفـتحة الطويلة، التي أطلق عليها التراث اللغوي ألفا. وبهذا التحول تغير النسيج المقطعـي للبنية. فتحول المقطع المتوسط المغلق إلى مقطع متوسط مفتوح(ص ح ح) وقد ترتب علـى هذا التحول إحداث تجانس بين الأصوات المتجاورة. ومن الجدير بالذكر أن كل من الواو والياء لم تقلبا إلى ألف كما ذهب القدماء. وإنما فتحة قصيرة.

الحالة الثانية:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

قَوَل: qa|wa|la --> قال: qaa|la

بَيَعَ: ba|ya|ca --> باع: baa|ca

غَزَوَ: ɣa|za|wa --> غزا: ɣa|zaa

رَمَيَ: ra|ma|ya --> رمى: ra|maa

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

وقعت كل من الواو والياء، وهما تطلف حركة، بين حركتين قصيرتين، وكل ما حدث في مـثل هذه البنى، كما يوضح التحليل الصوتي، يتمثل في استثقال النطق بنصف الحركة الواقعة بين حركتين، مما أدى إلى سقوطها، فالتقت الفتحة القصيرة السابقة على نصف الحركة والفتحة القصيرة اللاحقة لها. فكونتا الفتحة الطويلة، التي يطلق عليها التراث اللغوي ألفا. وبهذا الحذف تغير النسيج المقطعي للبنى السابقة، حيث أصبحت مؤلفة من مقطعين اثنين، لا ثلاثة مقاطع، كما كانت قبل الإعلال:

قَوَل: ص ح + ص ح + ص ح --> قال: ص ح ح + ص ح

بَيَع: ص ح + ص ح + ص ح --> باع: ص ح ح + ص ح

رَمَي: ص ح + ص ح + ص ح --> رمى: ص ح + ص ح ح

وقـد نـص هـنري فلـيش على ضعف الياء والواو ويزداد ضعفهما عندما يقعان بين مصوتين.

يقـول: "وجب أن نلاحظ ضعف الواو والياء حين تكون إحداهما بين مصوتين. إذ انهما ينحوان نحو الاختفاء"(١). إضافة إلى ذلك فقد اجتمعت في هذه البنى مقاطع مفتوحة متوالية يكره

---

١) هنري فليش: العربية الفصحى، ص٤١

العرب النطق بها على حد قول عبد الصبور شاهين.(١)

ومن اللافت من خلال التحليل الصوتي السابق، أن الواو والياء لم يقلبا إلى ألف كما ذهب القدمـــاء. وإنما حذفتا. "ولعل طريقة الكتابة العربية هي المسؤولة عن الخلط في عملية الوصف والتقعيد"(٢)

أما بالنسبة للبنى الباقية فإن التحليل الصوتي لنا:

طَوُل: ta|wu|la --> طال: taa|la

خَوِفَ: xa|wi|fa --> خاف: xaa|fa

كَيِدَ: ka|yi|da --> كاد: kaa|da

إن كلا من الواو والياء، بوصفهما نصفي حركة.وقعت بين مصوتين مما زاد من ضعفهما كما مر سابقا، لكن هنا نلاحظ أن المصوتين ليسا من جنس واحد، فحركة نصف الحركة تخالف الحـــركة الســـابقة عليها. وقد نص ابن عصفور على أن سبب قلب الواو والياء هنا يعود إلى: "استثقال الضمة في الواو، والكسرة في الواو والياء"(٣)

وقـــد نـــص المحدثـــون على كراهية النطق بالصوامت الضعيفة المشكلة بمصوتات من جنســـها. فهـــا هو هنري فليش ينص على كراهة النطق بالصوامت الضعيفة – الواو والياء – مشكلة بمصوتات من جنسها، فلا ينطق الواو مع الضمة(wu)، ولا الياء مع الكسرة(yi)، كما لا تـــنطق الـــواو مـــع الكسرة(wi)"(٤). علاوة على وجود مقاطع تكرهها العربية، وهي المقاطع المفـــتوحة، فعمـــد الـــناطق العربي إلى إسقاط نصف الحركة، فالتقت حركتان قصيرتان، وهما الفـــتحة مع الضمة، والفتحة مع الكسرة. فقلبوا الأثقل إلى الأخف. أي قلبوا الضمة والكسرة إلى فـــتحة. وبهذا الحذف والقلب تغير النسيج المقطعي للبنى السابقة. فأصبحت مكونة من مقطعين، وليس من ثلاثة مقاطع.

وينطبق هذا الأمر إلى حد كبير، على الأمثلة، التي تصنف مع الأمثلة السابقة، والتي تعتد من قبيل المصادر. نحو:

إقوام: ʔiq|waam --> إقامة: ʔi|qaa|mat

استقوام: ʔis|tiq|waam --> استقامة: ʔis|ti|qaa|mat

تقـــدم لـــنا الأمـــثلة السابقة أن الواو بوصفها نصف حركة وقعت في بداية مقطع، ومن المعـــروف أن الـــواو والـــياء صامتان ضعيفان، وبداية المقطع تتطلب صامتا قويا لذا فقد عمد

---

١) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي، ص١٧٤

٢) محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال، ص٢٤

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ص٤٦

٤) هنري فليش: العربية الفصحى،ص٤٦

الـناطق إلـى إسـقاط الصـامت الضعيف من البنية، وقد ترتب على ذلك إعادة تشكيل النسيج المقطعـي للبنـية، حيث أصبح الصامت السابق لنصف الحركة، يقع في بداية مقطع جديد على الـنحو الآتي: إقوام: iq|waam --> i|qaa|mat، ثم عوض عن نصف الحركة الساقطة من البنية، بالتاء التي بوصفها لاحقة لهذا النوع من البنى المصدرية(١).

ج. الإعلال بالنقل:

وبقصـد بـه، فـي التراث الصرفي، نقل حركة المعتل إلى الصحيح قبله(٢). ويقع هذا الإعلال عند ابن عصفور في المواضع التالية:

١- الفعل المضارع المعتل العين: يقول ابن عصفور: " وأعلوا المضارع حملا على الماضـي، فـأعلوا بالـنقل، فنقلوا حركة العين إلى الفاء، فلما نقلوا في "يَقْوُل" و"يَطْوُل". صارا "يَقُول" و"يَطُول". ولما نقلوا في "يَبْيِع" صار "يبيعُ". ولما نقلوا في "يَكْيِد" و"يَخْوِف". ثم قلبوا الواو والـياء ألفا، لتحركهما في الأصل قبل النقل، وانفتاح ما قبلهما في اللفظ،ولم يعتد بالسكون، لأنه عارض بسبب النقل"(٣).

جميع الحقوق محفوظة

٢- صـيغة مفعـول انطـوا: مقول الأمبيع: وفي هذا يقول ابن عصفور: "وأما اسم المفعـول فإنه يأتي على وزن مفعول على قياس الصحيح، نحو: "مبيْوْع" و"مقوْوْل". فيُعَلّ حملاً على فعله، فتنقل حركة العين إلى الساكن قبل، فيصير "مقوْوْل" و"مبيْوْع". فيجتمع ساكنان: واو مفعـول والعين، فتحذف واو مفعول. فيقال: مقول في ذوات الواو. وأما مبيوع، فإنه إذا حذفت واو مفعـول قلبت الضمة إلى كسرة، لتصح الياء، فتقول "مبيع""(٤). وفي المحذوف خلاف بين العلماء القدامى. فسيبويه والخليل يذهبان إلى أن المحذوف واو مفعول. ويؤيدهما ابن عصفور. أما أبو الحسن الأخفش فيرى أن المحذوف هو العين، أي الواو الأصلية(٥).

٣- الاسم المزيد المشبه بالفعل. ويقسم هذا عند ابن عصفور إلى الأقسام الآتية:

أ- أن يكـون الاسم موافقا للفعل في جنس الزيادة، والإعلال لا يصيره على لفظ الفعل. يقول ابن عصفور: "فإن لم يكن مصيرا له على لفظه أعللته لأمن اللبس، وذلك نحو أن تبني من القـول اسما على "يُفعُل" بضم الياء والعين، فإنك تقول: "يُقوُل". وكذلك إن بنيته من "البيع" قلت "يُبـيِع". والأصل "يُبيُع" فنقلت الضمة من الياء إلى الباء فصارت الياء ساكنة بعد ضمة، فقلبت

---

١) محمد جواد النوري: دراسة في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٤. بتصرف

٢) ينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٤٩/٢

٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٤) المرجع نفسه،٤٥٤/٢

٥) المرجع نفسه، ص٤٥٤-٤٥٩. بتصرف

الضمة كسرة لتصح الياء"(١).

ب- إن كـــان الإعـــلال مُصَيِّراً له على لفظ فعل لم يُعَلّ. يقول ابن عصفور: "وإن كان الإعلال مُصَيِّراً له على لفظ الفعل لم يُعَلّ، لئلا يلتبس الاسم بالفعل وذلك نحو قولك: "هذا أطول منك" ألا ترى أنك لو أعللت فقلت "أطال" لالتبس بلفظ الفعل"(٢).

ج- إن كـــان مخالفا له في جنس الزيادة فإنه يعل إعلال الفعل، يقول ابن عصفور: "وإن كان مخالفا له في جنس الزيادة فإنه يعل إعلال الفعل الذي يكون على وفقه في الحركات وعدد الحـــروف؛ لأنه قد أمن التباسه بالفعل فتقول في مَفْعَل من القول والقيام "مقال" و"مقام" والأصل "مَقْوَل" و"مَقْوَم" فأعللتهما كما أعللت "يخاف" ... وكذلك تفعل بما خالفت زيادته زيادة الفعل وإن كان فيه ما يقوم مقام الانفراد بالزيادة نحو بنائك من القول والبيع مثل "تحليء" "(٣).

٤- المصدر بوزن إفعال واستفعال. يقول ابن عصفور: "وذلك نحو: "إفعال" مصدر "أفعـــل"، و"استفعال" مصدر "استفعل". فإنك تنقل الفتحة من العين إلى الفاء الساكنة قبل، ثم تقلب حـــرف العلة، لتحركه في الأصل وانفتاح ما قبله، فيلتقي ألفان: الألف المبدلة من حرف العلة، والألف الزائدة قبل الآخر. فتحذف الواحدة لالتقاء الساكنين. فمذهب الخليل وسيبويه أن المحذوفة الزائدة، ومذهب الأخفش أن المحذوفة الأصلية"(٤).

ويمكن تفسير هذه المواضع من الناحية الصوتية الحديثة على النحو الآتي:

١- تقدم لنا أمثلة الموضع الأول البنى المقطعية والصوتية الآتية:

يَقْوُل: yaq|wul --> يَقُول: ya|quul

يَبْيِع: yab|yic --> يَبِيع: ya|biic

يَكْيَد: yak|yad --> يَكَاد: ya|kaad

يَخْوَف: yax|waf --> يَخَاف: ya|xaaf

نلاحـــظ فـــي المثالين الأولين أن نصفي الحركة(الواو والياء) حركتا بحركة من جنسهما. ووقعـــتا فـــي بدايـــة مقطع، وهما ضعيفتان، فعمد الناطق العربي إلى إسقاطهما وعوض عنهما بحـــركة مـــن جنسهما فكونت مع الحركة اللاحقة إليهما حركة طويلة مكونة من الفتحة الطويلة والكســـرة الطويلـــة على التوالي. وبما أن المقطع العربي لا يبدأ بحركة فقد أعاد تشكيل النسيج المقطعـــي للبنيتيـــن، حيث نقل الصامت السابق عليهما الواقع في نهاية المقطع الأول، إلى بداية المقطـــع الثاني. وبهذا لم يحدث إعلال بالنقل كما ذكر ابن عصفور وغيره من العلماء القدامى.

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٢/٤٨٥

٢) المرجع نفسه: ٢/٤٨٦-٤٨٧

٣) ينظر: المرجع نفسه، ص٤٨٦-٤٨٧. بتصرف

٤) المرجع نفسه،٢/٤٩٠

وإنما كل ما حدث إسقاط نصف الحركة الضعيفة وعوض عنها بحركة من جنسها. أما المثالان السابقان فإن نصف الحركة لم تحرك بحركة من جنسها وإنما حركت بالفتحة القصيرة. فأسقطها الناطق وعوض عنها بحركة من جنسها حركتها. فكونت مع الحركة اللاحقة حركة طويلة، وهي الفتحة الطويلة. وأعاد تشكيل النسيج المقطعي للبنية، حيث نقل الصامت السابق لنصف الحركة، إلى بداية المقطع. ليكون مقطعا تقبله العربية على هذا النحو:

يَكِيد: yak|yad --> يكاد: ya|kaad

يَخُوف: yax|waf --> يخاف: ya|xaaf

٢- تقدم لنا أمثلة الموضع الثاني البنى المقطعية والصوتية الآتية:

مَقْوُول: maq|wuul --> مقول: ma|quul

مَبْيُوع: mab|yuuc --> مبيع: ma|biic

وقعت كل من الواو والياء، بوصفهما نصفي حركة، في بداية مقطع. ومتلوة بحركة طويلة(الضمة الطويلة)، وفي اجتماع نصف الحركة مع الحركة ثقل في النطق. فعمد الناطق إلى إسقاط نصف الحركة في كلا المثالين ولم يعوض عنهما شيء. وبإسقاطهما يتكون مقطع لا تجيزه العربية. فنقل الصامت السابق عليه إلى بداية المقطع الثاني ليكون مع الحركة الطويلة مقطعا مقبولا. وللتفريق بين الأصل الواوي واليائي تقلب الضمة الطويلة في اليائي إلى كسرة طويلة نحو: مبيوع: mab|yuuc --> مبيع: ma|biic. أن كل ما حدث في مثال هذا الموضع يتمثل في حذف نصف الحركة، وإعادة تشكيل النسيج المقطعي ليتفق وما تجيزه العربية.

٣- تقدم لنا أمثلة هذا الموضع البنى المقطعية والصوتية الآتية:

يَقُول: yuq|wul --> يُقول: yu|quul

يَبْيُع: yub|yuc --> يُبيع: yu|biic

مَقْوَل: maq|wal --> مقال: ma|qaal

إن كل ما حدث في مثل هذه الأمثلة يتمثل في إسقاط نصف الحركة والتعويض عنها بحركة مجانسة لحركتها. فكونت معها حركة طويلة. ولكن المثال الثاني فإن الناطق أسقط نصف الحركة الياء وعوض عنها بكسرة قصيرة، ومن ثم قلب الضمة القصيرة إلى كسرة قصيرة كونت مع الكسرة السابقة كسرة طويلة. ونقل صامت المقطع الأول، إلى المقطع الأخير ليبتدئ به مقطعا تقبله العربية.

أما تَبْيِع: tib|yic --> تِبيع: ti|biic

و تَقْوِل: tiq|yil --> تِقيل: ti|qiil

فقد أسقطت نصف الحركة وعوض عنها بكسرة قصيرة. ونقل الصامت من المقطع الأول إلى المقطع الأخير لأنه لا يبتدأ بحركة.

٤- تقدم لنا أمثلة هذا موضع البنى المقطعية والصوتية الآتية:

إقوام: iq|waam ʔ <-- إقامة: ʔ i|qaa|mact

استقْوام: is|tiq|waam ʔ <-- استقامة: ʔ is|ti|qaa|mact

إن كل ما حدث في هذه البنى يتمثل في إسقاط الحركة الواقعة في بداية مقطع، متلوة بحركة طويلة. وعوض عنها في نهاية المصدر بتاء للتفريق بين بنية الفعل والمصدر. وتم إعادة تشكيل النسيج المقطعي للبنى السابقة. حيث تم نقل خاتمة المقطع الأول، لتشغل مطلع المقطع الثاني(١).

د. الإعلال بالحذف:

يقع مثل هذا الإدغام عند ابن عصفور في الحالات الآتية:

١- مضارع الفعل المزيد بالهمزة، الذي على وزن أفعل. فتحذف الهمزة الثانية. وفي هذا يقول ابن عصفور: " "أكرم"، وأصله "أأكرِمُ" فحذفوا الهمزة الثانية استثقالا لاجتماع الهمزتين، ثم حملوا "يُكرِم" و"تُكرِم" و"نُكرِم" على "أُكرِم"(٢).

٢- تحذف الواو إذا كان فاء في فعل على وزن فعل في المضارع. يقول ابن عصفور في الواو: "فإن وقعت فاء في فعل على وزن "فعل" فإنها تحذف في المضارع. فتقول في مضارع وَعَد: يَعِدُ، وفي مضارع وزن: يَزِنُ. وإنما حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، وهما ثقيلتان، فلما انضاف ذلك إلى ثقل الواو وجب الحذف. وحذفوا مه الهمزة والنون والتاء، فقالوا: تعد وأعد ونعد، حملا على الياء"(٣). وتحذف الواو في مصدر الفعل السابق عند مجيئه على وزن فعلة. وفي هذا يقول ابن عصفور: "وأما "فعلة" فحذفت الواو لثقل الكسرة في الواو، مع أنه مصدر لفعل قد حذفت منه الواو، فقالوا في "وعدة": "عدة" فألقوا كسرة الواو على ما بعدها وحذفوها"(٤).

٣- يحذف حرف العلة في الأفعال الماضية الجوفاء عند إسنادها إلى ضمائر الرفع. وفي هذا يقول ابن عصفور: "فإن أسند الفعل إلى ضمير متكلم أو مخاطب فإنه لا يخلو أن يكون على فعل أو فعل أو فعل فإن كان على فعل أو فعل بضم العين وكسرها، فإنك تنقل حركة العين إلى الفاء قبلها، وتحذف العين لالتقاء الساكنين، أعني: حرف العلة مع ما بعده. فنقول خفت

---

١) ينظر: محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٦

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٢٦/٢

٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٤) المرجع نفسه، ص٤٣١

وكدت وطلت، فتكسر الفاء من فعل وتضم الفاء من فعل"(١).

٤- أمـــر الفعل المعتل العين نحو: قُمْ وبِعْ. يقول ابن عصفور: " "قُمْ" و"بِعْ" أصلهما "أقْـوُم" و"أبيْع" ثم تقلب حركة العين إلى ما قبلهما فتحرك فذهبت همزة الوصل، لأنها إنما أوتي بها لأجل الساكن فزالت بزواله. ثم سكنوا الآخر، وحذفوا حرف العلة لالتقاء الساكنين"(٢).

٥- مضـــارع الفعل المعتل الآخر المجزوم. يقول ابن عصفور: "ويكون في موضع الجـــزم محذوف الآخر نحو: لم يرم ولم يغز. وإنما حذفت الواو والياء في الجزم لئلا يكون لفظ المـــرفوع كلفـــظ المجزوم لو أبقيت الياء والواو. وأيضا فإن الياء والواو لما عاقبتا الضمة فلم تظهر معهما، أجريتا مجرى الضمة فحذفتا للجزم كما تحذف الضمة"(٣).

ويمكن تفسير الحالات السابقة من الناحية الصوتية على النحو الآتي:

الحالة الأولى:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

أُأكرِم: ʔu|ʔak|rim <-- أكرم: ʔuk|rim

يُؤَكْرِم: yuʔ|ʔak|rim <-- يُكْرِم: yuk|rim

استثقل النطق في هذه الأمثلة، بالهمزة الواقعة في بداية مقطع متوسط مغلق(ص ح ص). وهـــي في هذه الأمثلة زائدة، فضلا عن كونها حرفا مستثقلا، إضافة إلى أن مثل هذه البنى يكثر ورودهـــا فـــي الكلام. الأمر الذي أدى إلى سقوطها من البنية، وفقا لقانون التردد النسبي. وقد ترتب على ذلك إعادة تشكيل النسيج المقطعي للبنى السابقة، إذا أصبح المقطع الأول، وهو مقطع قصير، مقطعا متوسطا مغلقا، اختم بالكاف التي كانت خاتمة المقطع المتوسط المغلق، الذي ألغي من البنية بعد سقوط الهمزة المفتوحة. ومن الملاحظ هنا أن المحذوف ليس الهمزة وحدها، وإنما الهمـــزة والحـــركة القصيرة اللاحقة لها، وبهذا الحذف أصبح النسيج المقطعي للبنية يتكون من مقطعين بدلا من ثلاثة مقاطع(٤).

الحالة الثانية:

يبين لنا التحليل المقطعي والصوتي للبنى الآتية:

وَعَد: wa|ca|da <-- يَوْعِد: yaw|cid <-- يَعِد: ya|cid

وَعَد: wa|ca|da <-- وِعْدة: wic|dah <-- وْعِده: wci|dah <-- عده: ci|dah

---

١) المرجع نفسه، ص٤٤٠،٤٣٩

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف ، ص٤٤٩

٣) المرجع نفسه ، ٥٣٥/٢

٤) ينظر: محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٨،٢٧

أن الواو بوصفها نصف حركة ضعيفة، وقعت في نهاية مقطع متوسط مغلق(ص ح ص) ساكنة. وقد ضعفت الواو في ذاتها، وموقعيتها، وسكونها، مما أدى إلى حذفها من صيغة المضارع. وقد ترتب على هذا الحذف إعادة تشكيل النسيج المقطعي للبنية، فقد تحول المقطع المتوسط المغلق إلى مقطع قصير(ص ح).

أما في المثال الثاني فقد وقعت الواو بوصفها نصف حركة في بداية مقطع، ومتلوة بكسرة قصيرة، فقد استثقل الناطق أن ينطق الواو وعليها كسرة، فعمد الناطق إلى نقل الكسرة إلى الساكن الذي يلي الواو. وعند النقل التقى صامتان متتاليان في مقطع واحد(ص ص ح) وهذا ما لا تجيزه العربية. وقد أطلق المحدثون على التقاء الصوامت بالعناقيد الفونيمية. فأسقط نصف الحركة الضعيفة من بداية المقطع المحظور. وبهذا تم إعادة تشكيل النسيج المقطعي للبنية. حيث أصبحت مقاطعها مما تجيزه العربية.

الحالة الثالثة:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى الصوتية والمقطعية الآتية:

كِدْتُ: ka|yi|da --> كِيْدْتُ: ka|yid|tu --> كِدْتُ: kid|tu

طُلْتُ: ta|wu|la --> طُوْلْتُ: ta|wul|tu --> طُلْتُ: tul|tu

في هذه الأمثلة، وقعت كل من الياء والواو، بوصفهما نصفي حركة في بداية مقطع، ومحركة بحركة من جنسها. وقد نص هنري فليش على "كراهية النطق بالصوامت الضعيفة – الواو والياء – مشكلة بمصوتات من جنسها، فلا تنطق الواو مع الضمة(wu) ولا الياء مع الكسرة(yi)"(١). فعمد الناطق إلى إسقاط نصفي الحركة، ومن ثم أسقط الفتحة السابقة عليها لأنه لا يجوز أن يبدأ المقطع العربي بحركة. وترتب عن هذا الإسقاط إعادة تشكيل النسيج المقطعي للبنى السابقة. حيث أصبحت تتكون من مقطعين بدلا من ثلاثة مقاطع. ولم يحذف الناطق الكسرة والضمة لتدل الأولى على الأصل اليائي والأخرى على الأصل الواوي.

الحالة الرابعة:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة، وما جاء على شاكلتها، البنى الصوتية والمقطعية الآتية:

قُوْمْ: quum --> قُمْ: qum

بِيْعْ: biic --> بِعْ: bic

في هذه الأمثلة، لا تشتمل كما ذكر ابن عصفور، على واو أو ياء، وإنما اشتملت على مقطع واحد طويل مغلق(ص ح ح ص). شغلت موقع النواة فيه ضمة طويلة في كلمة قوم(quum) وكسرة طويلة في كلمة بيع(biic). ومن الملاحظ من خلال الكتابة الصوتية أن قمة

---

١) هنري فليش: العربية الفصحى، ص٤٦

المقطـــع قصرت، فتحول المقطع من مقطع طويل مغلق إلى مقطع متوسط مغلق(ص ح ص)، ولهـــذا فـــإن ما قيل عن حذف الواو أو الياء لا يؤيده التحليل الصوتي والمقطعي للبنى السابقة. وربمـــا يعـــود هذا إلى طريقة الكتابة العربية التي لم تكن تفرق بين كتابة الواو بوصفها نصف حـــركة، والواو التي هي ضمة طويلة، وبين الياء بوصفها نصف حركة، والياء التي هي كسرة طويلة(١).

الحالة الأخيرة:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

لَمْ يَرْمِي: lam-yar|mii --> لم يَرْم: lam-yar|mi

لَمْ يَغْزُو: lam-yaɣ|zuu --> لم يَغْزُ: lam-yaɣ|zu

إن كـــل ما حدث في هذه الأمثل هو تقصير الحركة الناجمة عن تأثير الجازم، ولم تحذف الـــواو أو الياء كما ذهب ابن عصفور، وإنما حذفت الكسرة القصيرة في المثال الأول والضمة القصـــيرة فـــي المـــثال الثاني. ويرى محمد جواد النوري أن سبب الحذف يعود إلى: "وقوع النبر(٢)، على المقطع الأول من الكلمة أدى إلى تقصير الحركة الطويلة"(٣). وقد ترتب عن هذا التقصـــير إعادة تشكيل النسيج المقطعي للبنى السابقة، حيث أصبح المقطع الأخير مقطعا قصيرا بـــدلا مـــن مقطـــع متوسط مفتوح. ولهذا فإن ما قيل عن حذف الواو أو الياء، لا يؤيده التحليل المقطعي. وإنما يعود، كما ذكرنا آنفا، إلى طريقة الكتابة العربية التي لم تكن تفرق بين الحركات الطويلة وأنصافها.

---

١) ينظر: محمد جوا النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٨. بتصرف

٢) يقصد بالنبر stress ذاك الجهد الذي يبذل في نطق جزء من المنطوق بالقياس إلى جزء آخر منه، مما يؤكد أحد أجزاء المنطوق يجعله أكثر بروزا. ينظر: محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ص٢٦٤. وفصول في علم الأصوات، ص١٨٠

٣) محمد جواد النوري: دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٩

الفصل الرابع

مصادر ابن عصفور في الميدان الصوتي

١. سيبويه
٢. الفراء
٣. ابن جني
٤. المبرد
٥. الكسائي
٦. المازني
٧. ابن كيسان
٨. الأخفش
٩. ابن السكيت
١٠. أبو علي الفارسي
١١. الزجاج، ابن دريد، اليزيدي، اللحياني، الجرمي

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

اعـتمد ابن عصفور في تصنيف كتابه (الممتع في التصريف) على ما تقدمه من مؤلفات فـي علـم التصـريف، وقـد خصصنا الحديث عن الممتع، لأنه هو الذي يمثل المادة الصوتية والصـرفية عـند ابن عصفور أما بخصوص كتاب المقرب فالموضوع المسيطر عليه هو علم النحو، على الرغم من وجود بعض الموضوعات الصوتية والصرفية، ولكنها صدى لما ورد في الممتع، فآثرنا أن نبين مصادر الممتع دون أن نتعرض للمقرب كما ذكرنا سابقا. وقد سبقني إلى هذه الدراسة فخر الدين قباوة في كتابه(ابن عصفور والتصريف). حيث تناول في الفصل الثاني من كتابه المذكور مصادر الممتع(١). وقد أخذت من هذه الدراسة كثيرا في معرفة أهم المصادر التي استقى منها ابن عصفور مادته الصوتية.

حيـنما شرع ابن عصفور في تصنيف كتابه "الممتع"، كان في المكتبات العربية قدر هائل من الكتب العربية التي يستعين بها المصنفون، ويبدوا أن ابن عصفور قد استقى أكثر مادة كتابه ممـا صنفه أسلافه، فهو يعترف في خطبة كتابه بأنه نسق فيه جهود من سبقه، يقول: "فإني لما رأيت النحويين قد هابوا لغموضه، علم التصريف فتركوا التأليف فيه والتصنيف، إلا القليل منهم فإنهم قد وضعوا فيه ما لا يبرد غليلا، ولا يحصل لطالبه مأمولا، لاختلال ترتيبه وتداخل تبويبه، وضـعت فـي ذلك كتابا رفعت فيه من علم التصريف شرائعه، وملكته عاصيه وطائعه، وذللته للفهم بحسن الترتيب، وكثرة التهذيب لألفاظه والتقريب حتى صار إلى القلب أسرع من لفظه إلى السمع"(٢). فمهمة ابن عصفور في هذا الكتاب تتمثل في حسن التبويب والترتيب، وهذا يعني أن مادة كتابه ليس فيها من الأصالة ما يستحق أن ينص عليه في الخطبة، غير أنه له الجهد الأكبر فـي تذييل الموضوعات الصرفية، وتهذيب ألفاظها، فهو يقر بأنه جمع مادة كتابه مما تقدمه من الكتـب. ويمكنـنا أن نذكر ههنا ضربين من الكتب التي رجع إليها علماء التصريف في القرن السابع:

الضرب الأول: ويتمثل في الكتب الصرفية التي تضم بعض مسائل اللغة، من مثل:

الاشتقاق للمفصل بن سلمة(٣).

التصغير، الشواذ، الوقف والابتداء، لثعلب(٤).

الاشتقاق، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث، التصريف، للمبرد(٥).

---

١) ينظر: فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص١٥١-١٦٦

٢) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢٢/١

٣) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه محمد أحمد جاد المولى وآخرون،مطبعة عيسى البيالي الحلبي وشركاه، ٣٩/١٠

٤) القفطي: أنباه الرواة عن أنباه النحاة، ١٥١/١

٥) المرجع نفسه، ٢٥١/١

المقصور والممدود، مصادر القرآن، لليزيدي([1]).

المقصور والممدود، المذكر والمؤنث، للأنباري([2]).

فعلت وأفعلت، الاشتقاق، للزجاج([3]).

المقصور والممدود، الوقف والابتداء، المذكر والمؤنث، لابن الأنباري([4]).

التصاريف، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث، الوقف والابتداء، لابن كيسان([5]).

اشتقاق أسماء الله تعالى، للزجاجي([6]).

فعلت وأفعلت، لابن دريد([7]).

الاشتقاق، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث، لابن خالويه([8]).

الاشتقاق، لابن السراج([9]).

الإبدال لأبي الطيب اللغوي.

الاشتقاق، الوقف والابتداء، اشتقاق أسماء الله، للنحاس([10]).

أبنية كتاب سيبويه، للزبيدي([11]).

المقصور والممدود، الأفعال، لابن القوطية([12]).

المقصور والممدود، الرد على من قال بالزوائد، لابن درستويه([13]).

ألفات القطع والوصل للسيرافي([14]).

التصريف، الاشتقاق الكبير، الاشتقاق المستخرج، للرماني([15]).

---

١) القفطي: أنباء الرواة عن أنباه النحاة ، ١٩١/١

٢) المرجع نفسه، ٢٨/٣

٣) السيوطي: المزهر، ٣٥١/١

٤) القفطي: إنباه الرواة، ٢٠٨/٣

٥) المرجع نفسه، ٥٨/٣-٥٩

٦) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ١٧٦/٢

٧) ابن النديم: الفهرست،بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، سنة ١٩٧٨، ص٩٢

٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٣٤/١

٩) القفطي: إنباه الرواة، ١٤٩/٣

١٠) المرجع نفسه، ١٠١/١-١٠٣

١١) القفطي: إنباه الرواة، ١٠٨/٣

١٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥١٣/١

١٣) القفطي: إنباه الرواة، ١١٤/٢

١٤) المرجع نفسه، ٣١٤/١

١٥) المرجع نفسه: ٢٩٥/٢

التكملة في التصريف، المقصور والممدود، للفارسي([1]).

المصنف، المذكر والمؤنث، تعاقب العربية، المقصور والممدود، الهمز، المقتضب، الوقف والابتداء، التصريف الملوكي، لابن جني([2]).

شرح التصريف الملوكي، لابن الشجري([3]).

شرح التصريف الملوكي، لابن يعيش([4]).

شرح التصريف الملوكي، للواسطي([5]).

وغيرها من الكتب التي شملت القضايا الصرفية، وبعض مسائل اللغة، وقد ألفت قبل القرن السابع([6]).

أما الضرب الثاني فهو الكتب الأدبية، أو النحوية، أو اللغوية، التي تضم بعض الموضوعات أو المسائل الصرفية، من مثل([7]):

الأوسط في النحو، المقاييس في النحو، للأخفش الأوسط([8]).

العلل في النحو، المثلثات، لقطرب([9]).

مختصر النحو، النوادر، الحدود في النحو، للكسائي([10]).

الحدود في النحو، للفراء([11]).

القرخ في النحو، للجرمي([12]).

إصلاح المنطق، لابن السكيت.

الكامل، المقتضب، المقرب، ضرورة الشعر، للمبرد([13]).

---

١) القفطي: أنباه الرواة عن أنباه النحاة، ٢٧٤/١

٢) ابن جني: الخصائص، مقدمة الناشر، ص٦٠-٦٨

٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ٢٨٩/١

٤) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٥) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٦) ينظر: فخر الدين قباوة:ابن عصفور والتصريف، ص١٥١-١٥٤

٧) فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف، ص١٥٤-١٥٦

٨) القفطي:إنباه الرواة، ٤٢/٢

٩) المرجع نفسه، ٢٢٠/٣

١٠) المرجع نفسه/ ٢٧١/٢

١١) السيوطي: بغية الوعاة، ص٤١١

١٢) القفطي: إنباه الرواة، ٨٢/٢

١٣) المرجع نفسه، ٢٥١/٣-٢٥٢

المجالس، الشواذ، لثعلب([1]).

المجمل، الأمالي، شرح كتاب الألف واللام، للزجاجي([2]).

الاشتقاق، الجمهرة، لابن دريد.

شرح كتاب سيبويه، لابن السراج، للسيرافي، والرماني وغيرهم([3]).

القد، وسر الصناعة، والخصائص، والمحتسب، والألفاظ المهموزة، تفسير تصريف المازني، ويسمى المنصف، لابن جني([4]).

وغيرها من الكتب المشهورة مثل: المفصل للزمخشري، والأمالي لابن الشجري، وشرح المفصل لابن يعيش، وشمس العلوم لنشوان الحميري، ولم ننس دستور المؤلفات اللغوية كتاب سيبويه. ومما لا شك فيه أن علي بن مؤمن قد استقى معظم مادة كتابه "الممتع" من بعض هذه الكتب التي ذكرناها. ففي أثناء دراستنا للمادة الصوتية والصرفية عنده، لا حظنا ورود أسماء كثير من علماء اللغة الفحول، أمثال سيبويه، وابن جني، والمبرد، والأصمعي، وغيرهم. وفيما يأتي بين أهم مصادر ابن عصفور في هذا الميدان.

جميع الحقوق محفوظة

١. سيبويه:

يعد سيبويه شيخ اللغويين القدامى دون منازع، وكتابه دستور للذين جاءوا بعده، ومما لا شك فيه أن يأخذ ابن عصفور جل مادته من كتاب سيبويه، علاوة على أنه، أي ابن عصفور، كان، في كثير من المسائل الخلافية، ينافح عن سيبويه ويرجح رأيه، ومن هذه المسائل، على سبيل المثال لا الحصر، مسألة ترتيب أصوات أقصى الحلق. يقول ابن عصفور: "فأقصاها مخرجا الهمزة، والألف، والهاء هكذا هي هذه الثلاثة عند سيبويه. وزعم أبو الحسن أن الهمزة أولا، وأن الهاء والألف بعدها، وليست واحدة عنده أسبق من الأخرى، ويدل على فساد مذهبه، وصحة ما ذهب غليه سيبويه، أنه متى احتيج إلى تحريك الألف اعتمد بها على أقرب الحروف إليها، فقلبت همزة نحو: "رسالة ورسائل" فلو كانت الهاء معها من مخرج واحد لقلبت هاء، لأنها إذ ذاك أقرب إليها من الهمزة"([5]).

غير أن ابن عصفور في هذه المسألة لم ينقل نقلا صحيحا عن سيبويه، لأن ترتيب أصوات أقصى الحلق هي كالآتي: الهمزة، والهاء، و الألف([6]). فابن عصفور قدم الألف على

---

١) القفطي: أنباه الرواة عن أنباه النحاة، ١٥١/١

٢) السيوطي: بغية الوعاة، ص٢٩٧

٣) سيبويه: الكتاب، المقدمة/٣٩-٤٠

٤) ابن جني: الخصائص، المقدمة/٦٢-٦٤

٥) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٦٨/٢-٦٦٩

٦) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤٣٣/٤

الهـــاء، وزعم أنها هكذا عند سيبويه، وبدأ ينافح عنه، ويبدو أن سبب الخلاف ليس في الترتيب فقـــط، وإنما في كون الهاء والألف معا من مخرج واحد، بعد الهمزة، وليست إحداهما أسبق من الأخرى، هذه ثمرة الخلاف بين سيبويه والأخفش. غير أن ابن عصفور رجح قول سيبويه على قـــول الأخفش، على الرغم من أن ابن عصفور نفسه ذكر في موضع آخر: "وقد تقدم أن للحلق ثلاثة مخارج: فمن أقصاه الألف والهمزة والهاء"(١).

ومـــن ذلـــك أيضـــا، مذهب سيبويه في "أشياء" أنها على وزن "لفعاء" مقلوبة من "فعلاء" والأصـــل "شـــيئاء" مـــن لفظ شيء، ومذهب الكسائي أنها "أفعلاء" جمع شيء، أما المؤلف فإنه يستحسن مذهب سيبويه ويقول: "والذي يرد به على الكسائي أنه لو كان "أفعالا" لكان مصروفا، كـــ"أبيات" و"أجمال" و"أعباء"، إذ لا موجب لمنع الصرف"(٢).

وفي بعض المسائل يذكر رأي سيبويه ورأي من خالفه دون أن يرجح أحدهما على الآخر فمن ذلك مثلا، يقول ابن عصفور: "لم يجز إدغام واحد من الحاء والعين والهاء في الغين والخاء أعنـــي لكونهمـــا قد أجريا مجرى حروف الفم، فكما أن حروف الحلق لا تدغم في حروف الفم، فكذلك لا تدغم في الهاء والحاء ولا العين. وهذا مذهب سيبويه"(٣). ثم يذكر رأي المبرد في هذه القضية فيقول: "وحكى المبرد أن من النحويين من أجاز إدغام العين والحاء في الغين والخاء... وزعم أن ذلك مستقيم في اللغة، ومعروف وجائز في القياس، وسيبويه يأبى ذلك"(٤).

ومـــن مظاهر اعتماد ابن عصفور على سيبويه، أنه يحتج بمذهبه لرد ما روي في قراءة ابـــن كثـــير من إدغام غير مقيس. فقد روي عن ابن كثير أنه كان يدغم تاء المضارعة في تاء بعدهـــا، في أحرف كثيرة، منها ما فيه قبلها متحرك، ومنها ما فيه قبلها ساكن، من حروف المد واللين، ومن غيرها. وذلك نحو قوله تعالى: "فتفرق بكم"(٥). وأما ما كان قبله ساكن من حروف المد واللين، فقوله تعالى: "ولا تيمموا الخبيث"(٦). وأما ما كان قبله ساكن من غير حروف المد واللين فقوله تعالى: "إذ تلقونه"(٧). وقد عقب ابن عصفور بأن "سيبويه لا يجيز إسكان هذه التاء لأنها إذا سكنت احتيج لها إلى ألف وصل، وألف الوصل لا تلحق الفعل المضارع"(٨).

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف،٢/٦٧٩

٢) المرجع نفسه: ٢/٥١٣-٥١٤

٣) المرجع نفسه، ٢/٦٨٣-٦٨٤

٤) ابن عصفور الممتع في التصريف، ٢/٦٨٤

٥) الأنعام: ١٣٥

٦) البقرة: ٢٦٧

٧) النور: ٥

٨) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٧٢١

ولا يتحرج ابن عصفور من أن يذكر مباشر قال سيبويه، ومن ذلك مثلا "قال سيبويه وسمعنا بمن يوثق بعربيته قال: ثار، فضجتضجة ركائبه. فأدغم التاء في الضاد"(١).

ويبقى ابن عصفور يحتج برأي سيبويه ويقدمه على آراء بعض النحويين في زمانه، ويؤكد هذا الرأي ما قاله ابن عصفور في سيبويه في تنوين جوار، وهو في مذهب سيبويه عوض عن الياء المحذوفة، ومذهب الزجاج أن المحذوف أولا هو الحركة، في الرفع والخفض استثقالا، فلما حذفت الحركة عوض منها التنوين، فالتقى ساكنان – الياء والتنوين – فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، ويفصل ابن عصفور في هذه المسألة بترجيح رأي سيبويه. يقول: "والصحيح ما ذهب إليه سيبويه لأن تعويض الحرف من الحرف أكثر في كلامهم من تعويض الحرف من الكلمة، وأيضا فإنه كان يجب أن يعوض بدل التنوين من الحركة التي قد حذفت في الفعل نحو: يقضي ويرمي"(٢).

ومن الأمور التي قدم فيها ابن عصفور رأي سيبويه على من خالفه، حذف واو مفعول، فمذهب الأخفش أن المحذوف هو العين، لأنها لغير معنى، وواو مفعول حرف يدل على المفعولية، أما سيبويه فيرى أن المحذوف واو مفعول، ثم يأتي ابن عصفور ويرجح قول سيبويه بقوله: "زمما يدل على صحة مذهب سيبويه وفساد مذهب الأخفش، أنك إذا نقلت الضمة من العين إلى الفاء، في "مفعول" من ذوات الياء، اجتمع لك ساكنان: واو مفعول والياء، فتحذف واو "مفعول" فتجيء الواو ساكنة بعد ضمة، قريبة من الطرف، فتقلب الضمة كسرة على مذهب سيبويه"(٣). غير أن ابن عصفور في بعض المسائل يقدم رأي من خالف سيبويه عليه. ومن ذلك مثلا تقديم رأي الزجاج على سيبويه في "مصائب"، يقول ابن عصفور: "وأما "مصائب" في جمع "مصيبة" فكان القياس فيها "مصاوب"، فأما أن يكونوا همزوا الواو المكسورة غير أول شذوذا، فتكون مثل "أقائيم" في جمع "أقوام" وهو مذهب الزجاج. وإما أن يكونوا غلطوا فشبهوا ياء مصيبة وإن كانت عينا، بالياء الزائدة في نحو: "صحيفة" فقالوا "مصائب" كما قالوا "صحائف" وهو مذهب سيبويه، والأول أقيس عندي، لأنه قد ثبت له نظير، وهو "أقائيم" "(٤).ومن ذلك أيضا النون في(فعلان) في مثل سكران، فمذهب سيبويه أنها بدل من همزة(فعلاء) يقول: "عطشان، سكران، وعجلان وأشباهها. ذلك أنهم النون حيث جاءت بعد ألف كألف حمراء لأنها على مثالها

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف ، ٢/٦٩٠-٦٩١

٢) المرجع نفسه، ٢/٥٥٤-٥٥٥

٣) المرجع نفسه، ٢/٤٥٨

٤) المرجع نفسه،١/٣٤٠

في عدة الحروف والتحرك والسكون، وهاتان الزائدتان،وقد اختص بهما المذكر، ولا تلحقه علامة التأنيث كما أن حمراء لم تؤنث على بناء المذكر"(١). غير أن أبا الحق، صاحب الممتع يعرض المذهب بقوله: "وزعم بعض النحويين أن النون في فعلان الذي مؤنثه فعلى بدل من الهمزة، واستدلوا على ذلك بأنها قد تشابها_ أعني فعلان و فعلاء_ في العدد و التوافق في الحركات و السكنات و الزيادتين في الآخر، وأن المذكر في البابين بخلاف المؤنث وأنك تقول في جمع سكران: سكارى، كما تقول في جمع صحراء: صحارى. والصحيح أنها ليست ببدل... فالنون لا تبدل من الهمزة إلا شذوذا"(٢). وقد أقر المؤلف بعض المسائل التي لم يذكرها سيبويه، ومن ذلك مثلا، حروف البدل، فسيبويه يذكر منها أحد عشر حرفا بوردها ابن عصفور في كتابه(٣). ثم ذيلها بقوله: "وزاد بعض النحويين في حروف البدل: السين و الصاد و الزاي و العين والكاف و الفاء والشين"(٤). وبعد أن يفصل وجود الإبدال في هذه الحروف، يعتذر لسيبويه بقوله: "و السبب في أن لم يذكر سيبويه، رحمه الله، هذه الحروف السبعة في حروف البدل أنها تنقسم قسمين: قسم الإبدال فيه مراد به تقريب الحرف من غيره، فبابه أن يذكر في البدل الذي يكون بسبب الإدغام، لأنه يشبهه،وهو إبدال الصاد من السين، إذا كان بعدها طاء أو خاء أو غين و قاف. وقسم الإبدال فيه قليل جدا، أو في لغة بعض العرب، فلم يعتبره وهو ما بقي من السبعة أحرف. فأما الكاف و السين والشين والفاء، فإبدالها قليل جدا، وأما العين فإبدالها من الهمزة قليل، و لا يفعل ذلك إلا بنو تميم، وكذلك إبدال الزاي من الصاد وإنما تفعله كلب"(٥). وأحيانا يذكر ما فات سيبويه دون تبرير، ومن ذلك مثلا: إدغام الطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء في الضاد والجيم والشيم والصاد والزاي والسين. فيقول: "ولم يحفظ عن سيبويه إدغامها في الجيم"(٦). علاوة على ذلك، فالناظر إلى المادة الصوتية ومصطلحاتها عند تبن عصفور يجد نفسه يقرأ في كتاب سيبويه، فتعريف المجهور، والمهموس، والشديد، والرخو مثلا، لم يغير ابن عصفور فيه شيئا عما ورد عند سيبويه(٧).ومهما يكن من أمر، فلا غرو أن يكون لابن عصفور هذا الاهتمام البالغ بسيبويه وكتابه، فقد درس على الشلوبين عشر سنين حتى ختم عليه كتاب

---

١) سيبويه:الكتاب،٣/٢١٥-٢١٦

٢) ابن عصفور:الممتع في التصريف، ١/٣٩٥-٣٩٦

٣) المرجع نفسه،١/٣١٩

٤) المرجع نفسه،١/٤١٠

٥) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ١/٤١٥

٦) المرجع نفسه، ٢/٧٠١

٧) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤/٤٣٤-٤٣٥. وابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٦٧١-٦٧٢

سيبويه(١). علاوة على ذلك فقد كان ابن عصفور، في عصره، إماما في كتاب سيبويه(٢).

٢. الفراء:

يعد الفراء (ت٢٠٧هـ) إمام مدرسة الكوفة، وقد استمد ابن عصفور من مؤلفاته، ولكنه لم ينج من تعقب أبي الحسن بن عصفور، فكان يعرض رأيه، ومن ثم يحكم عليه بالقبول أو الرفض، ومن ذلك مثلا، مسألة حذف الواو إذا كانت فاء في الفعل في المضارع، يقول ابن عصفور: "وزعم الفراء أن موجب الحذف إنما هو التعدي نحو: يعد ويزن، وموجب الإثبات إنما هو عدم التعدي نحو: يوجل ويوحل. وهذا الذي ذهب إليه الفراء فاسد لأنه خارج عن القياس"(٣).

ومن ذلك أيضا قوله: "وذهب الفراء إلى لأن الأصل في "سيد": "سَوِيد" على وزن "فَعِيل"، ثم قلب فأدغم. وكذلك ما كان نحوه. وهذا الذي ذهب إليه فاسد لأن القلب ليس بقياس، وأيضا فإنه لم يجئ على الأصل في موضع"(٤).

ومن ذلك أيضا قضية كينونة وقيدودة. يقول ابن عصفور: "وزعم الفراء أنهما في الأصل كونونة وقودودة بضم الفاء، وكذلك صيرورة وطيرورة، ثم قلبت الضمة فتحة في صيرورة وطيرورة لتصح الياء، ثم حملت ذوات الواو على ذوات الياء، ففتحوا الفاء، وقلبوا الواو ياء لأن مجيء المصدر على فعلولة أكثر ما يكون في ذوات الياء نحو: صيرورة وطيرورة. وهذا الذي ذهب إليه فاسد من جهات:

منها أن ادعاء قلب الضمة فتحة لتصح الياء مخالف لكلام العرب، بل الذي اطرد في كلامهم أنه إذا جاءت الياء ساكنة بعد ضمة قلبت واوا، نحو قولهم: موقن وهي من اليقين، ومنها أن الضمة إذا قلبت لتصح الياء فإنما تقلب كسرة، كما فعلوا في "بيض" لا فتحة، ومنها أن حمله ذوات الواو على ذوات الياء ليس بقياس مطرد. أعني أنه إذا كثر أمر ما في ذوات الياء، ثم جاء منه في ذوات الواو شيء، لم يوجب حمل ذوات الواو على ذوات الياء، وإن فعل ذلك فشذوذا؛ ألا ترى أن كثرة "فعالة"، في المصادر من ذوات الياء نحو: "السقاية" و"الرماية" و"الكناية"، وقلتها من ذوات الواو، لم تخرج "جباوة" عن الشذوذ، ومنها أن ما ادعاه، من أن "فعولة"، في ذوات الواو قد كثر، بل هذا الوزن في المصادر قليل في ذوات الياء والواو. ما جاء منه في ذوات الواو كالمعادل لما جاء منه في ذوات الياء"(٥).

---

١) الكتبي: فوات الوفيات، ١٠٩/٣

٢) ابن السعيد علي بن موسى: اختصار القوم المعلى، ص٩٦

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٣٥/٢

٤) المرجع نفسه، ٥٠١/٢

٥) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٥٠٣/٢-٥٠٥

ويذكـــر مذهـــب الفراء في "آية" يقول: "ومذهب الفراء أن وزنها "فَعْلَة" وأن الأصل "أيَة" فاستثقلوا اجتماع ياءين، فأبدلوا من الساكن ألفا تخفيفا. قال: وإذا كانوا يفعلون ذلك بالياء الساكنة وحدهـــا، فـــي نحـــو "عَيَب وعاب" و"ذَيَم وذام"، فالأحرى أن يفعلوا ذلك إذا انضاف غليها ياء أخـــرى. وهـــذا الذي ذهب إليه فاسد، لأن فيه إعلال العين، مع أن العين معتلة، كما في مذهب الخلـــيل، مع أن إبدال الياء الساكنة ألفا ليس بمستمر. وأما "العاب والعَيْب" و"الذام والذَيْم" مهما جاء على "فَعْل" تارة، وعلى "فَعَل" أخرى"(١).

غير أن ابن عصفور يأخذ – في بعض المسائل – برأي الفراء، فمن ذلك مثلا، في إبدال الألـــف همـــزة يستعين أبو الحسن بما روي عن الفراء. يقول: "ومنه ما أنشده الفراء، من قول الآخر:(من الرجز)

يا دارَ ميٍّ، بَدَكا ديكِ البُرَقْ صَبْراً فقَدْ هَيَّجْتِ شَوْقَ المُشْتَئِقْ"(٢).

فلاحظ من موقف ابن عصفور من الفراء أنه كان كثير النقد له. بعكس سيبويه الذي كان يعتذر له، أو ينافح عنه، أو يرجح رأيه على من خالفه في أغلب الأحيان.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٣. ابن جني:

استقى ابن عصفور من مؤلفات ابن جني، أمثال الخصائص، وسر الصناعة، والمحتسب، والمنصـــف، وغيرها. وهو يعترف بهذا في كثير من مواضع كتابه. ومن ذلك مثلا، ما نقله ابن عصفور عنه في إبدال الهمزة من الألف على غير قياس يقول: "ومن هذا القبيل جعل ابن جني قول الراجز:(من الرجز)

مِنْ أَيِّ يَوْمَيَّ مِن الموتِ أَفِرّْ أَيَوْمَ لَمْ يُقْدَر أَمْ يَوْمَ قُدِرّْ؟"(٣).

ومن ذلك أيضا ما نقله ابن عصفور عن ابن جني في قلب الواو المضمومة همزة، فيذكر مذهب ابن جني في هذه المسألة بقوله: "وزعم ابن جني أنه لا يجوز قلب الواو المضمومة همزة إذا كانـــت زائدة، فلا يقال "التَرْهُؤُك" في مصدر "تَرْهَوك". والسبب في ذلك عنده أنها إذا كانت أصـــلية فإن تصريف الكلمة، أو اشتقاقها، يدل على أن الهمزة مبدلة من الواو، ولا يتصور ذلك

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف ، ص٥٨٣

٢) المرجع نفسه ، ٣٢٥/١. الدكاديك: جمع دكداك وهو الرمل المتلبد في الأرض، البرق: جمع برقة، وهي غلظ فيه حجارة ورمل.

٣) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٣٢٢/١

فـيها إذا كانـت زائدة، فلو أبدلت لأدى ذلك إلى الإلباس، في بعض المواضع، فلم يدر: أزيدت ابتداء، أم زيدت الواو أولا ثم أبدلت الهمزة منها. فلما كان إبدال الزائدة يؤدي إلى الإلباس، في بعـض المواضع، رفض إبدالها. ومما يقوي هذا المذهب أنها لا تحفظ من واو زائدة مبدلة"(١). وقـد كـان ابن عصفور ينقل كلام ابن جني دون أن ينسبه إليه. من ذلك مثلا، إبدال التاء من الطاء، يقول ابن عصفور: "وأبدلت من الطاء في فستاط، والأصل فسطاط بدليل قولهم فساطيط ولا يقولون فساتيط"(٢)، وهذا القول لابن جني ورد في سر الصناعة(٣).

٤. المبرد:

الذي تعقب سيبويه، واستدرك عليه، وكان له نصيب وافر من نقد المصنف، ومع هذا فقد اسـتقى ابن عصفور من مؤلفاته، ومن ذلك مثلا، يقول ابن عصفور: "فحروف المعجم الأصول تسعة وعشرون، أولها الألف وآخرها الياء، على المشهور من ترتيب المعجم. لا خلاف في ذلك بيـن العلماء، إلا أبا العباس المبرد فإنها عنده ثمانية وعشرون أولها الباء وآخرها الياء ويخرج الهمزة من حروف المعجم، ويستدل على ذلك بأنها لا تثبت على صورة واحدة، فكأنها عنده من قبـيل الضبط، إذ لو كانت حرفا من حروف المعجم لكان لها شكل واحد، لا تنتقل عنه، كسائر الحـروف. وهذا الذي ذهب إليه فاسد، لأن الهمزة لو لم تكن حرفا لكان "أخذ" و"أكل" وأمثالهما علـى حرفيـن خاصة، لأن الهمزة ليست عنده حرفا. وذلك باطل، لأن أقل أصول الكلمة ثلاثة أحـرف. فإما عدم استقرر صورتها على حال فسبب ذلك أنها كتبت على حسب تسهيلها. ولولا ذلـك لكانت على صورة واحدة وهي الألف. ومما يدل على ذلك أن الموضع الذي لا تسهل أن تكتب فيه ألفا، بأي حركة تحركت، وذلك إذا كانت أولا نحو: "أحمد" و"أبلم" وإيمد".

ومما يبين أيضا أنها حرف أن واضع أسماء حروف المعجم وضعها على أن يكون في أول الاسم لفظ الحرف المسمى بذلك الاسم، نحو جيم ودال وياء وأمثال ذلك، فالألف اسم للهمزة لوجود الهمزة في أوله. فأما الألف التي هي مدة فلم يتمكن ذلك في اسمها، لأنها ساكنة، ولا يبتدأ بسـاكن، فسميت ألفا باسم أقرب الحروف غليها في المخرج، وهو الهمزة. ومما يبين أيضا أنها حرف، وليست من قبيل الضبط، أن الضبط لا يتصور النطق به إلا في حرف، والهمزة يتصور الـنطق بها وحدها كسائر الحروف"(٤). ومن ذلك أيضا قول ابن عصفور: "وذهب أبو العباس إلى أن نحو "مقام" و"مباع" إنما اعتل لأنه مصدر للفعل، أو اسم مكان، لا لأنه على وزن الفعل،

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف ، ٣٣٦-٣٣٧

٢) المرجع نفسه ، ٣٩٠/١

٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١٧٤/١

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٦٣/٢-٦٦٥

وجعـــل "مزيد" و"مريم" و"مكوزة" على القياس، لأنها ليست لها أفعال فتحمل في الإعلال عليها، وإنما هي أسماء أعلام. وهذا الذي ذهب إليه فاسد، لأنه إن زعم أنه لا يعل إلا أسماء المصادر، وأسماء الأزمنة والأمكنة، فقد أعلت العرب "معيشة" وهو اسم ما يعاش به، وليس باسم مصدر، ولا زمـــان، ولا مكان. وكذلك "المثوبة" وهو اسم ما يثاب به من خير أو شر"(١). ومن ذلك ما نقله أيضا عن المبرد من قلب الألف همزة. يقول: "وزعم المبرد أن ألف فاعل أدخلت قبل الألف المنقلبة في "قال" و"باع" وأمثالهما، فالتقى ألفان، وهما لا يكونان إلا ساكنين، فلزم الحذف لالتقاء الســـاكنين. أو التحريك. فلو حذفت لالتبس الكلام، وذهب البناء، وصار الاسم على لفظ الفعل، فتحركت العين لأن أصلها الحركة. والألف إذا تحركت صارت همزة"(٢).وينقل عن المبرد في الإدغام نحو قوله: "وحكى المبرد أ، من النحويين من أجاز إدغام الحاء والعين في الغين والخاء نحـــو قولك: "امدّغالبا" و"امدّخلفا" و"اسمّغالبا" و"اسمّخلفا" تريد: امدح غالبا، وامدح خلفا، واسمع غالبا، واسمع خلفا. وزعم أن ذلك مستقيم في اللغة، معروف جائز في القياس، لأن الخاء والغين أدنـــى حـــروف الحلق إلى الفم. فإذا كانت الهاء تدغم في الحاء، والهاء من المخرج الأول من الحلق، والحاء من الثاني، وليست حروف الحلق بأصل للإدغام، فالمخرج الثالث أولى أن يدغم فـــيما كان بعده، لأن ما بعده متصل بحروف الفم، التي هي أصل للإدغام، ألا ترى انهم أدغموا الـــباء في الفاء، والباء من الشفة مخضة، والفاء من الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، فقالوا: إذهفّي ذلك و اضرفّرجا لقرب الفاء من حروف الفم. وسيبويه يأبى ذلك"(٣).

٥. الكسائي:

ويســـتقي ابـــن عصفور من الكسائي، ومن ذلك مثلا، مذهب الكسائي في "أية" يقول ابن عصفور: "ومذهب الكسائي أن وزنها "فاعلة" والأصل "أيية"، فحذفت استثقالا لاجتماع الياءين، إذ حذفـــوا في "بالة"، وهذا الذي ذهب إليه فاسد، لأن فيه إعلال العين، لأن الحذف إعلال، ومع أن حـــذف الـــياء التي هي عين ليس بمطرد(٤). ومن ذلك أيضا: في الإدغام. يقول ابن عصفور: "ومـــن ذلـــك إدغام الكسائي وحده الفاء من "تخسف بهم"(٥) في الباء وقد تقدم أنها من الحروف التـــي لا تدغم في مقاربها، ولا يحفظ ذلك من كلامهم. وهو مع ذلك ضعيف في القياس، لما فيه

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٤٨٨/٢

٢) المرجع نفسه، ٣٢٨/١

٣) المرجع نفسه، ٦٨٤/٢

٤) المرجع نفسه، ٥٨٣/٢

٥) سبأ: ٩

من إذهاب التفشي الذي في الباء"(١). ومما أخذه عن الكسائي أيضا إدغام الراء في اللام، يقول: "وقد أجازه الكسائي، وله وجْهٌ من القياس، وهو أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاما، ولفظ اللام أسهل من الراء لعدم التكرار فيها، وإذا لم تدغم كان في ذلك ثقل، لأن الراء فيها تكرار فكأنها راءان، واللام قريبة من الراء، فتصير كأنك أتيت بثلاثة أحرف من جنس واحد"(٢).

٦. المازني:

وقد استقى ابن عصفور من مؤلفات المازني، ومن ذلك مثلا، يقول: "وزعم المازني أن الهمزة إذا كانت مفتوحة وقبلها فتحة، أنها تبدل ياء. فقال في "أفعل" من "أَمَمْتُ" "أَيَمْ" كما تبدل إذا كانت مكسورة، نحو " أَيِمَّة" جمع "إمام"، لأن الفتحة أخت الكسرة، فالأقيس أن يكون حكم الهمزة المفتوحة كحكم المكسورة في الإبدال، لا كالمضمومة في إبدالها واوا، ورأى أنه لا حجة في أوادم، لأنهم لما قالوا في المفرد "آدم" صار بمنزلة "تابل" فأجروا الألف المبدلة مجرى الزائدة، فكما قالوا: تَوابِل، فكذلك قالوا: أَوادِم. فالواو عنده بدل من الألف لا من الهمزة"(٣). غير أن المصنف فند زعمه، ونعته بالفساد. وقال: "وهذا الذي ذهب إليه فاسد، لأن الألف المبدلة لو كانت تجري مجرى الألف الزائدة لجاز أن يجمع بينهما وبين الساكن المشدد، فكنت تقول في جمع "إمام": "آمّة". فيكون أصله "أأممة" فتبدل الهمزة ألفا فيصير "آمِمَة"، ثم تُدْغِمُ الميم في الميم فتسكنُ الأولى لأجل الإدغام، فتقول: "آمَّة"، وتجمع بين الألف والساكن المشدد، كما جاز ذلك في "دابّة". فقول العرب "أيِمّة"، ونقلهم الحركة إلى ما قبل، دليلٌ على أنها لم تُجْرَ مُجْرى الألف الزائدة"(٤).

ومن ذلك أيضا، ما نقله عن المازني في أشاوَى. يقول: "فمذهب المازني أنها أي كلمة "أشياء" جمع شيء، وكان الأصل أن يقال: أشايا، فأبدلت الياء واوا شذوذا، كما قالوا "جَبَيْنٌ الخراج جِباوَة". ففيها – على هذا – شذوذان: قلب اللام إلى أول الكلمة، وقلب الياء واوا"(٥).

وقد نقل المصنف عن المازني في جَيْوَتُ. يقول: "وزعم المازني أن هذا مما جاءت عينه ياء ولامه واو، وأنه اسم لم يستعمل منه فعل، كما قالوا " فاظ الميت يَفِيظُ فَيْظا وفَوْظا"، فاستعملوا الفعل مما عينه ياء، ولم يستعملوه مما عينه واو"(٦). غير أن المصنف فند مذهبه

---

١) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢/٧٢٠

٢) المرجع نفسه، ٢/٧٢٥

٣) المرجع نفسه، ١/٣٦٦

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ١/٣٦٦-٣٦٧

٥) المرجع نفسه، ٢/٥١٦

٦) المرجع نفسه، ٢/٥٦٩

ونعته بالفساد، بقوله: "وهذا الذي ذهب إليه فاسد، لأنه قد ثبت إبدالهم الياء واو شذوذا، ولم يثبت من كلامهم ما عينه ياء ولامه واو، وأيضا فإن "الحيوان" من الحياة. ومعنى الحياة موجود في "الحَيا" المطر... وهم يقولون في تثنيته "حَيَيان" بالياء لا غير، فثبت بذلك أن الواو في "حيوان" بدل من الياء وأن ما ذهب إليه المازني فاسد"(١). ومما نقله المصنف عن المازني قوله في قوقيت: "وزعم المازني أن الألف منقلبة عن واو، وحجته أن الألف لما لم ينطق لها بأصل، لا من ياء ولا من واو، حملها على ما نُطق له بأصل وهو قَوقَيتُ"(٢).

٧. ابن كيسان:

استقى ابن عصفور من مؤلفات ابن كيسان، فمن ذلك مثلا: "زعم أبو الحسن بن كيسان أن ما كان على وزن "فَعِل" أو "فَعُل" لا يدغم. واستدل على ذلك بأنك لو أدغمت لأدى ذلك إلى الإلباس، لأنه لا يعلم هو في الأصل متحرك العين أو ساكنه، وهذا الذي ذهب إليه فاسد، لأنه إذا أدى القياس إلى ضرب ما من الإعلال استعمل، ولم يلتفت إلى التباس إحدى البنيتين بالأخرى، ألا ترى أن العرب قد قالت: مختار في اسم الفاعل واسم المفعول ولم يلتفت إلى اللبس"(٣). ومما نقله عن ابن كيسان أيضا قوله: "فإن ابن كيسان – رحمه الله – قد حكى في "المختار"* له أن العرب تقول يا هناه، بفتح الهاء الواقعة بعد الألف، وكسرها وضمها. فمن كسرها فلأنها هاء السكت، فهي في الأصل ساكنة، فالتقت مع الألف، فحركت بالكسر على أصل التقاء الساكنين، فمن حركها بالفتح فإنه أتبع حركتها حركة ما قبلها، ومن ضم فإنه أجراها مجرى حرف من الأصل، فضمها كما يُضَمُّ آخرُ المنادى، ولو كانت الهاء بدلا من الواو لم يكن للكسر والفتح وجه، ولوجب الضم كسائر المناديات"(٤).

٨. الأخفش:

أخذ ابن عصفور عن أبي الحسن الأخفش، ومن ذلك مثلا، مذهب الأخفش في حذف عين مفعول، يقول: "وأما أبو الحسن فيستدل على أن المحذوف هو العين، بأنها لغير معنى، وواو "مفعول" حرف معنى يدل على المفعولية. فحذف ما لا معنى له أسهل، كما أنه لما اجتمعت "التاءان" في "تذكرون" ونحوه حذفت الثانية، ولم تحذف الأولى، حيث كانت لمعنى"(٥).

---

١) ابن عصفور الممتع في التصريف ، ٥٦٩/٢-٥٧٠

٢) المرجع نفسه، ٥٩٢/٢

٣) المرجع نفسه ، ٦٤٦/٢

* المختار: كتاب في النحو وهو في ثلاثة مجلدات

٤) ابن عصفور الممتع في التصريف ، ٤٠٢/١

٥) المرجع نفسه،٤٥٦/٢

ومـــن ذلك أيضا: يقول: "وزعم أبو الحسن الأخفش أنه لا يجوز قلب الواو همزة، إلا إذا اكتـــنف الجمع واوان نحو: "أوَلّ" و"أوائل". فأما إن اكتنفها ياءات، أو واو وياء، فلا يجوز عنده قلـــب حرف العلة الذي بعد الألف. بل يقول في جمع "فَوْعَل" من البيع: بَوايع، وفي جمع "بَيِّن" "بيايـــن"، وفـــي جمـــع "سيِّد" سياوِد". وحجته على ذلك أن الواوين أثقل من الياءين، ومن الواو والياء، والقلب لم يسمع غلا في الواوين. نحو قولهم في جمع "أوَل": "أوائل"ن فلا يقاس عليه ما ليس من رتبته، من الثقل. وهذا الذي ذهب إليه فاسد، بدليل ما حكاه المازني عن الأصمعي، من قولهـــم في جمع "عَيِّل": عيائِل" بالهمزة، ولم تكتنف ألف الجمع واوان. فدل ذلك على أن العرب استثقلت في هذا وأمثاله اكتناف ألف الجمع حرفا علة"(١).

٩. ابن السكيت:

ويستقي ابن عصفور عن ابن السكيت (ت٢٤٤هـــ) كثيرا من المسائل في القلب والإبدال. مـــن ذلـــك أنـــه يقـــول: "قال يعقوب: وبعض العرب، إذا شدد الياء صيرها جيما. وأنشد ابن الأعرابي:(من الرجز)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع مصادر الصفحة قرويت

كأنّ في أذنابهنّ الشوّلِ ... من عَبَسِ الصّيفِ قرونَ الأُجُلِ

يريد الأيل"(٢).

ومن ذلك أيضا أنه يقول في إبدال الميم: "وأبدلت من النون فيما حكاه يعقوب عن الأحمر، من قولهم: طانه الله على الخير، وطامه، أي: جبله. وهو يطينه. ولا يقال: يطيمه"(٣).

١٠. أبو علي الفارسي:

ويذكـــر المصنف مذهب الفارسي في حذف الياء المتحركة تخفيفا في ذوات الياء، يقول: "والفارســـي لا يرى التخفيف في ذوات الياء قياسا، فلا نقول في "بَيِّن": بَيْن". قياسا على "لَيْن"، ويقـــيس ذلـــك فـــي ذوات الواو. وحجته أن ذوات الواو قد كانت الواو فيها قد قلبت ياء فخففت بحذف أحدى الياءين منها، لأن التغيير يأنس بالتغيير، ألا ترى أنهم يقولون في النسب إلى "فعيل "فَعِيلي" فلا يحذفون الياء، ويقولون في النسب إلى "فَعِيلة" "فَعَلِيّ" فيحذفون الياء، لحذفهم التاء"(٤).

---

١) ابن عصفور الممتع في التصريف ، ٣٤٤/١-٣٤٥

٢) المرجع نفسه، ٣٥٤/١

٣) المرجع نفسه، ٣٩٣/١-٣٩٤

٤) المرجع نفسه٤٩٩/٢

١١. الزجاج، ابن دريد، اليزيدي، اللحياني، الجَرْمِيّ:

استقى ابن عصفور من الزجاج. ومن ذلك مثلا: "ومذهب الزجاج أنهم قالوا: مصاوب ثم أبدلوا من الواو المكسورة همزة تشبيها لها حشوا، بها في أول الكلام"(١).

ومن ذلك أيضا، قوله في إبدال الهمزة من الواو: "ومذهب الزجاج أنه لا يجوز إبدالها، لأن الاسم مفرد، وإنما ثبت إبدالها في الجموع. فتقول في "قواعل" من "القوة"، على مذهب سيبويه: "قواء". وعلى مذهب الزجاج: "قواو". وهذا النوع لم يرد به سماع، لكن القياس يقتضي ما ذهب إليه سيبويه. أعني من أنه إذا قوي الشبه بين شيئين حكم لكل واحد منهما بحكم الآخر"(٢).وينقل عن ابن دريد علانية، فيقول في الحروف غير المستحسنة:"الكاف التي كالجيم:وقد أخبر أبو بكر بن دريد أنها لغة في اليمن، يقولون في "كمل": جمل. وهي كثيرة في عوام أهل بغداد"(٣). ويستقي من اليزيدي قوله: " ومن ذلك ما روى اليزيدي عن أبي عمر من إدغام الجيم في التاء في مثل:"ذي المعارج تعرج"(٤). وسيبويه لم يذكر إدغامها إلا في الشين خاصة، فينبغي أن يحمل ذلك على إخفاء الحركة"(٥). ونقل عن اللحياني إبدال الياء من الصاد. يقول:"وأبدلت من الصاد،على غير اللزوم، في "قصيت أظافري"بمعنى"قصصت".فأبدلوا من الصاد الأخيرة ياء، هروبا من اجتماع الأمثال.حكى ذلك عن اللحياني"(٦).وأخذ ابن عصفور عن الجرمي. فيقول مثلا:"ويحكى أن أبا عمر الجرمي،رحمه الله،دخل بغداد، وكان بعض كبار الكوفيين يخشاه ويكثر عليه المسائل ــ ويقال هو الفراء ــ وهو يجيبه، فقال له بعض أصحابه: إن قد ألح عيك بكثرة المسائل فلم لا تسأله؟ فلما جاءه قال له:ما الأصل في "قم" ؟ فقال له:"اقوم". فقال له: فما الذي عملوا به؟ فقال: استثقلوا الضمة على الواو، فأسكنوها. فقال له: أخطأت لأن الكاف قبلها ساكن! فلم يعد إليه الرجل بعدها"(٧).

ويذكر ابن عصفور في كتابه أسماء كثير من العلماء الذين أفاد منهم، واستقى مادته الصوتية و الصرفية ومن ذلك مثلا يقول في إبدال الهاء من التاء في الوقف:"وحكى قطرب عن طيئ أنهم يفعلون ذلك بالتاء من جمع المؤنث السالم، فيقولون:"كيف الإخوة و الخواه،وكيف

---

١) ابن عصفور الممتع في التصريف ، ٥٠٨/٢

٢) المرجع نفسه،٣٤١/١

٣) المرجع نفسه،٦٦٥/٢

٤) المعارج: ٣،٤

٥) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٢٢/٢

٦) المرجع نفسه،٣٧٤/١

٧) المرجع نفسه، ٤٤٩/١

البـــنونَ والبناه" ؟"[1]. ومن ذلك أيضا ما نقله من إبدال الميم من الباء يقول: "وأبدلت أيضا من الـــباء، فيما حكاه أبو عمر الشيباني، من قولهم: "ما زال راتما على كذا" و"راتبا" أي: مقيما من الرتـــبة"[2]. كثيرا ما يستأنس ابن عصفور بمذهب البصريين دون ذكر أشخاص منهم من ذلك مـــثلا، فقـــد اختلفت الرواية عن أبي عمرو بن العلاء في قراءة الآية الكريمة "واشتعل الرأس شـــيبا"[3]، فمـــنهم من روى أنه أدغم السين في الشين، ومنهم من روى أنه منع، وقد أورد ابن عصفور هذا في كتابه بقوله: "وأما "واشتعل الرأس شيبا" بإدغام السين في الشين فإن الرواية عن أبـــي عمـــرو اختلفت في ذلك: فمنهم من روى أنه ادغم، ومنهم من روى انه منع. والذي عليه البصريون أن إدغام السين في الشين لا يجوز. وأيضا فإن الإدغام يؤدي إلى الجمع بين ساكنين، ولـــيس الأول حرف مد ولين"[4]. ويذكر مدرسة الكوفة دون شخص من أشخاصها، ومن ذلك مثلا: يقول في حذف الألف: "وأما الألف فإن اجتمعت مع ساكن حذفت نحو: حبلى القوم إلا أن يكـــون الساكن ألف التثنية، فإنها تقلب ياء ولا تحذف. فنقول في تثنية حبلى: حبليان. ولا يجوز أن نقول حبلان لئلا يتوهم أنه تثنية حبل، خلافا لأهل الكوفة، فإنهم يجيزون حذفها فيما زاد على أربعـــة أحـــرف، نحـــو "جمادى" فيقولون في تثنيته "جمادان" والصحيح عندنا أنه لا يجوز إلا "جماديان"، وبه ورد السماع، قال: سهري ربيع وجماديينه"[5].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز رسائل الجامعية

ويذكـــر البغداديون، دون أن يخصص عالما من علمائها، ويستقي منهم، ومن ذلك مثلا، يقـــول: "وزعـــم البغداديون أن "سيدا" و"ميتا" وأمثالهما في الأصل على وزن "فيعل" بفتح العين والأصـــل "سيد" و"ميت" ثم غير على القياس، كما قالوا في النسب إلى "بصرة" "بصري" فكسروا الباء. والذي حملهم على ذلك أنه لم يوجد، "فيعل" في الصحيح مكسور العين، بل يكون مفتوحها نحـــو "صـــيرف" و"صيقل" وهذا الذي ذهبوا إليه فاسد، لأنه لا ينبغي أن يحمل على الشذوذ ما أمكـــن. وأيضـــا فإنه لو كان كتغيير "بصري" لم يطرد، فاطراده في مثل "سيد" و"ميت" و"لين" و"هيـــن" و"بين" دليل على بطلان ما ذهبوا إليه"[6]. ومن هذا كله نرى أن أبا الحسن قد استقى اكثر مادة كتابه – وأعني مادة البحث – مما صنفه أسلافه.

---

١) ابن عصفور الممتع في التصريف ، ٤٠٢/١

٢) المرجع نفسه، ٣٩٣/١

٣) مريم: ٤

٤) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٧٢٦/٢

٥) ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٦٠٩/٢

٦) المرجع نفسه، ٤٩٩/٢-٥٠٠

وأن تستطيع أن نسجل ههنا أن جل ما نقله يمكن أن تكون مصادره الأولى هي الكتب الآتية:

- الكتاب لسيبويه
- القلب والإبدال للأصمعي
- الأبنية للجرمي
- القلب و الإبدال لابن السكيت
- التصريف و المقتضب للمبرد
- التصاريف لابن كيسان
- القد و المنصف و سر الصناعة و التصريف الملوكي و الخصائص والمحتسب، لابن جني.

ويتضح من خلال استعراض المادة الصوتية، عند ابن عصفور، أنه آخذ من كتاب سيبويه والقلب والإبدال لابن السكيت، وكتب ابن جني، فقد ثبتت لنا حقيقة نقل ابن عصفور منها كثيرا، وأما سائر الكتب الأخرى فإننا نرجح أنه استقى منها، أو ممن نقل منها، وإن كنا لا نجزم(١).

ويظهر من خلال المصادر التي أوردناها، أن مؤلفيها من فحول علماء التصريف الأوائل، ولم تر فيها مصدرا يلي تاريخه القرن الرابع، فكأن ابن عصفور كان يكن التقدير والإجلال لجهود المتقدمين من العلماء، فلذلك لا نرى ذكرا لعلماء معاصرين لابن عصفور في مصادر مادة البحث. يقول فخر الدين قباوة: "ربما كانت العلة في هذا أن المصنف قد اتخذ لنفسه قاعدة ألا يتخطى، في ناثره فحول المتقدمين من العلماء، فهو لا يتخطى القرن الرابع، إذ يقف من البصريين عند ابن جني، ومن الكوفيين عند ثعلب، ومن البغداديين عند القالي. أما من خلف بعد هؤلاء، من علماء تلك المدارس الثلاث، فابن عصفور ينصرف عنهم،، فلا ترى له في كتاب الممتع أخذا عنهم، وموافقة لهم، أو مخالفة. فليس غريبا ــ والحالة هذه ــ أن نجلو كتابه من ذكر الأندلسيين، سوى الزبيدي، ما دام نشاط العربية قد دب في الأندلس قبيل وصول القالي من الشرق، ووصوله كان في القرن الرابع الذي عاش فيه الزبيدي"(٢).

---

١) ينظر: فخر الدين قباوة، ابن عصفور والتصريف، ص ١٦٥

٢) المرجع نفسه، ص١١١

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث المتواضع، دراسة الفكر الصوتي عند ابن عصفور، وذلك من خلال المعطيات التي يقدمها لنا الدرس الصوتي الحديث، وقد تبين لنا من خلال هذا البحث قدرة علمائنا اللغويين القدامى، وفكرهم النير المتقدم في دراستهم للغة العربية. وقد اتضح لنا، في أثناء هذا البحث عدة حقائق، وسنحاول، في هذه العجالة، إيجاز أهم تلك الحقائق التي وقعنا عليها في أثناء دراستنا للفكر الصوتي عند ابن عصفور:

١- تلقى ابن عصفور دراسته على أيدي أئمة اللغة في الأندلس، أمثال الشلوبين، والدباج، فكان لهم أثرهم في ثقافته، فتخرج على لأيديهم، قوي الشخصية، واسع الإطلاع، محبا للعلم، حتى سمي بحامل لواء العربية في الأندلس.

٢- اتسعت شهرة ابن عصفور في شرق البلاد وغربها، ومن الشواهد على ذلك كثرة تلاميذه من جهة، ومصنفاته من جهة أخرى.

٣- أما بالنسبة لعدد حروف العربية، فقد قسمها ابن عصفور إلى أصول، وحروف مستحسنة، وحروف غير مستحسنة. فالأصول يقابلها في الدرس الصوتي الحديث مصطلح الفونيم، أما الحروف المستحسنة فهي تقابل في الدرس الصوتي الحديث مصطلح ألوفون، بيد أن(الهمزة بين بين) فهي في رأينا من قبيل الديافونات. أما الحروف غير المستحسنة فهي عادات نطقية لهجية، أو تنوعات صوتية ناجمة عن البيئة الاجتماعية والثقافية، فالأولى تقابل عند المحدثين، مصطلح(ديافون) والأخيرة مصطلح(فاريفون).

٤- هناك اختلاف بين علماء اللغة القدامى والمحدثين في مخارج الأصوات، فهي عند جل القدامى ستة عشر مخرجا، مرتبة ترتيبا تصاعديا؟، في حين أن عدد المخارج عند المحدثين عشرة مخارج مرتبة ترتيبا تنازليا، ابتدأ من الشفتين وانتهاء من بالحنجرة. علاوة على أن هناك اختلافا بين ابن عصفور و المحدثين في نسبة بعض الأصوات إلى مخارجها، ومنها – على سبيل المثال– الهمزة والألف، فقد نسبها ابن عصفور إلى أقصى الحلق، في حين نسب المحدثون الهمزة إلى الحنجرة. أما الألف من قبيل الحركات.

٥- لم يفرق ابن عصفور، وغيره من القدماء، بين الصوت والحرف، ولا بين الصوامت والحركات وأنصاف الحركات، بيد أن المحدثين، قاموا بتوصيف وتصنيف كل قسم على حدة ضمن خصائصه الصوتية.

٦- هناك اختلاف بين ابن عصفور والمحدثين، في توصيف بعض الأصوات، وهي:

أ- صوت الجيم: لقد وصف لغويو العرب القدامى، ومنهم ابن عصفور، هذا الصوت بأنه

صوت انفجاري، وإن مخرجه من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك.في حين وصفه المحدثون بأنه صوت مركب، ينتج في موضع الغار.

ب- صـــوت القـــاف وصـــف القدماء – ومنهم ابن عصفور – هذا الصوت بأنه صوت انفجـــاري، مجهور، يخرج من أقص اللسان، منا فوقه من الحنك الأعلى، أو من اللهاة كما ذكر الخلـــيل بن أحمد وغيره من العلماء القدامى. أما عند المحدثين من دارسي الأصوات، والباحثين فيها، فإنه صوت لهوي،انفجاري مهموس.

ج- صـــوت الطـــاء: وصف ابن عصفور، شأنه شأن القدماء، هذا الصوت، بأنه صوت مجهـــور، مفخـــم، وعدوه المقابل المفخم لصوت الدال. أما في الوصف الصوتي الحديث، فهو صوت أسناني لثوي، انفجاري، مهموس، مفخم، وهو المقابل المفخم لصوت التاء.

د- صـــوت الضاد: لقد وصف قدماء اللغويين العرب هذا الصوت، بأنه صوت رخو؛ أي احتكاكـــي، يتم إنتاجه من بين أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس، وهو إضافة إلى ذلك، صـــوت مجهـــور مفخم. أما عند المحدثين من اللغويين، فهو صوت انفجاري، يتم إنتاجه عندما يحتبس تيار الهواء المنتج له احتباسا تاما خلف منطقة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ومقـــدم اللثة، كما يصحب نطق هذا الصوت ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الطبق، وعندما ينفصل اللســـان عـــن نقطـــة الالتقاء، ينطلق الهواء محدثا صوتا انفجاريا، تتذبذب، في أثناء النطق به، الوتران الصوتيان. وهو يعد المقابل المفخم لصوت الدال، والمقابل المجهور لصوت الطاء.

هـــــ- صـــوت الهمزة: لقد اختلف علماء القدامى والمحدثين، في صفة الهمزة، غير أن القدمـــاء مـــتفقون علـــى جهـــرها. في حين اختلف علماء الأصوات المحدثين حول صفة هذا الصـــوت، غـــير أنهـــم جميعا متفقون على عدم جهرها. منهم من وصفها بالهمس، ومنهم من وصـــفها بأنهـــا صـــوت لا بالمجهور ولا بالمهموس، وفي رأينا أنها صوت لا بالمجهور ولا بالمهموس.

ويـــبدو أن أسباب الاختلاف بين ابن عصفور والمحدثين في توصيف الأصوات السابقة الذكـــر، يعود إلى تباين وسائل البحث لدى الطرفين، فابن عصفور اعتمد على الملاحظة الذاتية والمـــران، في حين اعتمد المحدثون على الآلات الحديثة والمختبرات الصوتية التي تعطي نتائج أكـــثر دقة. علاوة على أن ابن عصفور – شأنه شأن القدماء من علماء اللغة – لم يكن يعرف الأوتـــار الصوتية ودورها في وصف بعض الأصوات. إضافة إلى أن بعض الأصوات أصابها بعض التطور وذلك بسبب طول الفترة الزمنية بين ابن عصفور والمحدثين.

٧- تـــناول القدماء، ومنهم ابن عصفور القضايا الصوتية الصرفية، تناولا صرفيا، ولـــم تكن دراستها دراسة صوتية لذاتها. عكس المحدثين، الذين درسوا القضايا الصوتية ضمن أسس علو الأصوات وقوانينه، وكانت دراستهم صوتية بحتة.

٨- الإدغـــام والإبـــدال والإعلال، قضايا صوتية صرفية، الهدف منها التسهيل في النطق، والاقتصاد في المجهود العضلي، غير أن هناك حقائق وقعنا عليها في أثناء دراستنا لهذه الظواهر، منها:

أولا: فيما يتعلق بالصوامت وأنصاف الحركات:

أ- تتفاوت الصوامت في صفتي القوة والضعف، فبعضها أقوى من بعض، بيد أن الصوت الصفيري يعد أقوى الصوامت، وذلك لأنه لا يدغم في غيره حفاظا على صفة الصفير، في حين أن جل الأصوات المتبقية يمكن أن تتنازل عن صفة القوة المميزة لها.

ب- تعـد الصـــوامت أقـــوى من نصفي الحركة(الواو والياء)، بيد أن الإدغام يؤدي إلى تقويتهما، إلى حد يصبحان معه بمنزلة الصوامت.

ج- يـــزداد الصـــامت قوة بالحركة، في حين تضعف قوته بالتسكين، أما نصفا الحركة، فيستثقل النطق بهما متحركتين، كما يزداد ثقلهما إذا حركتا بحركة من جنسهما، ويزداد ضعفهما في حالة وقوعهما بين حركات.

د- الحركة المركبة ثقيلة، لذا يميل الناطق العربي للتخلص منها، عن طريق تحويلها إلى حركة بسيطة.

مكتبة الجامعة الاردنية

هـــ- الملمح الحركي غير مرغوب فيه في السلسلة الكلامية، لذا يميل الناطق العربي إلى التخلص منه عن طريق إحداث المخالفة بين الأصوات المتماثلة.

و- يعد صوت الهمزة من الأصوات الصعبة في النطق، فالبنية المشتملة على همزتين تعد بنية مستثقلة، لذا يعمد الناطق، في البنى المبدوءة بهمزتين، إلى تحويل الهمزة الثانية إلى حركة أو نصـــف حركة، هروبا من ثقل النطق بهمزتين متواليتين، غير أن الهمزة في بعض المواضع تســـتخدم لـــتقوية المقطـــع الضعيف، عندما يبدأ المقطع بإحدى نصفي الحركة، علاوة على أن الهمزة وسيلة إقفال للمقاطع المختومة بأحدهما.

ز- تتفاوت الصوامت والحركات في قوة الوضوح السمعي، فالحركات أوضح في السمع مـــن الصـــوامت. كمـــا أن الحركات تتفاوت فيما بينها في درجة الوضوح السمعي، فالحركات الطويلـــة أوضـــح فـــي السمع من الحركات القصيرة. ويليها في ذلك، الأصوات الصامتة، التي تـــتفاوت، هـــي الأخرى، فيما بينها في درجة الوضوح السمعي. فالصوامت المائعة أوضح في الســـمع مـــن غيرها من الصوامت، ويليها في ذلك الصوامت الاحتكاكية المجهورة، فالصوامت الانفجارية المجهورة، فالصوامت الاحتكاكية المهموسة، فالانفجارية المهموسة.

ح- أدى تشـــابه الرسم الكتابي، بين الواو والياء، بوصفهما نصفي حركة، والواو والياء بوصـــفهما حركتين طويلتين إلى حدوث خلط في تفسير علمائنا الأجلاء القدامى لبعض ظواهر الإعلال، كتلك المتعلقة بقلب الواو إلى ياء، أو الياء إلى واو.

ط- بينـــت لنا بعض حالات الإعلال، أن ما أطلق عليه علماؤنا القدامى إعلالا بالقلب، ما هـــو إلا إعلال بالحذف. ولهذا فإن الأمر يستوجب منا إعادة النظر في تصنيف أقسام الإعلال، وإعادة تقعيدها بما يتناسب مع نوع الإعلال الذي يصيب البنية.

ثانيا: فيما يتعلق بالمقطع العربي:

أ- يـــتكون المقطع العربي من مطلع، وقمة، وخاتمة أحيانا، والمطلع لا يكون إلا صامتا، والقمة لا تكون إلا حركة.

ب- لا يـــبدأ المقطع العربي بصامتين، وهو ما يعرف العنقود الفونيمي، وإن حصل فإن الـــناطق يلجأ - في الأعم الأغلب - إلى حذف الصامت الأول من البنية، في حالة كونه نصف حـــركة، أو إلى إضافة همزة وصل إلى البنية، وهذا يتطلب إعادة تشكيل النسيج المقطعي للبنية في حالة كونه صامتا.

ج- يتســـم المقطـــع المبدوء بصامت بالقوة، في حين يتسم المقطع المبدوء بنصف حركة بالضعف، فلذلك يلجأ الناطق - في بعض الأحيان - إلى تقوية المقطع بقلب نصف الحركة، إلى صامت وغالبا ما يكون هذا الصامت هو الهمزة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعات

د- المقاطع المفتوحة المتوالية، تضعف البنية، وينتج عنها ثقل في النطق، لذا يعمد الناطق إلـــى الـــتخلص مـــن توالي تلك المقاطع إما بإغلاقها، أو بإسقاط جزء منها. وهذا يتطلب إعادة التشكيل المقطعي للبنية.

٩- اســـتقى ابن عصفور جل مادته الصوتية، من كتاب سيبويه، فهو لم يأت بشيء جديد عما جاء به إمام النحاة، وقد اعترف ابن عصفور بأنه قام بإعادة ترتيب جهود أسلافه من القدماء.

١٠- لقـــد كان ابن عصفور معجبا بالفحول من علماء اللغة القدامى، لذا فإنه لم يأخذ عن علماء عصره، بل اكتفى بالنقل عن العلماء القدامى من اللغويين حتى القرن الرابع الهجري.

١١- كـــان موقف ابن عصفور، من سيبويه، يختلف عن موقفه من العلماء الآخرين أمـــثال المبرد وابن جني وغيرهم، فقد كان يستشهد برأي سيبويه، ويكافح عنه، ويعتذر له عن فوائته.

١٢- يتضح من خلال البحث، أن القدماء، ومنهم ابن عصفور، قد توصلوا إلى نتائج قـــيمة فـــي الميدان الصوتي، وكان هذا من خلال ملاحظاتهم الذاتية، بيد أن ما توصلوا إليه هو نقطـــة البداية للدرس الصوتي الحديث، بل إن معظم الدراسة الصوتية الحديثة تقوم على المادة الأساسية عند القدماء. فالقدماء عرفوا جل القوانين الصوتية الحديثة، مثل قانون السهولة والتردد

النسبي أو الشيوع، وقانون جرامونت. بيد أنهم لم يذكروها. ولكن وردت في مؤلفاتهم ملاحظات متناثرة هنا وهناك، ولكنها تقع مكن هذه القوانين.

وبعد،

فهـذا البحـث لا يعـدو أن يكون محاولة لدراسة الفكر الصوتي، لدى عالم من علمائنا القدامى، قدم للعربية جل طاقاته، فلا فضل لي سوى في إعادة المادة الصوتية عند عالمنا موضع الدراسـة، وتحلـيل أمثلتها، وإخراجها بما يتلاءم والدرس الصوتي الحديث. وإنا لنرجو، بهذه الدراسة المتواضعة أن نكون قد أفدنا العربية ومحبيها، فإن كنا قد وفقنا في عملنا هذا، فالحمد لله وحده، فهو خير عون، وإن قصرنا فمن أيدينا.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

Abstract

This research deals with phonetic thoughts according to Ibn-Asfour. And it is introduced to acchieve this aim. So the introduction showed the importance of the research, its style and difficulties which the researcher Faced.

The First chapter, reveals the many aspects of the life of Ibn-Asfour, taking into account his birth, skiekhs (tutors), his pupils, his classifications، his scientific rank, and finally his death.

The second chapter deals with the study of phonetic problems according to Ibn-Asfour, in accordance to the number of Arabic Sounds، divisions, sound source, and sound qualities comparing that with old and modern linguists, indicating the reason for their contrast.

The third chapter, which is the main one, deals purely with the study of more phonetic problems according to Ibn-Asfour. This chapter also includes the most obvious grammatical phonetic problems including gemination, inflection defection and analysis its examples according to contemporary phonetics. For that, it depended on phonetic rules and phonemic analysis of some of the previous examples pointing out the reasons for accurrence of such cases phonetically. That is represented in the fluency of pronunciation and the frugality of physical (muscular) effort.

Whereas the fourth chapter includes the phonetic source from which Ibn-Asfour got his material and how much he was affected by preceding scientists in this Field.

The conclusion of the research includes the results which the researcher came out with, and that all through the research it is noticed that the ancient linguists including Ibn-Asfour had reached valuable results in this phonetic Field depending on self-observation and keen thinking. But, in spite of that there are some contradictive points between the ancient and the contemporary linguists in relating some sounds to their sources and the description of some other sounds.

Anyway, what was produced in ancient phonetics, is to be the main gem and the basis for modern phonetic, studies, although the contemporary linguists have reached to more precise results as they depend on more developed machines and phonetic (language) laboratories which share in giving sound its exact quality.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المراجع العربية:

ابن أحمد، الخليل:

١. العين، سلسلة المعاجم والفهارس، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٨م.

الأزهري، خالد بن عبد الله:

٢. شرح التصريح على التوضيح، القاهرة: المطبعة الأزهرية، ١٣١٣هـ.

الإستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن:

٣. شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، ١٩٧٥م.

الأنباري، أبو البركات:

٤. أسرار العربية، تحقيق: فخر صالح قرارة، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٥م.

أنيس، إبراهيم:

٥. الأصوات اللغوية، ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.

٦. في اللهجات العربية، ط٣، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م.

٧. اللغة بين القومية والعالمية، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨م.

أيوب، عبد الرحمن:

٨. أصوات اللغة، ط٢، القاهرة: مطبعة الكيلاني، ١٩٦٨م.

٩. التطور اللغوي، القاهرة: دار الطباعة القومية، ١٩٦٤م.

باي، ماريو:

١٠. أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٣م.

برجشتراسر:

١١. التطور النحوي للغة العربية، تصحيح وتعليق: رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، والرياض: دار الرفاعي، ١٩٨٢م.

بروكلمان، كارل:

١٢. تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية رمضان عبد التواب، القاهرة: دار المعارف.

بشر، كمال:

١٣. دراسات في علم اللغة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م.

١٤. علم اللغة العام (الأصوات)، ط٧، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد:

١٥. النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)

ابن جني: أبو الفتح عثمان:

١٦. الخصائص، ط٢، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، ١٩٩٢م.

١٧. سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن الهنداوي، دمشق، دار القلم، ١٩٨٥م.

١٨. المنصف، شرح كتاب لتصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى عبد الله أمين، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٤م.

حاجي خليفة، مصطفى عبد الله:

١٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد: المثنى

حسان، تمام:

٢٠. اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

٢١. مناهج البحث في اللغة، القاهرة: ط١، الدار البيضاء: دار الثقافة، سنة ١٩٧٤م.

حماد، محمد نمر:

٢٢. إتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد، نابلس، ١٣٢٣هـ.

الحملاوي، أحمد:

٢٣. شذا العرف في فن الصرف، ط١٦، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ١٩٦٥م.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي:

٢٤. المبدع في التصريف، تحقيق: عبد الحميد السيد طلب، الكويت: مكتبة دار العروبة، ١٩٨٢م.

الخضري، محمد:

٢٥. حاشية الخضري، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٩٤٠م.

ابن خلكان، أحمد بن محمد:

٢٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الصادر، (د.ت).

الخولي، محمد علي:

٢٧. معجم علم اللغة النظري، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الزركلي، خير الدين:

٢٨. الأعلام، ط٥، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر:

٢٩. المفصل في العربية، ط٢، بيروت: دار الجيل.

ابن السراج، محمد بن سهل:

٣٠. الأصوات في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

ابن السعيد، علي بن موسى:

٣١. اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق: إبراهيم الأنباري، الناشرون، دار الكتب الإسلامية، القاهرة: دار الكتب المصري، وبيروت: دار الكتاب اللبناني.

السكاكي:

٣٢. مفتاح العلوم، القاهرة، ١٣١٧هـ.

ابن السكيت، يعقوب:

٣٣. الإبدال، تقديم وتحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة علي النجدي ناصيف، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٨م.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان:

٣٤. كتاب سيبويه، ط٣، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م.

ابن سينا، الحسين بن عبد الله:

٣٥. أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطحان ويحيى مير العلم، دمشق: دار الفكر: ١٩٨٣.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين:

٣٦. الأشباه والنظائر في النحو، حيدر أباد الدكن بالهند، ١٣٥٩هـ.

٣٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، بيروت: دار المعرفة.

٣٨. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط٢، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين،

شاهين، توفيق:

٣٩. علم اللغة العم، القاهرة: مكتبة وهبة.

شاهين، عبد الصبور:

٤٠. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٧م.

٤١. في التطور اللغوي، القاهرة: المطبعة العالمية، ١٩٧٥م.

٤٢. في علم اللغة العام، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م.

٤٣. المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م.

جميع الحقوق محفوظة
مركز بحوث ودراسات المكتبات وتقنية المعلومات
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ابن أبي طالب، مكي:

٤٤. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية، ١٩٧٣م.

٤٥. الكشف عن القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدين رمضان، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٤م.

عبد التواب، رمضان:

٤٦. التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨١م.

٤٧. لحن العامة والتطور اللغوي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٤٨. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م.

عبد الجليل، عبد القادر:

٤٩. الأصوات اللغوية، عمان: دار الصفاء، ١٩٩٨م.

ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن:

٥٠. المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبدالله الجبوري، بغداد: مطبعة العاني، (د.ت).

٥١. الممتع في التصريف، ط٣، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٨م.

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله:

٥٢. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط١٦، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت)

ابن العماد، عبد الحي الحنبلي:

٥٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٩م.

عمر، أحمد مختار:

٥٤. دراسة الصوت اللغوي، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٦م.

الغبريني، أحمد بن أحمد بن عبد الله:

٥٥. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابع ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، بيروت: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٩م.

الفارابي، اسحق بن إبراهيم:

٥٦. ديوان الأدب، القاهرة: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٧٤م.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فك، يوهان:

٥٧. العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م.

فليش، هنري:

٥٨. العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، ط٢، تحقيق وتعريب: عبد الصبور شاهين، بيروت: دار المشرق، ١٩٨٣م.

فندريس، جوزيف:

٥٩. اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م.

الفيروز أبادي:

٦٠. القاموس المحيط، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

قباوة، فخر الدين:

٦١. ابن عصفور والتصريف،ط٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١م.

القفطي، جمال الدين علي بن يوسف:

٦٢. إنباه الرواه على أنباه النحاه، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،القاهرة،١٩٦١م.

ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن علي:

٦٣. وفيات ابن قنفذ، ط٤، تحقيق: عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م.

الكتبي، محمد بن شاكر:

٦٤. فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الصادر.

اللغوي، أبو الطيب عبد الواحد:

٦٥. الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٦١م.

مالبرج، برتيل:

٦٦. الصوتيات، ترجمة:محمد حلمي هليل، القاهرة: للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٩٤م.

٦٧. علم الأصوات، تعريب ودراسة:عبد الصبور شاهين،القاهرة:مكتبة الشباب، ١٩٨٤م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

٦٨. المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب.

المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك:

٦٩. الذيل والتكملة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فك، يوهان:

٥٧. العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م.

فليش، هنري:

٥٨. العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، ط٢، تحقيق وتعريب: عبد الصبور شاهين، بيروت: دار المشرق، ١٩٨٣م.

فندريس، جوزيف:

٥٩. اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م.

الفيروز أبادي:

٦٠. القاموس المحيط، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

قباوة، فخر الدين:

٦١. ابن عصفور والتصريف،ط٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١م.

القفطي، جمال الدين علي بن يوسف:

٦٢. إنباه الرواه على أنباه النحاه، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،القاهرة،١٩٦١م.

ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن علي:

٦٣. وفيات ابن قنفذ، ط٤، تحقيق: عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م.

الكتبي، محمد بن شاكر:

٦٤. فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الصادر.

اللغوي، أبو الطيب عبد الواحد:

٦٥. الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٦١م.

مالبرج، برتيل:

٦٦. الصوتيات، ترجمة:محمد حلمي هليل، القاهرة: للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٩٤م.

٦٧. علم الأصوات، تعريب ودراسة:عبد الصبور شاهين،القاهرة:مكتبة الشباب، ١٩٨٤م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

٦٨. المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب.

المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك:

٦٩. الذيل والتكملة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

مصلوح، سعد:

٧٠. دراسة السمع والكلام، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٠م.

ابن مقبل:

٧١. الديوان: دمشق، ١٩٦٢م.

المقري، أحمد بن محمد:

٧٢. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الصادر، ١٩٦٨م.

الملاح، ياسر:

٧٣. الأصوات اللغوية، القدس: مؤسسة الطفل، ١٩٩٠م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:

٧٤. معجم لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين، القاهرة: دار المعارف.

ابن النديم، محمد بن إسحق:

٧٥. الفهرست، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.

النوري، "محمد جواد":

٧٦. التفكير الصوتي عند سيبويه، القدس: مركز الأبحاث الإسلامية، سنة ١٩٩٣م.

٧٧. علم أصوات العربية، عمان: مطبوعات جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٧م.

٧٨. فصول في علم الأصوات، نابلس: مطبعة النصر التجارية، ١٩٩١م.

هلال، عبد الغفار حامد:

٧٩. أصوات اللغة العربية، ط٢، القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٩٨٨م.

وافي، على عبد الواحد:

٨٠. علم اللغة، ط٤، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧م.

٨١. فقه اللغة، ط٢، نشر لجنة البيان العربي، ١٩٥٦م.

ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين:

٨٢. شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، القاهرة: مكتبة المتنبي، (د.ت)

مكتبة الجامعة الاردنية

ب. المراجع الأجنبية:

1. Al-Ani, Salman, Arabic Phonology. Mouton: IndianaUniversity, 1970.
2. Beeston,A.F.L, The Arabic language Today, London, 1976.
3. Brosnahan, L.F. and Malmberg. B.,Combridge, Introduction to Phonetics, 1970.

ج- المجلات:

١. النوري "محمد جواد": التطور الصوتي، البلقاء للبحوث والدراسات، عمان: جامعة عمـــان الأهلية، مج٢، ع١.

د- بحوث لم تنشر بعد:

١. النوري "محمد جواد": دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال، سينشر فـــي عـــدد لاحق في مجلة النجاح الوطنية للأبحاث.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية